﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾





الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ: حُكْمُهُ وَتَطْبِيقُهُ عَلَى وَاقِعِ اليَوم

وَفِيهِ مُنَاصَرَةٌ لِدَولَةِ الإِسلَام (أعزها الله)

ألّفه وخرّجه وحقّقه

الفَقِيرُ إِلَى اللهِ: أَبُو خَالِد الصُّومَالِيّ

حفظه الله

الفهرس

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده؛ أما بعد:

لا يخفى على عاقلٍ حال أمتنا من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب. لذلك، سأحاول في هذا البحث اليسير بإذن الله أن أوضّح أنّ الجهاد في سبيل الله هو الطريق الوحيد لاستعادة كرامة الأمة، وسأوضح بإذن الله أنّ الجهاد اليوم أصبح فرضا عينيّا على كلّ المسلمين، وسأتكلّم أيضا عن بعض الطرق المتاحة لِإخْراج هذه الأمة من التيه، وأقول بإذن الله أنه من أول الخطوات تجاه إعادة مجد أمتنا المسلمة وكرامتها المسلوبة: القيام الصادق إلى جانب الخلافة (الدولة الإسلامية) -أعزّها الله- في حربها ضدّ أعداء الإسلام والمسلمين.

حال أمتنا الحالي، والسبب الرئيسي لذلك

إن الله قد افترض علينا الجهادَ في سبيله، لكي يسود شرعُ الله، إحقاقا للحقّ، وإزهاقا للباطل، حتّى لا تكون فتنةٌ ويكون الدّين كلّه لله. فبادرت الأجيال الأولى من هذه الأمة إلى هذه الفريضة الإلهية، فحملوها على أعينهم وبذلوا لتحقيقها كل غالٍ ونفيس، فأصبحوا بأمر الله قادة الأمم؛ أعزّهم الله بالإسلام، وأكرمهم بالجهاد، ففتحوا البلاد، وأنقذوا العباد، ورفرفت رايات التوحيد في جميع أنحاء هذه الدنيا.

ولما مضى على سلف المسلمين وقت، وانفتحت على الناس الدنيا، بدأت هممهم للجهاد تضعف شيئا فشيئا، ومعلومٌ أنه لا ينحسر الحق، إلا ويمتدّ الباطل مكانه؛ ولم يزل المسلمون يقومون برجال ربانيين بعد كلّ سقوط، حتى كانت السقطة الأخيرة، حين تحطّمت الخلافة الإسلامية بالكامل، ومُحي حبّها من القلوب؛ بعد ذلك، عمل الكفار بجدّ—ولا يزالون يعملون—على ألّا تقوم للمسلمين قائمة أبدا.

في أول الأمر، حاول الكفار أن يأخذوا بلاد الإسلام بالغزو المباشر، فكانت مجازر فلسطين، وكشمير، والشّيشان، والصومال، والعراق، وأفغانستان، وبورما، والجزائر، وليبيا، ومالي، والسودان، وغير ذلك من بلاد المسلمين؛ ارتكب العدوّ في كلّ تلك البلاد، مجازر ضدّ المسلمين يقشعرّ لها الجلد، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. لكنْ، بما أنّ بلاد الله لا تخلوا من مؤمنين صادقين، يحبّون الجهاد ويدافعون عن بيضة المسلمين، كان لا بدّ من صدام بين الحق والباطل؛

فقامت ثلّةٌ من المسلمين (جُلّهم من الشباب)، متسلّحون بإيمانهم وبالأسلحة الخفيفة، إلى الكافر الحاقد (مرة أمريكا، ومرة روسيا، ومرة اليهود، ومرّة البوذيون، وغيرهم الكثير)؛ وثبوا إليه وثبة الأسد على فريسته، فأدموه وقتّلوه وفعلوا به الأفاعيل؛ فشفى الله بذلك صدور قوم مؤمنين، وأغاظ الكافرين الحاقدين.

فلما علمَت أمم الكفر، أنّ استراتيجيّة القوة لم تعد تعمل، عمدوا إلى الحرب بالوكالة؛ يستعملون من المسلمين أنذالا لا يعرفون لأنفسهم دينا ولا ضميرا، فيكونون هم الوجه الذي يراه النّاس، ويُدِير الكفّارُ الأمورَ من وراء السّتار؛ وبما أنّ هؤلاء المرتدّين يشبهوننا، يصعب على كثير من المسلمين أن يميزوا بين الحق والباطل، ويترتّب من ذلك أن يتركوا الجهادَ، ويتركوا المسلمين الذين يئنّون تحت وطأة الكفار، ليواجهوا وحدهم المصير المؤلم.

وكانت هذه السياسة فعّالة جدّا، فقد أخمدت العزّة في قلوب المسلمين، وأخضعتهم لمدّة طويلة، وماتَت من جرّائها قلوبُ كثيرٍ من الناس، فأصبحوا لا يهتمون إلا ببطونهم، وبطون المقربين منهم، وكان من ذلك ما كان؛ فقد سُفِكت الدّماء، واغتُصبَت الحرائر، ونُهِبت الأموال، وقامت الدّنيا على رأسها ولم تقعد؛ ففي طول هذه البلاد وعرضها، يعيش المسلمون اليوم معزولون عن بعضهم البعض، لا يُهِمّ المسلمَ هنا، ما يصنعه الكفار هناك (والعكس)؛ فالكلّ صامتون مجمَّدُون، لا يُحرّكون ساكنًا ولا يهتدون سبيلًا؛ يعيش الواحد لنفسه فقط، ويمضي وكأنّ الذي يحصل في البلاد لا يخصُّه أصلا، وكأنّ المقتولين ليسوا إخوته، والمغتَصَبات أخواته.

إلا أنّه لا يمكن أن تموت نخوة الأمة الإسلامية جميعا مرة واحدة؛ فقد كان —ولا زال— في الشعوب من يفهم الواقع ويعيه جيّدا؛ وكان على طليعة هؤلاء، ثلّة من المجاهدين جاؤوا من جميع بقاع الأرض، قام العالم بأَسرِهِ ليُوقِفَهُم، لكنه لم يستطع: الدّولة الإسلامية، والجماعات المجاهدة الأخرى الساعية إلى تحكيم شرع الله؛ أولئك الرجال، هم الأقرب إلى الذين قال الله تعالى في وصفهم (نحسبهم كذلك والله حسيبهم):﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾. [المائدة: ٥٤].

سنواتٌ طوال من الجهاد والكفاح ضد الصليبيين والمرتدّين والرافضة المجرمين (في أفغانستان والعراق والصومال واليمن وغيرِهم من بلاد المسلمين)، ثم إقامةٌ لدولةٍ إسلاميةٍ للمسلمين في العراق، ثم نصرةٌ للمسلمين في الشام، ثم إقامةٌ للخلافة الإسلامية وتحطيمٌ لحدود الذل والهوان؛ وفوق هذا وذاك، تحكيمٌ لكتاب الله في كل بقعة يمتدّ إليها حكمهم؛

هؤلاء وأمثالهم من المسلمين، هم الرجال الحقيقيون، الذين قاموا ليرفعوا الذلّ عن رقاب المسلمين، أسأل الله أن يوفّقهم، ويوحّد كلمتهم، ويُعِيدَ بهم مجدًا أضعناه قبل قرون...

ومع أنّنا نرى بعضا من المسلمين يتحرّكون للجهاد، إلا أنّ معظم المسلمين الذين يفوق عددهم المليار ونصف المليار، قاعدون لا يتحرّكون؛ بعضٌ منهم يظنّ أن الجهاد كان شيئا تاريخيا، وأنّه لا يصلح للواقع المعاصر؛ وبعضٌ منهم يأمّل الخير في الحكّام، ويشجّع الناس على البقاء معهم وعدم الخروج عليهم، بل ويجرّم مَن حملوا راية الجهاد وخرجوا على الحكام المجرمين، ويصفهم بجميع الصفات والتسميات؛ وبعضٌ منهم يظنّ أنّ الذين يقومون بالجهاد في هذا العصر، يرتكبون أخطاءً شرعية، ولذلك لا يجوز القتال إلى جانبهم؛ ومن الناس من يعتقدون غير ذلك.

إضافة إلى ما سبق، فإنّ المنافقين يحاولون دائما سرقة ثمرات الجهاد، وتحويل المجاهدين إلى سُلَّمٍ يصعد بهم طاغوت جديد إلى كرسي الحكم، يدخلون بين المجاهدين، فيهتفون براية غير راية الجهاد (ديموقراطية، قومية، وطنيّة...)، ثم يحوّلون مسار الناس عن المنهج الربّاني السليم، إلى مناهج الكفر اللئيم؛ وبذلك تضيع دماء الشهداء، ويكون الشعب قد ضحّى بلا طائل يذكر (طاغوت مكان طاغوت).

الأهداف من هذا البحث

لهذا، أردت من هذا البحث اليسير:

أولا: أن أمرَّ على بعضِ آلام المسلمين اليوم، وأُوضّح من خلال ذلك، أنّ الجهاد اليوم، أصبح فرضا عينيّا على كلّ مسلم ومسلمة (كلٌّ حسب طاقته)، كالصّلاة والصّيام، ولا يجوز لأحد من المسلمين التخلّف عن الجهاد إلا بعذر شرعيّ، حتى تنكشف الطامّة، ويسُود شرعُ الله من جديد.

ثانيا: أن أُوضّحَ حقيقة الصّراع بيننا وبين الكفار، لكي نكون على معرفةٍ من أمرنا؛ سأتكلّم بإذن الله عن بعض المفاهيم الخاطئة التي يجب أن يحذر منها المجاهد لكي يسلم له جهاده، ولا يضيع جهده هذرا.

ثالثا: أن أَضَعَ خطوات عمليّةً لتطبيق الجهاد على واقع أمّتنا الحاليّ، لكيلا يبقَى الجهادُ أسطورة خياليّة، أو نظريّة لا تتجاوز أسطر الكتب والمجلّات. سأتكلّم عن خطوات عامّةٍ يجب أن يطبّقها الجميع (الأفراد والجماعات)، كما سأضع أدوارا للأفراد (الرجال والنساء معا).

رابعا: أن أُوضِّح أنّ الدولة الإسلامية التي قامت في العراق والشام، هي الخلافة بعينها، وأنّ بيعتَها واجبةٌ علينا؛ وسأرُدّ بإذن الله على بعض الشُبه التي تدور حول هذا الموضوع، تبرئةً لذمّتي أمام الله.

خامسا: أن أُوَضِّح للناس، أنّ الجهاد ليس مِلكًا لأحدٍ من المسلمين، وأنّه مهما كثرت أخطاء المجاهدين، فإنّ ذلك لا يُسوِّغُ لأحدٍ ترْكَ الواجب المتعيّن عليه. وسأجيب بإذن الله على بعض الأسئلة التي يتساءلها كثير من المسلمين عندما يهمّون بالقيام إلى الجهاد، لكن بعضهم لا يجدون أجوبة فيقعُدون.

ولقد سميت هذا البحث ب "الجهاد في سبيل الله: حكمه وتطبيقه على واقع اليوم". سأحاول—إن شاء الله—أن أجعله ملخَّصا، مع المحاولة لسرد ما يكفي من الأدلة.

إذا عارض قولي آيةً من القران أو حديثا صحيحا، فاضربوا قولي على الحائط، وقولوا بما قاله الله ورسوله. إن أصبتُ فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشّيطان، وإني أستغفر الله منها؛ وأرجو من الله العليّ العظيم أن يوفقني السّداد، إنه القادر على كل شيء. **وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب**...

***

إهداء...

- إلى كلّ من رفعوا راية التوحيد على مدى الأزمان، الذين بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله، وكان شعارهم: حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ.
- إلى الغرباء من المسلمين، الذين رفعوا هموم الأمّة على أكتافهم، وتصدّوا لمخطّط الصليبيين بصدورهم ونحورهم، وقاموا لأجل الله تعالى، لا يخافون فيه لومة لائم.
- إلى أسود دولة الإسلام وأبطالها الأماجد، الذين ما فتئوا يقدّمون لهذه الأمة نماذج البطولة والاستبسال، ويسطّرون بدمائهم الشريفة مجدا عظيما وعزا تليدا للأمّة.
- إلى جميع الجماعات المجاهدة في سبيل الله، السّاعية إلى تحكيم شرع الله، وعلى رأسهم فروع تنظيم قاعدة الجهاد.
- إلى الذين قضوا نحبهم من قادة الجهاد في هذا العصر، أمثال أسامة ابن لادن، وأبي مصعب الزرقاوي، وخطّاب، وأبي عمر البغدادي، وأبي حمزة المهاجر، وآدم عيرو وأبو الزبير الصوماليين، ودوكو عمروف الشيشاني، وسعيد الشِّهري.
- إلى شيوخِ الجهاد، شهداءِ دعوة التوحيد (نحسبهم كذلك والله حسيبهم) أمثالِ السيّدِ قطب، وعبد الله عزّام، وأبي يحي الليبي، وأنور العولقي، وعطيّة الله الليبي.

أهدي دعائي فأقول: اللهم اجعلهم في أعلى درجات الجنّة...

خطة البحث

هيكل البحث: يتكون هذا البحث من سبع مباحث:

في المبحث الأول، سأتكلّم بإذن الله عن حال الأمة الإسلامية المؤلمة في هذا العصر، ليكون هذا تمهيدا لما سيأتي في المبحث الثاني، وهو أنّ الجهاد اليوم، أصبح فرضَ عينٍ على المسلمين جميعا.

أولا، سأتكلّم عن حال أمتنا الدّينية المرزية (لأنّ أكبر مصيبةٍ يمكن أن تقع على الشّخص، هي تلك التي تُصيبه في دينه). ثم سأتكلّم عن المآسي الأخرى التي يتجرّعها المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، من قتلٍ، وجرحٍ، واغتصابٍ، وحبسٍ، وتهجيرٍ، وغير ذلك. وجديرٌ بالذكر، أنني لم أستطع أن أمرّ على مآسي بلاد المسلمين جميعا، كما أنني لم أستطع أن أكتب عن المآسي التي حصلت قبل هذا العقد الجاري، وكلّ هذا، كان لسبب ضيق البحث.

وفي المبحث الثّاني، سنُعرّف الجهاد، ثم نبيّن حكمه في هذا العصر. أوّلا، سأتكلّم عن تعريف الجهاد لغة وشرعا، وسأُوضّح بأنّ الفضائل الواردة لِعبادة "الجهاد"، إنّما هي للقتال وما يتعلّق به، وليست لجهاد النّفس كما يروّج له البعض. ثم سأتكلّم عن فضل الجهاد ومكانته في الإسلام. ثم في الختام، سأتكلّم عن حكم الجهاد على وجه العموم، ثم عن حكمه في عصرنا الحاضر على وجه الخصوص.

أمّا في المبحث الثالث، فسأحاول أن أُسلّط الضّوء على حقيقة الصّراع، وذلك لكي يكون المسلم على بيّنةٍ من أمره. سأتكلم بإذن الله عن السبّب الذي من أجلهِ يقاتلنا الكفّار، وسأوضّح بأنّ الكفّار لا يهتمّون كثيرا بمنعنا عن الصّلاة أو الصّيام، بل الذي لا يريدونه إنما هو تطبيقُ كتابِ الله على النّاس (على مستوى الدّولة وعلى مستوى الأفراد)، وكذلك الجهاد في سبيل الله، الذي من خلاله يدعوا المسلمون الناسَ إلى دين الله، ويقلّلون من الأعداد الهائلة المنحدرة إلى جهنّم (أعاذنا الله منها). ثم بعد ذلك، سأتكلّم عن السّبب الذي من أجله نقاتِل الكفار. سأتكلّم بإذن الله عن خطأٍ يقع فيه كثيرٌ من المسلمين، فيقولون بأن الجهاد إنّما هو للدّفاع فقط، وذاك خطأ كبير؛ سأوضّح في هذا المبحث، بأنّنا لا نقاتل الكفّار لنُخرجَهم من أراضي المسلمين فقط (وإن كان ذلك من أولى أولياتنا الآن)، بل نقاتلهم لكي يَعبدُوا الله وحده لا شريك له، فحتى لو خرج آخرُهم من أراضي المسلمين، فإنّ الجهاد لن يتوقّف عند ذلك، بل سيستمرّ الطّلب، حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله.

ثم في المبحثين الرابع والخامس، سأضع بعض الخطوات العمليّة، التي أظنّ أنه من خلالها، نستطيع أن ننهض بالأمّة، وأن نُطبّق الجهاد ونُحَوّله إلى واقعٍ بعد أن كان نظريّةً لعقودٍ طويلة.

ففي المبحث الرابع، سأتكلّم عن الخطوات التي يجب علينا أن نأخذها على وجه العموم؛ سأبدأ بشرح أسباب النصر التي يجب أن يتّصف بها الصفّ المسلم لِيَنتَصِر، وفيها سأذكر خطورة القتال من أجل الوطنيّة التي فشت في أوساط النّاس في هذه الأيام، وكذلك سأذكر بعض الخطوات لقتل الإحباط في نفوس المسلمين؛ ثم سأتكلّم عن أربعِ خطوات يجب أن نأخذها لنَزِيد من فُرَصِ النجاح، ومنها القيام إلى جانب الخلافة الإسلامية، التي أعلنها رجال الدّولة الإسلامية أعزّهم الله وأكرمهم وفتح عليهم؛ وسأحاول أن أردّ على بعض الشبه التي يثيرها الناس حول الدّولة، ثم سأختم الأمر بأنّ هذه الدولة إنّما هي الخلافة بحذافيرها، وأنّ بيعة أميرها واجبةٌ على كلّ المسلمين.

ثم في المبحث الخامس، سأتطرّق إلى الأدوار الفرديّة، لكي يعرف كلّ شخصٍ مسلم ما عليه، لنرفع الأمّة وننهض بها معا؛ سأُحاول أن أُوضّح بإذن الله، أنّ الأوامر بالجهاد تقع للمسلمين جميعا، ولا يجوز لنا أن ننتظر أحدا آخر، لأنّه إن قال كلّ شخصٍ "ليس أنا"، فمن سيقوم؟! ففي هذا المبحث، سأضع بعض الأدوار العملية، للرجل وكذلك للمرأة، التي يستطيع المرء المسلم من خلالها، أن يجعل الكلام فِعلًا ملموسا في واقع الحياة.

وأخيرًا في المبحث السّادس، سأُجيب بإذن الله على بعض الأسئلة التي يتساءلها بعض المسلمين، لكنّ كثيرا منهم لا يجد لها أجوبةً فيقعد. وإجابةً على أوّل الأسئلة، سأُوضّح بإذن الله، أنّ أخطاء المجاهدين لا تؤثّر في صحّة الجهاد، وأنّ الجهاد يصحّ مع البرّ والفاجر، لكَ جهادُك وثوابك، وعلى المخطئ ذنبه وعقابه؛ سأقول بإذن الله أنه إذا تعيّن الجهاد على المسلمين، فإنه يكون كالصّلاة أو الصّيام، لا يتركهما أحدٌ لخطأِ فلانٍ أو لفعل علّان. بعد ذلك، سأمر على بعضٍ من الأدلة التي جاءت في مسائلَ لا يقتنعُ بها كثيرٌ من المسلمين، ومن هذه المسائل العمليات الإستشهادية، وقَتْلِ من يُسمَّى ب"المدنيين" من الكفار، وتكفير عوام الرافضة.

المصادر المستخدمة في البحث:

لم يكن لديّ كثيرٌ من الكتب المطبوعة؛ لذلك، فإنني سأعتمد على المكتبة الشّاملة[١] في بحثي هذا، ففيها من الكتب والمصادر المتنوعة، ما يغني عن الكتب المطبوعة؛ وإذا أَردتُ كتابًا لأحد علماء الجهاد في هذا العصر، فإني أحمل الكتاب من الإنترنت (خاصّةً من منبر التوحيد والجهاد)؛ وإضافة إلى الكتب الإسلامية، فإنني سأستخدم بعض التقارير والمقالات (عربية وإنجليزية) عند الكلام عن مجازر المسلمين في هذا البحث؛ وقد سجّلت جميع المصادر المستخدمة في هذا البحث في جدولٍ كتبتُه في آخر صفحةٍ من هذا البحث.

وطريقةُ ترتيبي لهذه المصادر، هي أنّني عندما أتكلّم عن الأحكام الشّرعية، فإني أستخدم المصدرين الأصليين لديننا: القرآن والسنة؛ ولتفسيرهما، أخُذُ من كلام أهل العلم، السلفِ منهم قبل الخلف؛ أما عند الكلام عن المجازر التي ارتكبها الكفار على المسلمين، أو ما يشابه ذلك، فإني أخذ من المقالات والتقارير، ومن ويكيبيديا (الموسوعة الحرّة)، وأُقدِّم الغربيّة من المقالات على غيرها؛ فالإعلامُ العالميّ (الغربي منه خاصّة) اليوم، هو من أشدّ التكتّلات نفاقا وتعتيما، عند الكلام عن قضايا المسلمين؛ فإذا أوردَتْ صحيفةٌ غير إسلامية رقمًا معقولا لضحايا المسلمين في مكانٍ ما، فإننا نأخذ ذلك الرقم، لأن شهادة الخصم على نفسه أقوى من شهادة غيره عليه.

وجديرٌ بالتنبيه، أنه قد تكون صفحات بعض الكتب المطبوعة مختلفةً عن تلك الموجودة في المكتبة الشاملة، لذلك فإني سأحرص على أن أذكر أرقام الأحاديث (مع ذكر الصفحة والمجلّد) لكتب الحديث. أما الصحف والمقالات والكتب الأخرى التي أخذتها من الشبكة العنكبوتية، فإنني وضعت روابطها في الهامش، وذلك لكي يستطيع كل شخصٍ أن يتحقق منها ويراها بنفسه؛ لكن بما أنّ الروابط طويلةٌ في الغالب، سأستخدم الروابط التَّشعُّبِيَّة (hyperlink)، فمن أراد أن ينتقل إلى المصدر، فلينقر على الرابط؛ لكن يجب أن يكون عند الشخص نسخةٌ إلكترونية من الكتاب كال PDF أو الوورد (Word)؛ أما المطبوعة، فإن الشّخص لا يرى إلا عنوان المقال أو الكتاب، ويستطيع أن يضع ذلك العنوان في أحد محرّكات البحث (كالغوغل) لكي يحصل على الصفحة.

---

١ أحد أكبر محركات البحث في الكتب الإسلامية، يحتوي على آلاف من الكتب، يمكن البحث داخلهم وتصفحهم وتحميلهم من الموقع. موقع المكتبة الشاملة: shamela.ws

تنبيه: بعض الروابط قد تكون محذوفة عند قراءتك لهذا البحث، وغالبا ما يحدث هذا لإصدارات المجاهدين؛ فالكفّار يبذلون كلّ الجهد لمَنْعِ المجاهدين من إيصال رسائلهم إلى الناس، فيحذِفون مواقعهم وفيديوهاتهم، ويغلقون صفحاتهم في مواقع التواصل. فإذا أردت أن تجد الإصدار المعنيّ، عليك أن تبحثَ عنه بالعنوان في محرّكات البحث، كالغوغل.

ترجمة المقالات والتقارير الإنجليزية:

كثير ما أستخدم المقالات الغربية الإنجليزية، عند الكلام عن المجازر التي ارتكبها الكفار على المسلمين. أنا أترجم هذه المقالات إلى اللغة العربية، وأجعل رابط المقال—أو التقرير—دائما في الهامش؛ وأحرص بشدة، أن تكون الترجمة حرفيّة بالفعل، لا آخذ من الكلام بعضه وأدع بعضه.

الأخطاء المطبعية في هذا البحث:

لقد حاولت بجدٍّ أن أجعل هذا البحث يخلوا من الأخطاء المطبعيّة، ولكنّي إنسانٌ، وقد كتبت هذا البحث بسرعة، وذلك مجاراةً للأحداث في ساحات الجهاد؛ فليعلم الكلّ أنّي أعتذر عن هذه الأخطاء، والله المستعان على كلّ شيء.

أسأل الله أن يسدّدنا ويوفّقنا لأحسن القول والعمل؛ وأسأله بِمَنّه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم؛ آمين!

بعضَ التعديلات التي أدرجتها في البحث بعد الإنتهاء من الكتاب قبل أشهر

في جمادى الأولى من سنة ١٤٣٦، ثم في شعبان من نفس السنة، وضعتُ بعض التعديلات في البحث، وأعدتُ ترتيب بعض الصفحات. لذلك، سترى بعض المقالات (أقل من عشرة) صدرت بعد انتهائي من هذا الكتاب، ولكنها في غضون وقت التعديل.

***

المبحث الأول: نُبذَةٌ عَن وَاقِعِ المُسلِمِين المُعَاصِر

أُدَوِّرُ عيني على ديار المسلمين، فأرى الآلاف من النّاس وهم يخرجون عن دينهم وتوحيدهم، وذلك بإنزالهم الأنظمة الطاغوتيّة الكفرية (كالديموقراطية[٢]) التي تشاقق كتاب الله وسنّة رسوله، محلّ شريعة الله المطهّرة؛ ثم أنظر، فلا أرى إلا جُثَثَ النّساء وأشلاء الأطفال تتناثر هنا وهناك؛ ثم أُرجِع نظري إليها ثالثة، فلا أرى إلا المزيد من الدّماء، واستصراخ المسلمات العفيفات وهنّ في السّجون، يعذّبن.

إنّ ألم المسلمين اليوم، لا يحتاج إلى من يَذكُره، ولا يحتاج إلى آلةٍ تنقله، لأنه واضحٌ وضوح الشمس لكلّ من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؛ قتلٌ هنا واغتصاب هناك، وتشريدٌ للملايين في الصحاري والثلوج، وزجٌّ لأشراف الأمّة في السجون القذرة المظلمة؛ وفوق هذا وذاك، إخراج الناس عن دينهم وتوحيدهم؛ فما ذا الذي يحصل؟!

لمّا ضعفت الخلافة العثمانية[٣] في أواخر عمرها، تسلّط أعداء الله على جسد المسلمين، يقتطع كلّ واحد منهم قطعة يدّخرها لنفسه؛ فكان من ذلك ما كان في فلسطين، والبوسنة والهرسك، والشيشان، وأفغانستان، وكشمير، والعراق، واليمن، وبورما، والصومال، والجزائر، وتركمانستان الشّرقيّة، وغيرها من البلاد التي تسلّط عليها الكفّار، وأذاقوا فيها المسلمين ما أذاقوا. واستمرّت المأساة تزداد، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم.

لا نستطيع أن نمرّ على كلّ المآسي التي حصلت للمسلمين، فلا يحصي ما حصل إلا اللهُ ربُّ العالمين؛ ولو أردنا أن نكتب عمّا نعلمُ فقط، لتطلّب ذلك منا الآلاف من الصفحات؛ لذلك، فإننا سنقتصر كلامنا على حال الأمة الحالي، ولا نتعرّض كثيرا إلى ما حصل قبل العقد الماضي.

---

٢ الديموقراطيّة بإجمال هي حكم الشّعب لنفسه بما يريد. تعطي الديموقراطيّة حقّ التشريع للبرلمان المنتخب، فيختار النظام الذي يحكمه في البداية، ثم يشرّع القوانين اليومية التي تُسيّر حياة الشعوب؛ والذي ينافي أساسيات الإسلام في هذا، هو أن الديموقراطية تضمن لمجلس الشعب أو البرلمان، أن يشرّع ما يناقض شرع الله، أو أن يزيل بعض شرائع الله ويلغيها، بإخراجها من الدستور أو بإلغائها صراحة، وهذا هو الكفر الصراح بأدلة من القرآن والسنة. إن الله هو الوحيد الذي لا ينازعه أحد في التشريع، وليس لأحد أن يشرّع حكما يخالف حكم الله.

وللتفصيل في هذا الأمر، راجع كلمةً للشيخ أبي يحيى الليبي رحمه الله وتقبّله في تعداد الشهداء، بعنوان: الديموقراطية، الصنم العصري؛ كذلك راجع رسالة قصيرة للشيخ بنفس العنوان: الديمقراطية، الصنم العصري.

٣ صحيحٌ أنّ الدّولة العثمانية لم تكن قويّة في أواخر عمرها، وصحيحٌ أيضًا أنّ الشركيّات والقبوريّة كانت قد انتشرت في بعضهم بشكل كبير (مما أدى إلى سقوطهم بلا شك)؛ لكنّها مع كلّ هذا، كانت تحمل معلم الخلافة واسمه، وكانت بذلك رمزا لوحدة الأمة، ووجها يخيف أعداءها.

لقد خرج الناسُ من دين الله أفواجا

ما من ألـمٍ يحصل للمسلم في الدنيا، إلا ويكون له كفّارة، يمحوا الله بها من ذنبه، ويغفر له بها من سيئاته؛ فلذلك، يمكن أن ننظر إلى الآلام على أنّها منحة من الله وليست محنة؛ فهل تدرون ما هي المصيبة الحقيقية؟ المصيبة كلّ المصيبة، هي تلك التي تصيب الإنسان في دينه، وتجعله يخسر آخرته ومرجعه؛ كلُّنا نعلم أنّ الدنيا فانية، فالخاسر حقا، هو الذي ينتقل من دار البلاء (الدنيا) إلى دار الشقاء (النّار)، نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه. لذلك، فقبل أن نتكلّم عن المصائب الدُّنيوية (من القتل والتشريد وغيرها)، يجدر بنا أن نتطرّق أولا إلى المصائب الأخروية، التي ما فتئت تنهال على رؤوس المسلمين منذ أكثر من قرن من الزمان.

إن جميع بلاد المسلمين اليوم، تُحكَم بغير ما أنزل الله (إلا ما يكون من بعض الأماكن التي يسيطر عليها المجاهدون)؛ تُشرّع الحكومات إلى جانب كتاب الله، ويُحادّون اللهَ في تشريعاته المنزّلة، ويسوقون الكثير من الناس إلى هاوية الكفر والزندقة. لقد عَزمَتْ هذه الحكومات على أنّ بعض التشريعات الإلهية، لا تلائم عصرنا الحاضر، فأخرجتها من النظام الحاكم، وذلك إما بقانون واضح مانع، أو بهدوء وبدون ضجيج (تفاديا لغضب الشّعوب).

ومن بين هذه الأمور التي يراها هؤلاء المرتدون "غير ملائمة" لعصرنا الحاضر، الجهاد في سبيل الله، والحدود الشّرعية (بما فيها قتل المرتد، وقطع يد السّارق، ورجم الزّاني المحصن، وقتل السّاحر، وجلد شارب الخمر)، والنهي عن المنكرات والفجور (بما فيها الزّنا، والرّبا، والخمر)، وغير ذلك من التشريعات الإسلامية، التي تَحُدّ من "حرّيات" الناس، بطريقة أو بأخرى. لقد حُرّم جهادُ الطّلب على يد الأمم المتحدة، وذلك بمنع الأعضاء من انتهاك الحدود الوهمية؛ أما الحدود الشّرعية، فقد أُخرِجت من الأنظمة تماما، ولا يُحاكم أحدٌ عليها؛ فإذا قُبِض على مرتدٍّ أو زاني (أو غيرهم ممن وجب عليهم حدّ شرعي)، لم يكن عليهم شيء أمام القضاء، لأنّه لا يوجد قانون يجعل ما ارتكبوه جريمةً يُعاقِب عليها.

إنّ بعض الدُّول المدّعية للإسلام اليوم، تطبق العلمانية، فتفصل الدّين تماما عن الحكم، معطّلةً بذلك الكثير من أجزاء الشريعة. وهناك بعض آخر اعتنقوا الديمقراطية، فأسّسوا البرلمانات يشرّعون للنّاس ما يرونه مناسبا، بغضّ النظر عن ما إذا كان ما يقولونه يناقض شريعة الله أو لم يكن. لقد أصبحت الأحزاب التشريعية هي من يملك السّلطة العليا في الناس، فنازعوا الله في ربوبيته ومُلكه، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾. [الشورى: ٢١].

ويقول تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾. [المائدة: ٤٤].

تنبيه: لقد تحدثت عن هذا الأمر بطريقة أكثر تفصيلا، في الفصل الثالث، تحت عنوان "ما هي الديمقراطية؟"

وإضافة إلى كفر هؤلاء الحكّام بوضع هذه الأنظمة التي تشاقق كتاب الله، فقد ارتكبوا نواقض أخرى، منها أنهم والو أعداءَ الله، من صليبيين، ويهود، ورافضة، وغيرهم من أصحاب الملل الضالة، وذلك كفرٌ مستقلّ يرتكبه هؤلاء.

كان اليهود يقصفون إخواننا المسلمين في فلسطين لعشرات السّنين، يقتلون فيها الصّغير مع الكبير، والمرأة والعجوز مع الرّضيع؛ كلّ هذا كان يحصل على مرأى ومسمع من جميع دول المنطقة بجيوشهم الجرّارة، وطائراتهم الحربية، وسفنهم التدميرية؛ فماذا تظنّ أنّهم فعلوا؟! الجواب: لا شيء؛ لم يحرّكوا ساكنا، ولم يوجّهوا رصاصة واحدة إلى وجه اليهود الحاقدين، أو إلى الصليبيين المجرمين، بل طاردوا كلّ من حاول أن يصنع للمسلمين شيئا.

ولـمّا طلبت أمريكا منهم الحلف ضدّ المجاهدين في أفغانستان، ثم في العراق، ثمّ في الشام، لم يتردّد هؤلاء العملاء بإجابة الطلب، فأرسلوا الطائرات، وجيّشوا الجيوش، وفتحوا المعسكرات والمطارات للصليبيين، يقصفون منها المسلمين، ثم يرجعون إليها، فيجدونها ملاذا آمنا ومربطا واسعا، كما في واشنطن ونيويورك، بل ربما أحسن؛ وليس الذي يقع الآن في الشام والعراق واليمن عنّا ببعيد!

تلكم هي الحكومات، فما حال الشّعوب؟!

أما الشعوب فإلى ثلاثة أقسام: قسم أُشربوا في قلوبهم الديموقراطية والنّظم العلمانية المحايدة لشرع الله، فأحبّوا الكفر وارتضوا به، وتركوا دين الله شرعا وحكما؛ والقسم الثاني، هم قوم لم يرضوا بتلك النظم الكفرية، لكنّهم عجزةٌ ضعفاء، فهم قعدوا في بيوتهم ينتظرون الفرج من الله، ولا يحرّكون بنانا لتغيير الأوضاع؛ والقسم الثالث—وهم القلّة من الناس—هم الذين قاموا ليغيّروا، وليُعيدوا الناس إلى دينهم من جديد... **إنّهم هم المجاهدون**.

لقد عمِد الطواغيت إلى المجتمعات المسلمة، فنشروا فيها الفساد على أكبر ما يكون، واستأجروا المضلّلين من مدّعي الثقافة والحضارة، فبثّوا مبادئ الكفر الملعونة في قلوب المسلمين، من ديموقراطيّة، وعلمانية، وشيوعية، وغيرها؛ فشربت

قلوب الناس ذلك، وامتلأت صدورهم منها؛ فمع أن أكثر العامّة يقفون موقف المحايد، إلا أنّ عدد الذين ينساقون خلف هذه الدعوات الكفرية، ليس بقليل؛ وبهذا، يكون كثيرٌ من الناس قد كفروا بربّهم وهم لا يشعرون.

والسبب الأكبر في تفشّي نظم الكفر في أوساط العامّة، هو الجهل؛ فإذا تدبّرنا حال الشعوب المسلمة اليوم، نرى أنّ قسما كبيرا منهم، يجهلون في أمور الدّين العظمى (كمسائل التوحيد والولاء والبراء)، فيوشك كثير منهم أن يتساقطوا في الكفر والردّة وهم لا يعلمون؛ تراهم يتخبّطون هنا وهناك، ويتكلّمون بالسّوء عن المجاهدين في سبيل الله، ويستهزأ كثير منهم بأمور من الدّين (كالجهاد والحدود وملك اليمين)، وكلّ ذلك يُخرِج الشخص عن دين الله.[٤]

فهذا هو الحال الدّيني لمجتمعنا المسلم اليوم؛ القسم الأكبر منهم حيادي، لا يأمر بخير ولا شرّ، يقف ينظر إلى الأمر وكأن المشكلة لا تعنيه؛ والقسم الثاني، هو الذي انساق وراء حكّام الضلال، وانجرّ خلف كفرهم وشيطنتهم؛ أما القسم الثالث (وهم الأقل عددا، والأكثر أعداءً) هم المجاهدون الذين أبوا أن يذِلُّوا لأحد إلا لربّ العالمين.

الآن وقد رأينا الحالة الدينية، لنتطرّق إلى المآسي الحسّية التي يعاني منها المسلمون، كالقتل، والتشريد، والاغتصاب، والحبس، وأمثال ذلك.

---

٤ كراهة بعض أحكام الدّين (كالجهاد أو الحدود أو ملك اليمين أو الحجاب)، أو الاستهزاء منها، يُعَدّ كفرا أكبر مخرجا من الملّة. ففي الكراهية لبعض أحكام الدين يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾. أمّا الاستهزاء من بعض أحكام الدّين، فإنه أشدّ من الكراهية القلبية، وقد حكم الله الكفر على الذين استهزءوا من النبي—صلى الله عليه وسلّم—وأصحابه بكلامٍ كانوا يرونه بسيطا فقالوا "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء"، فأنزل الله سبحانه وتعالى في حقّهم:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾.

حال المسلمين في العراق

إنّ القلب لا يستطيع أن يستوعب مدى الجريمة الجسيمة التي أحدثها الأمريكان وحلفائهم في العراق المسلم الحبيب؛ وأنا إذ أكتب هذا، لا أدري بأي الجرائم أَبْدَأُ، ولا أدري ماذا أقول عن عراقنا الجريح وماذا أدع؟! لقد جَثَا العدوّ على العراق بحربٍ لم تترك الأخضر واليابس، بحربٍ قَتَلَ الصغيرَ فيها مع الكبير، والرجل مع المرأة، والشابّ مع الشيخ؛ لقد فعل الأعداء في العراق ما يعجز العقل عن تصوّره: اغتصابٌ للنساء، وقتلٌ للولدان، واحراق لمدائن بأكملها بقنابل الفسفور والنابالم، حتى انسلخ أهلها من جلودهم وهم أحياء.

لا توجد إحصائيات رسميّة للقتلى من المسلمين في هذه البلدة، لأنّ القتلى في العراق أكثر بكثير من أن يُحصوا، ويكفي دلالة على ذلك أنّ الحصار الذي سبق غزو الأمريكان للعراق قد أدّى إلى وفاة مليونٍ ونصفِ مليون طفل مسلم، نتيجة الجوع، ونقص الدواء، وافتقادهم إلى أبسط وسائل الحياة.[٥] إلا أن بعض التقارير التي قامت ببعض الإحصائيات الأوّليّة، تشير إلى أنّ عدد القتلى من غير المقاتلين فقط، يزيد على مائتين وثلاثة وعشرين ألفا (٢٢٣،٠٠٠)؛ وهذا التقرير الذي بثّته صحيفة الغارديان (Guardian)، والذي شارك في إخراجه مسؤولون من منظّمة الصحة العالمية، يغطّي فترة قصيرة فقط نسبيّا، وهي ما بين سنة ٢٠٠٣م إلى سنة ٢٠٠٦م.[٦]

وإحصائية أخرى أجرتها مجلة لانسيت الطبية البريطانية، وذكرت فيها دراسة مسْحيّةً للقتلى، تشير إلى أنّ ستمائة ألف وخمسة وخمسين ألف عراقي (٦٥٥٠٠٠) قُتِلُوا، منذ بداية الغزو الأمريكي في ١٩ آذار مارس ٢٠٠٣م، وحتى ١١ تشرين الثاني أكتوبر ٢٠٠٦م؛[٧] فإذا كان عدد القتلى هكذا لثلاث سنوات فقط، فكم ستكون الأرقام للسنوات الباقية يا ترى (من ٢٠٠٣م إلى اليوم) ؟!!

---

٥ موقع ويكيبيديا بعنوان: حصار العراق.

٦ (انجليزي): موقع الغارديان بعنوان: Iraq war: make it impossible to inflict such barbarism again.
(انجليزي): موقع الغارديان بعنوان: 151,000 civilians killed since Iraq invasion.

٧ (انجليزي): موقع ويكيبيديا بعنوان: Lancet surveys of Iraq War casualties.
(انجليزي): موقع الغارديان بعنوان: 655,000 Iraqis killed since invasion.

هذه أعداد القتلى فقط؛ أما الجرحى، فقل فيهم ما تريد ولا أظنك تحنث...... **فإنا لله وإنا إليه راجعون.**

غزو الفلوجة الثاني (٢٠٠٤م)

مع أنّ أحداث هذه الغزوة تدخل في غيرها من الأحداث التي وقعت في العراق، إلا أنني أخصها بالذّكر لما حصل فيها من مآسي عظيمة للشّعب المسلم في العراق.

أولا، كان الأمريكان يستهدفون كلّ من يتحرّك داخل هذه المدينة الكبيرة، وهذا حسب ما يرويه الضابط الأمريكي، جَيْفْ إِنْجَلْهَارْتْ: (أنا شخصيا، كنتُ مسؤولا عن مهامّة اصطحاب قائدٍ إلى الفلوجة، وأُمِرنا عند دخول الفلوجة، عند دخول منطقة القتال، أنّ كلّ من يتحرك أو يتكلّم أو يتنفّس، هو مقاتل من الأعداء؛ وعلى هذا الأساس، فكلّ شخص يتحرّك في طريق أو في بيت، كان هدفا لنا). ثم سأله المذيع: (ماذا ستروي لابنك عن معركة الفلوجة؟) فأجاب: (أنها بدت لي كمذبحة كبيرة للعرب؛ لقد كانت مذبحة جماعية).[٨]

ثانيا، على الرغم من قصف الأمريكان الكثيف للمدينة، وقتْلِهم كل من تأتّى عليه سلاحُهم، إلا أنها استعصت عليهم بعون الله ومَنّه أولا، ثم بصلابة المجاهدين وصبرهم وشجاعتهم ثانيا؛ وعندما لم يستطع الكفار السيطرة على المدينة، عمدوا إلى سلاحٍ منعوا استعماله هم بأنفسهم، ألا وهو الفسفور الأبيض، وكذلك مادة النابالم الحارقة، وذلك هو ما أحرق الأخضر مع اليابس.

لقد أذاب الفسفور والنابالم الناس، وانسلخ الناس من جلودهم وهم أحياء؛ ويُقال بأنه لم تبق حياةٌ في الفلوجة بعد هذا القصف (إلا بعد أن رجع الأهالي إليها)، حتى الكلاب والقطط نفقت، والأشجار يبست؛ وبعد هذا فقط، تمكنوا من الفلوجة، فدخلوها أرضًا جرداء لا حياة فيها؛ جثثٌ هنا، وجثث هناك؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

٨ الفيلم الوثائقي "الفلوجة، المذبحة الخفية"، أو بالإنجليزية "Fallujah, the Hidden Massacre"، الذي بثته قناة آر إيه آي (RAI) الإيطالية، في ٨ نوفمبر ٢٠٠٥م.

يقول المذيع لجيف إنجلهارت: (جيف أنت شاركت في هجمات نوفمبر من العام ٢٠٠٤م الأفظع؛ هل استُخدِمَتْ أسلحةٌ كيميائية في الفلوجة؟). فأجاب: (أتعني هل استَخدمته الولايات المتحدة؟ بالطبع! الفسفور الأبيض بالتأكيد، وربما النابالم، ولكن أنا متأكد من أنّ الفسفور الأبيض قد استُخدِم، وهو بلا أي غبار، سلاح كيماوي).[٩]

تُظهِرُ الفيديوهات الملتقطة، صور الناس المحترقين والمنسلخين عن أجسادهم (وهذا مع التكتّم الإعلامي الشديد، والحرص العظيم الذي بذلَتْه أمريكا لعدم تسرّب هذه الصور إلى الخارج)، كما يمكن أن ترى النساء المصلّيات وفي أياديهنّ المسبحة. لقد كانت مجزرة بكل معاني الكلمة.





[١٠]





٩ المصدر السابق.

١٠ هذه الصور، مقتطعة من الفيلم الوثائقي: Fallujah, The Hidden Massacre





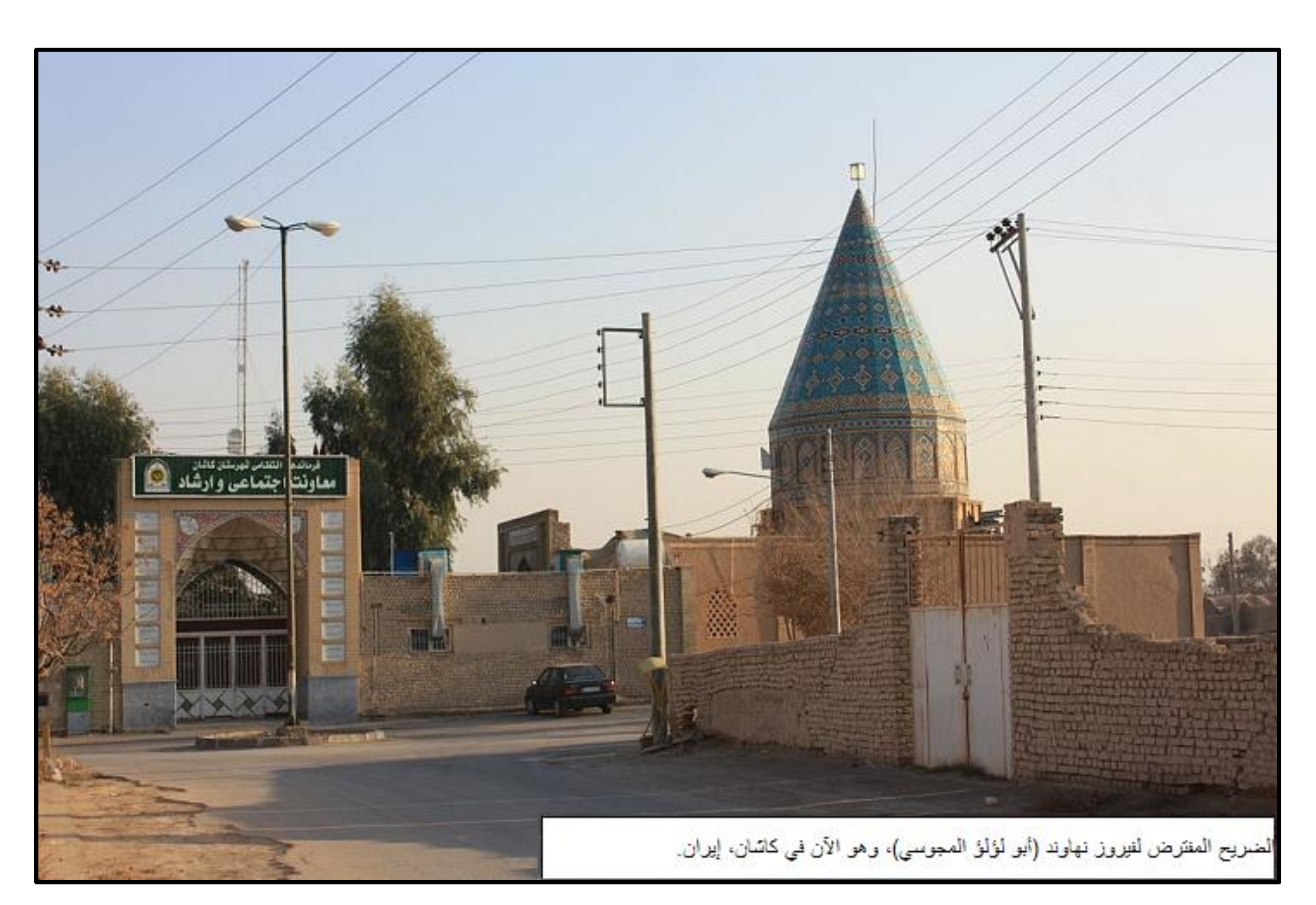
وتبقى الفلوجة إلى اليوم الحاضر ملوّثةً بالكيماوي، وقد كثُر في الناس أنواعٌ كثيرة من السرطانات، وزاد مُعدّل المواليد المشوَّهين بنسبةٍ كبيرة جدّا؛ فقد كتبت صحيفة "الإندبندنت": (لقد اشتكى الأطبّاء العراقيون في الفلوجة منذ عام ٢٠٠٥، من الزيادة الكبيرة في عدد الاطفال الذين يعانون من عيوبٍ خلقيّة خطيرة، تتراوح بين طفلةٍ وُلِدت برأسين إلى شللٍ في الأطراف السّفلية. وقد تمّ دعْمُ ادّعائهم من خلال دراسةٍ استقصائية، تُظهِر زيادةً قدرُها أربعة أضعاف في جميع أنواع السرطانات، وزيادةُ ١٢ أضعاف في سرطان الأطفال تحت سنّ الرابعة عشرة. يقول الدكتور باسبي أنه على الرغم من عدم القدرة على تحديد نوع الأسلحة المستخدمة من قبل قوات المارينز، إلا أنّ مدى الأضرار الجِينيّة التي يعاني منها السّكّان، يوحي باستخدام اليورانيوم بشكلٍ ما، وقال: "تخميني هو أنهم استخدموا سلاحا جديدا ضد المباني لاختراق الجدران وقتل من بداخلها").[١١]

---

[١١] صحيفة الإندبندنت بعنوان: Toxic legacy of US assault on Fallujah worse than Hiroshima.

الاحتلال الرّافضي للعراق وجرائمهم فيها (٢٠٠٣م–اليوم)

الرافضة الاثنا عشريّة، هم من أعظم ذوي الأهواء كفرًا وظلمًا؛[١٢] يستغيثون بغير الله، ويدعون وينحرون للأضرحة، ويعتقدون أنّ أئمتهم يعلمون الغيب، ويقولون بتحريف القرآن، ويستبيحون المحرّمات التي تواترت الأدلّة في تحريمها (كنكاح المتعة)، ويُعادون خيار أولياء الله تعالى بعد النبيين، من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويلعنون أبا بكر وعمر صباحا ومساءا ويكفّرونهما، حتى بنوا ضريحا ملمّعًا يُزار في إيران، لأبي لؤلؤة المجوسي الذي قتل عمر، رضي الله عن عمر وعن جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلّم.[١٣]



الضريح المفترض لفيروز نهاوند (أبو لؤلؤ المجوسي)، وهو الآن في كاشان، إيران.

---

١٢ يقول الإمام البخاري رحمه الله: (مَا أُبَالِي صَلَّيْتُ خَلْفَ الْجَهْمِيِّ الرَّافِضِيِّ أَمْ صَلَّيْتُ خَلْفَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَا يُسَلَّمُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُعَادُونَ، وَلَا يُنَاكَحُونَ، وَلَا يَشْهَدُونَ، وَلَا تُؤْكَلُ ذَبَائِحُهُمْ). [خلق أفعال العباد للبخاري، ص ١\١٣٣].

١٣ موقع ويكيبيديا بعنوان: قبر أبو لؤلؤة. من الممكن ألا تكون جثّة أبو لؤلؤة في فارس، لأنّه انتحَرَ بعد أن طَعَن عمر ابن الخطّاب رضي الله عنه. لكن على الرغم من ذلك، فإن ضريحا قد بُني باسمه يوجد في إيران الآن.

وفوق هذا وذاك، يوالون أعداء الله من اليهود والنصارى والمشركين وأصناف الملحدين، وكان هذا دأبهم عبر القرون والأزمان، من بدايتهم إلى يومنا هذا؛ فهم أحفاد ابن العلقمي الذي أدخل التتار إلى بغداد، فأسقطوا الخلافة العباسية، وقتلوا أكثر من مليون مسلم في يوم واحد، وحرّقوا المكاتب الإسلامية حتى تحوّل لون النهر إلى حبرٍ أسود؛ وهم الذين أعانوا الصليبيين على مدى الأزمان، فكانت دولة الفاطميين القرامطة في مصر، حليفةً لفرنجة بيت المقدس ضدّ آل زنكي (عماد الدّين زنكي ثم نور الدّين محمود)، وهم الذين عاونوا الصليبيين قبل ذلك في قتالهم للسّلاجقة في الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٩م؛ ثم هم الذين عاونوا الصليبيين في قتالهم مع صلاح الدّين الأيوبي في الإسكندرية وفي غيرها من مدن مصر؛ وليست هذه إلا أمثلة لخيانات الرافضة، وإلا فتولّيهم للكافرين شيء معلوم ومسطّر في كتب التاريخ، ولو بحثنا فيه الآن، لامتدّ ذكرُه.

والآن، جاء دورهم ليعينوا الصّليبيين الذين تترأّسهم أمريكا؛ لقد كان الرافضة هم الذراع الأيمن للحلفاء الكفار الذين غزو العراق، فطعنوا أهل السنة مرّة أخرى بيدهم النّجِسة، وصنعوا بهم (تحت رعايةٍ صليبية طبعا) ما يَصعُبُ تصوّرُه.

يقول الإمام ابن القيّم رحمه الله في الروافض: (ثُمَّ إِنَّا رَأَيْنَا آثَارَ الْفَرِيقَيْنِ تَدُلُّ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ مِنْهُمَا، فَرَأَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَحُوا بِلَادَ الْكُفْرِ، وَقَلَبُوهَا بِلَادَ إِسْلَامٍ، وَفَتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ وَالْهُدَى، فَآثَارُهُمْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَرَأَيْنَا الرَّافِضَةَ بِالْعَكْسِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَإِنَّهُ قَطُّ مَا قَامَ لِلْمُسْلِمِينَ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ إِلَّا كَانُوا أَعْوَانَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَكَمْ جَرُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِنْ بَلِيَّةٍ؟ وَهَلْ عَاثَتْ سُيُوفُ الْمُشْرِكِينَ عُبَّادِ الْأَصْنَامِ مِنْ عَسْكَرِ هُولَاكُو وَذَوِيهِ مِنَ التَّتَارِ إِلَّا مِنْ تَحْتِ رُءُوسِهِمْ؟ وَهَلْ عُطِّلَتِ الْمَسَاجِدُ، وَحُرِّقَتِ الْمَصَاحِفُ، وَقُتِلَ سَرَوَاتُ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَاؤُهُمْ وَعُبَّادُهُمْ وَخَلِيفَتُهُمْ، إِلَّا بِسَبَبِهِمْ وَمِنْ جَرَّائِهِمْ؟ وَمُظَاهَرَتُهُمْ لِلْمُشْرِكِينَ وَالنَّصَارَى مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَآثَارُهُمْ فِي الدِّينِ مَعْلُومَةٌ). أ.هـ.[١٤]

الذي حدث في الفلوجة عام ٢٠٠٤م، لم يحدث إلا بعد أن وقّع إياد علاوي الرافضي الخبيث على أن يدخل الأمريكانُ المدينة بأي ثمن، وأرسل جنوده المرتدين يقاتلون إلى جانب الأمريكان؛ لقد قصف الأمريكانُ المدينةَ بقنابل تحتوي على مادتي الفسفور الأبيض والنابالم، وهو الذي أدّى إلى مقتل أهالي المدينة وانسلاخهم من جلودهم أحياء.

---

١٤ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ص ١\١٩٤.

ولما خرج الأمريكان، ورث الروافض تَـرِكَتَه، فواصلوا عمليّات القتل الممنهجة، والاعتقالات العشوائية، وقصف المدائن على رؤوس سكّانها، وغير ذلك من الجرائم التي لا تحصى ضد شعوب أهل السنة؛ فقد جاء في الجزيرة نت في أكتوبر عام ٢٠١٣م أنّ: (قسم حقوق الإنسان في هيئة علماء المسلمين، رصد اعتقال ١٢٦٤ "مواطنا بريئا"، بينهم تسع نساء، وذلك ضمن ١٤٦ حملة اعتقال نفذتها الأجهزة الحكومية في سبتمبر/أيلول الماضي).[١٥]

أما القتل، فلا يحصيه أحدٌ في الحقيقة، لأن الرّوافض كانوا يعدمون السّجناء بالمئات، ويقتحمون البيوت يغتالون من فيها، ويقتلون المتظاهرين العُزَّل، كما صنعوا في مجزرة قضاء الحويجة، حيث اقتحموا على مظاهراتٍ لبعض أهل السنة، فقتلوا العشرات ممن كان في السّاحة، وجرحوا المئات خلال ساعات؛ وتقول بعض المصادر بأن القتلى يزيدون على الثلاثمائة، إلا أنّني أخذت أقل عدد أجمعت قنوات الأخبار عليه؛[١٦] فجاء في ويكيبيديا: (لقد قُتِلَ مَا مجموعُهُ ٤٢ شخصا، وجرح ١ ٥٣ آخرون على الأقل، معظمهم من المتظاهرين).[١٧]

إضافة إلى هذا، فهم كانوا (وما زالوا) يقصفوا المدائن التي استعصت عليهم، بمن فيها وما فيها من المسلمين؛ وليس الذي يحصل الآن في شمال وغربي العراق (وخاصّة الفلوجة) عنا ببعيد؛ نسأل للمسلمين السلامة.

عودة الأمريكان وحلفائهم (٢٠١٤م)

واليوم رجع الأمريكان من جديد، لاقتلاع الجهاد من جذوره، وتحطيم الخلافة الجديدة التي أقامها مجاهدو الدّولة الإسلامية؛ فهم الآن يقصفون بطائراتهم المدنَ والقرى، والله فقط، هو الذي يعلم ما يقتلونه من نساء وأطفال وشيوخ، وما يدمّرونه من بيوت وممتلكات.

إذا استيقظ بعضنا في الصّباح، ثم نظروا إلى قنوات الأخبار، فإنه ولا بد، سيرون حديثا عن بعض "المدنيين" الذين سقطوا، بقصفٍ هنا أو بتدميرٍ هناك؛ كان آخر هذا هو ما حدث يوم أمس (١١\٨\٢٠١٤م) في مدينة الرمانة

---

١٥ موقع الجزيرة نت بعنوان: الاعتقالات "العشوائية" تثير مخاوف العراقيين.

١٦ شاهد هذا الفيديو وغيره، وسترى عِظم المأساة التي حصلت في الحويجة:
https://www.youtube.com/watch?v=VcpVS7J-Rks

١٧ (انجليزي): موقع ويكيبيديا بعنوان: 2013 Hawija clashes

غربي العراق، حيث جاء في الجزيرة نت: (أنّ نحو خمسين شخصا سقطوا بين قتيل وجريح في قصفٍ جوّيّ على السّوق الشعبي في ناحية الرمانة التابعة لقضاء القائم (غربي العراق)؛ وأطلقت طائرةٌ صاروخا على السّوق، ثم أعقبته بصاروخ ثان بعد تجمع الأهالي لانتشال قتلى وجرحى الصّاروخ الأول.

وذكر متحدث للجزيرة أن القصف كان من طائرات تابعة للتحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة ضد تنظيم الدولة، حيث يسيطر التنظيم على المنطقة منذ أشهر).[١٨]

١٨ موقع الجزيرة نت بعنوان: ٥٠ قتيلا وجريحا بقصف جوي على سوق غرب العراق.

اغتصاب المسلمات

عبير قاسم الجنابي، هي فتاةٌ مسلمة عراقيةٌ، تبلغ من العمر ١٤ عاماً، من بلدة المحمودية جنوب بغداد؛ تعرضت هذه الفتاة لاغتصابٍ جماعي على أيدي جنودٍ أمريكيين، ثم قتلوها وأحرقوا جثّتها، بعد أن قاموا قبل ذلك بقتل أمّها وأبيها وشقيقتها الصّغرى التي تبلغ من العمر ستّ سنوات في المنزل نفسه؛ جاء في موقع ويكيبيديا عند الكلام عن هذه القضية المؤلمة: (بينما كان ثلاثة جنودٍ اميركيين يتناوبون على اغتصاب العراقية عبير الجنابي البالغة من العمر ١٤ عاما، اقتاد "غرين" والديها وشقيقتها التي تبلغ من العمر ستّ سنوات إلى غرفة مجاورة، وقام بقتلهم؛ وقاموا بعد ذلك بإحراق جثّة الفتاة وملابِسِهِم، في محاولةٍ لمحو آثار الجريمة).[١٩]

وما حصل لعبير رحمها الله، ليس هو الأول من نوعه، وليس هو الأخير، فالأمريكان لعنهم الله، ارتكبوا في حقّ شعبنا المسلم ما يصعب تخيّله، وكذلك أذنابهم من الرافضة، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

سجن أبو غريب (٢٠٠٣م –الآن)

أثناء الحرب على العراق (من بدايته إلى أن خرج الأمريكان)، كان أفراد الشرطة العسكرية التابعة لجيش الولايات المتحدة ووكالة الاستخبارات المركزية، يرتكبون أبشع ما يمكن تصوره في هذا السجن. كانوا يغتصبون الفتيات، ويضاجعون الرجال، ويسْحَبُون السجناء في السجن كالكلاب الميّتة، ويقتلون المعتقَلين جرّاء التعذيب المهين. ثمّ بعد أن خرجوا (لِيعودوا طبعا)، تركُوا الروافض من ورائهم، فواصلوا العادة التقليديّة (عليهم جميعا من الله ما يستحقّون).

---

١٩ موقع ويكيبيديا بعنوان: جرائم المحمودية.


Lynndie England holding a leash attached to a prisoner, known to the guards as "Gus", who is lying on the floor

جاء في تقريرٍ للجنرال الامريكي انطونيو تاغوبا بعد تحقيقٍ أجراه فيما حصل في سجن أبو غريب: (تتضمن الإساءة المتعمَّدة للمعتقَلين، من قِبَل أفراد الشّرطة العسكرية الأفعال التالية:

١- حارسٌ ذكرٌ من الشّرطة العسكرية، يمارس الجنس مع معتقَلةٍ أنثى

٢- ترتيب السّجناء، ووضعهم عنوة في أماكنَ جنسيّةٍ مختلفة، للتّصوير

٣- إجبار المعتقَلين على خلع ملابسهم، وابقائهم عراة لعدة أيام

٤- إجبار المعتقلين الذكور عراةً، على ارتداء الملابس الدّاخلية للنّساء

٥- ترتيب المعتقلين الذّكور العراة في كومة، ومن ثم القفز عليهم

٦- وضع سلسلة الكلاب أو حزام، حول رقبة المعتقل عاريا، ثم جعل جندية أنثى، تأخذ صورة منه

٧- استخدام كلاب العمل للجيش (بدون كمامة تمنعه من أن يعضّ المعتقَل)، لترهيب وتخويف المعتقَلين؛ وفي حالة واحدة على الأقل، عُضَّ المعتقَل، وأُصيب إصابة بالغة).[٢٠] [٢١]

---

٢٠ (انجليزي): موقع ويكيبيديا بعنوان: Taguba Report.

٢١ تنبيه: لقد أعدت ترتيب بعض البنود المذكورة في التقرير، لأن بعض البنود الأكثر أهمية كانت في الأسفل، فوضعتها في الأعلى كي تحظى باهتمام القارئ. وأنبه القارئ بأنني لم أغيّر محتوى البنود، لكني أعدت ترتيبها فقط.

لو رأيتَ الصّور التي التُقِطَت، وحُثالةُ الأمريكان يجعلُ المسلمين يركب بعضهم بعضا وهم عراة، لاقشعرّ جلدُك، ولَبكيتَ على إثره؛ لو رأيت المسلمين وهم يُسْحَلُون كالكلاب والقطط الميّتة داخل السجن، لما تمالكْتَ، ولَبدأَتْ بطنك تندفع قيئا. وما ذنبهم إلا أن آمنوا بربّهم وقاموا بأوامره!

وكنتُ أحبّ أن أعرض عليكم صورا من بعض ما يفعله هؤلاء الحثالة، لكنّ الصور فيها أمورٌ يحرم النظر إليها؛ ومن أراد أن يبحث، فليكتب "سجن أبي غريب" في محركات البحث (كاليوتيوب وغوغل)، وسيرى!



معتقل عراقي في سجن ابو غريب بين ايدي سجانيه (الشرق الاوسط)

فهذا هو حال العراق اليوم، لا يختلف كثيرا عن البلاد الإسلامية الأخرى التي وطأها العدو (إلا بأعداد القتلى).

السيناريو العامة لا تختلف كثيرا في جميع بلاد المسلمين اليوم؛ بلادٌ غزاها الكفار، أو نَصّبوا عليها دولةً عميلة تحكم بغير كتاب الله نيابةً عنهم؛ فمن عاش من أهل البلدة، عاش على خطرٍ أن يفقدَ توحيده وأن يؤمن بالديموقراطية أو غيرها من النُّظُم المحايدة لشرع الله، وعاش كذلك بذلٍّ وهوان، تحت رحمة القصف، والقتل، والاعتقالات العشوائية، والتعذيب في السّجون؛ ومن قُتِل منهم (سواء أكان من المجاهدين أو من القاعدين)، فإنه لا بواكيَ له؛ لا أحد يعرفه إلا ربّه، ولا أحد يتكلّم عنه إلا أهله؛ يُدفَنُ في قبرٍ بعيد تحت ظلمة الليل، وتنتهي أسطورته هكذا... والله المستعان.

جَاءَ الصَّلِيبُ بِحَدِّهِم وَحَدِيدِهِم	***	لِيُعَبِّدُوا البُـلدَانَ لِلشَيطَـانِ
قَتَلُوا الأُلُوفَ مِنَ النِّسَاءِ وَمِثلَهُم	***	أَلْـفٌ وَأَلـفُ كُـلُّهـم صِبيَانِي
حِمَــمٌ مِنَ النِيرَانِ تُقذَفُ بَينَــهُم	***	فَتُقَـطِّعُ الأَشـلَاءَ وَالـكِبِـدَانِ

حال المسلمين في فلسطين

إنّ ما حصل (ويحصل) للمسلمين في فلسطين، يعجز عن إحاطته كتابٌ واحد: قتلٌ وتشريد، واغتصابٌ وتنكيل، وهدمٌ للبيوت على رؤوس أهاليها، وتهجيرٌ للملايين من المسلمين من ديارهم. لقد ارتكب اليهود مجازر شنيعة ضدّ إخواننا في فلسطين، من أيام الاحتلال إلى يومنا هذا... مجازر لا ينساها التّاريخ، ولا يمكن له أن ينسى. فمع أنّه ليست هناك إحصائيات رسميّة لضحايا المسلمين في فلسطين، إلا أنّ مجموعهم يفوق الملايين، من شهداء وجرحى فقط، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.......



هذه غزّة، وهي تشهد أياما من أصعب أيّامها (في رمضان، ١٤٣٥)، حين غزا عليها اليهود كما كان دأبهم في السابق، يقصفون منازل السكّان بدباباتهم وطائراتهم، ويقتلون كلّ من وصلت إليه قنابلهم ورصاصهم؛ لقد راح ضحيّةً لهذه المجزرة أكثر من ألفين وأربعمائة من المسلمين لقو حتفهم، وأكثر من إحدى عشر ألف جرحوا؛ وهذه الأرقام، هي حسب إحصائيات الأمم المتحدة[٢٢]، ولو تعقّبنا الأحداث، لوجدنا الأعداد الحقيقية هي أضعاف ما ذُكِر. شهران كاملان، وسماء غزّة لا تُشِع بالقمر، بل بالقنابل والبراميل المتفجّرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي ظلّ كلّ هذه الأحداث، ماذا كان يصنع حكّام العرب المحيطون بفلسطين؟ أترك الجواب لك أيها القارئ، فأنا لا أقدر بأن أُجيب؛ لأنّه، حتّى ولو انتهى الدّين بأكمله من قلوب هؤلاء الحكّام الخبثاء، فإن الشّخص يُقدِّر بأنهم لا

---

٢٢ أعني أمم الكفر المتحدة، قبّحها الله، وأزالها عن بكرة أبيها.

يزالون بشرا، ولو أبصروا ما ينْهال على أهل فلسطين من الأحزان، لقاموا للنصرة (لا للدّين، بل للإنسانية فقط)! لكن هيهات، فإن الأيام قد علّمتنا غير ذلك، والله المستعان على كل شيء.


.

كانت هذه واحدة فقط، من مئات المجازر التي يرتكبها الأعداء ضدّ إخواننا في فلسطين؛ فلقد كان المسلمون يعانون من مثل هذه المجازر منذ بداية الاحتلال؛ فهاهي غزة مرة ثانية، قبل وقت ليس بالكثير (سنة ٢٠٠٨م بالتحديد)، وهي تشهد مأساة لا تقل صعوبة عن التي تحدثنا عنها قبل قليل.

مجزرة السبت الأسود، هي مذبحة من أشنع ما قام به العدوّ اليهودي المحتل، راح ضحيّةً لهذه المذبحة، آلافٌ من الشهداء، وآلاف آخرون من الجرحى، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله؛ فمع أنّه لا يعلم عدد الضحايا بالضبط إلا الله، إلا أنّ بعض المصادر تشير إلى أنّ هذه المذبحة أسفرت عن استشهاد أكثر من ألف وأربعمائة مسلم على الأقل (من بينهم ٩٢٦ مدنياً و٤١٢ طفلاً و١١١ امرأة) وإصابة ٤٣٣٦ آخرين بالجروح.[٢٣] لقد استهدف طيران اليهود كلَّ أحد في هذه الغارة، فقتل الولدان والنّساء والشّيوخ، ودمّر البيوت والمساجد والمستشفييات بمن فيها وما فيها.

---

٢٣ موقع ويكيبيديا بعنوان: الحرب على غزة ٢٠٠٨–٢٠٠٩.

ولا يتوقف إجرام اليهود عند هذا

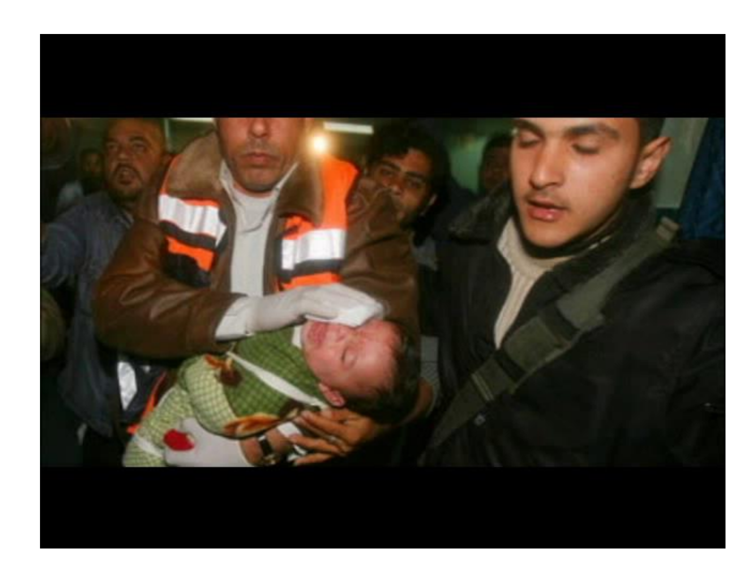
فمأساة السجناء وتعذيبهم، لا تقل ألما عن مآسي القتل والتنكيل؛ فلقد نقلت المصادر، على أن الآلاف من الفلسطينيين يقبعون في سجون اليهود، كثير منهم قد حُكِموا بالسجن المؤبّد؛ جاء في الموسوعة الحرّة (ويكيبيديا): (تشير آخرُ إحصائيةٍ رسميةٍ صدرت عن مركز الإعلام والمعلومات الوطني الفلسطيني، إلى أن عدد الأسرى الفلسطينيين والعرب بالسّجون والمعتقلات الإسرائيلية، بلغ ثمانية آلاف أسير؛ ومن بين هؤلاء الأسرى ٢٤٠ طفلا و٧٣ امرأة وفتاة، وكلهم موزعون على ٢٢ سجنا ومعتقلا إسرائيليا داخل وخارج الخط الأخضر؛ وقد سجلت جمعيات حقوق الإنسان استشهاد ١٠٣ أسرى من جراء التعذيب). أ.هـ.[٢٤]

إنّ العدوّ الصهيوني يمارس مثل هذه الاعتداءات في كل مرة، منذ احتلاله لبلاد المسلمين، إلى يومنا هذا؛ فهو يقتل الآلاف من الناس (لا يفرق بين أحد، نساء وشيوخا وأطفالا، لا يهمّ!)، ويزج في سجونه مئات الآلاف من أخيار المسلمين، كبارا وصغارا؛ والله المستعان...!



٢٤ موقع ويكيبيديا بعنوان: سجون ومعتقلات إسرائيلية.


إنه في الثالثة والنصف ...
في الثالثة والنصف من عمره ...




الشهيدة/جواهر











فإنا لله وإنّا إليه راجعون!!!

شَهِدَ البِلَادُ بِأَنَّ جِيلَ مُحَـــمَّدٍ *** لَيسُوا كَمَا كَانُوا مِنَ الإِيمَـانِ

سَمِعُوا صُرَاخَ المسلِمَاتِ وَطِفلَةً *** قُتِلَت أَمَامَ الطِّفلِ وَالطِّفلَانِ

لَكِنَّهُم لَــم يَقدِرُوا أَن يَــبذُلُوا *** إِلَّا دُمُوعَ الـــذُّلِّ وَالـخِـذلَانِ

حال المسلمين في بلاد الشام (سوريا)

منذ أكثر من ثلاث سنوات، والمسلمون في سوريا يتجرّعون من أسوأ المجازر وأشنعها؛ فلقد ارتكب النّظام النّصيري الحاقد في حقّ أمتنا المسلمة، ما ترتجف منه القلوب، وتدمع منه العيون، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

فمع أنه لا يحصي عدد القتلى والجرحى والمشرّدين أحد إلا الله، إلا أنّ بعض المصادر تشير إلى أرقام سطحية، من القتلى الذين سُجّل موتهم في المستشفيات؛ فتقول الأمم المتحدة في بعض تقاريرها، أنه ما بين مارس ٢٠١١م ونهاية ابريل ٢٠١٤م، بلغ عدد القتلى إلى أكثر من مائة وتسعين ألفا[٢٥]؛ ومن المعلوم أنّ هذه الأرقام لا يمكن أن تكون صحيحة، لأن كلاب النصيرية يقتلون بالبراميل المتفجرة والكيماوي والتعذيب في السجون ما لا يمكن أن يعلمه أحد؛ فهذه الأرقام ليست إلا عدد الذين سُجّل موتهم في المستشفيات؛ ولْنَذْكُر أيضا، أنّ هذه الأرقام لا تحتوي على الجرحى والمفقودين، بل القتلى فقط؛ أما الأخرون، فقل فيهم ما تريد ولا حرج.



٢٥ وكالة رويترز (Reuters) بعنوان: U.N. says Syria death toll tops 190,000
مجلّة دا ويك (The week) بعنوان: Assad is America's strange bedfellow and the price is 190,000 dead
قناة سي بي سي نيوز (CBC News) بعنوان: Syrian civil war: Death toll more than 190,000: UN
تنبيه: كل هذه الروابط هي بالإنجليزية.

يقصف المجرمون أهلَنا بالكيماوي، فترى أناسا في قريةٍ كاملة قد ماتوا، وليس عليهم أثرُ رصاصة واحدة؛ لقد وقع هذا في أكثر من موقع، فليس الذي حصل في الغوطة الشرقية عنّا ببعيد، حيث قُتِل من المسلمين أكثر من ألفٍ وأربعمائة شخص في لحظة واحدة، جرّاء قصف النّصيرية، الذين استعملوا غاز السّارين فيه على سكّان المنطقة؛ واستعملوا الكيماوي على غزوهم في خان العسل أيضا، وفي غير ذلك من الأماكن.



يستعملون البراميل المتفجّرة في قصف أهالينا، فلا يكاد يوم أن ينقضي، إلا ونسمع فيه من القنوات الإخبارية، أنّ كذا وكذا من المدنيين قُتلوا جرّاء قصفٍ بالبراميل المتفجّرة؛ عشرات الآلاف من الذين قُتلوا في الشام، قُتِلُوا بسبب هذه البراميل المتفجرة؛ وبمثل هذا يقول موقع ويكيبيديا: (القصف بالبراميل المتفجّرة في جميع أنحاء سوريا، أسفر عن مقتل ما يزيد على عشرين ألفا من البشر منذ بداية الثورة عام ٢٠١١م).[٢٦]

---

٢٦ (انجليزي): موقع ويكيبيديا بعنوان: Barrel bomb



أما التعذيب في السّجون، فذاك أنكى من كلّ شيء وأشدّ؛ يُقيَّد الرجالُ على أرجلهم، ويُعلّقون من السقف، ويُدفَنُون تحت الأرض وهم أحياء، ويُتركون في السّجون أيّاما حتى يموتوا جوعا وعطشا؛[٢٧] أما النّساء... فيا أسفي على النساء؛ يُعانِيْنَ من كلّ ما يعاني منه الرجال، ويزيد عليهنّ، بأنّ كلاب النّصيرية (لعنهم الله) يهتكون أعراضهنّ، ويصنعون بهنّ في السجون ما يريدون، ولا من مغيث لهنّ ولا مجيب (إلا هذه الثلّة القليلة من المجاهدين، بارك الله في سعيها، وجازاها عن أعمالها بأفضل الجزاء)؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

أما المشرَّدون، فلا أظنّ أنّ رقما يحصيهم، وأنّ كلمة تكفيهم؛ فقد كتب موقع ويكيبيديا ما نقله عن بعض مصادر الأمم المتحدة، فقال: (بحلول نهاية أغسطس عام ٢٠١٤م، قدّرت الأمم المتحدة أن عدد المشرّدين داخل سوريا بلغ إلى ٦،٥ مليون نسمة، في حين هرب أكثر من ٣ ملايين شخص إلى دول مثل لبنان والأردن وتركيا).[٢٨]

وهذا الذي تكلّمنا عنه، يقع في كلّ يوم، وهو متواصلٌ إلى يومنا هذا؛ فالقتل والتدمير مستمرّ، والقصف بالبراميل المتفجّرة لا يكاد ينقطع، والتعذيب في السجون كذلك؛ فعلى هذا المنظار، لِنلتفِت إلى شعوب المسلمين وحكّام ديارهم؛ ماذا يحصل مع رجال المسلمين وعلمائهم ومثقّفيهم؛ هل أُلجِمت الألسن؟ أم تحجّرت قلوب الناس فلا تكاد ترى وتسمع ما يجري في ديار المسلمين من تنكيل وتقتيل؟

---

٢٧ الجزيرة نت بعنوان: صور التعذيب في سجون سوريا... هل من دليل أقوى؟
العربية بعنوان: هيومن رايتس: عشرات الآلاف تحت التعذيب بسجون نظام الأسد.
دا ديلي ميل (The Daily Mail) بعنوان:
Starved, tortured then throttled: The true horror of how Assad’s soldiers execute rebel prisoners

٢٨ (انجليزي): موقع ويكيبيديا بعنوان: Refugees of the Syrian Civil War

الحقّ، أنّ في الشعوب حياةً وقوّةً، وقد حاولَتْ كلمتَها وقالت، ووقفت على المنابر والإذاعات والتليفزيونات وحرّضت، وأعلن الصّادقون من علمائها ما يجري، ثم أفتوا بجهاد النّصيرية وأتباعهم؛ فلما حصل ذلك، تحرّكت ضمائر الشرّ في الحُكّام الخونة، الذين ما تركوا دربًا للخيانة والعمالة إلا وسلكوه، ولا علِموا أحدا بخير إلا وسجنوه أو قتلوه أو طردوه؛ تحرّكت مخابراتهم، وعملت سيوفهم وبنادقهم، لا للمسلمين، بل على المسلمين؛ حبسوا الصّادقين من العلماء، وتركوا الفجّار من العامة ومدّعي العلم، يقولون عن كتاب الله ما يحلوا لهم.

وحين جاء الصليبيون بحدِّهم وحديدهم، يريدون أن يسلبوا عن هذه الأمة رمق حياتها، والوحيدين من رجالها الذين قاموا من أجلها، اصطفَّ الخونةُ حول الكفار، وبدأوا يتقاسمون أدوارهم في قتال المجاهدين، وفي نزْعِ فتيلِ الجهاد من صدور الأمة وإعادتهم إلى حياة الذلّ والتخدير؛ ففتحوا للعدوّ بلاد المسلمين، برّا وبحرا وجوّا، وأرسلوا طائراتهم تقصف المسلمين إلى جانب الكفار (كما كانت عادتهم)؛ والعجيب أنّ هذه الطائرات كانت موجودة مجهزة يوم كان شيطان النصيرية (بشّار) يقصف المسلمين بالبراميل المتفجّرة وغاز السّارين، لكنّها عجزت عن التحرك!

ولكن لم العجب؟! ألم يَقُلِ المثلُ في غابر الزمان: إذا عُرِف السّبب، بطل العجب؛ هؤلاء قومٌ عندهم مقياس واحد، وهو الملك وكرسيّ الحكم؛ إن تُرِك لهم ملكهم، فذاك كل شيء عندهم، لا يُهِمُّهُم لو أُبِيدَ المسلمون عن بكرة أبيهم؛ هم جهلةٌ لا يعرفون دين الله، فهم يتبعون الهوى والغرض، ولذلك تجرّأوا على ما ارتكبوه من الكفريات والموبقات؛ لذلك تركوا الحكم بكتاب الله، وتركوا البراءة من الكفار، ونشروا في الأمة الفساد والفسق؛ ولأجل كل ما سبق، كان هذا الذي جرى، مُتَوَقَّعا منهم، فهم كانوا يصنعون أسوأ منه منذ مائة سنة، وإمامهم في ذلك هو المرتد المجرم مصطفى كمال أتاتورك (عليهم جميعا من الله ما يستحقّون).

هَذَا يُرِيقِ دَمِي بِأَرضٍ هَــــاهُنَا	***	وَبِبَلدَةٍ أُخرَى يُرِيقُ الــثَّـــانِ
هَذِي فَتَاةُ الطُّهرِ تَبعَثُ صَوتَهَا	***	تَشكُوا إِلَينَا مِن عَلَى الجُدرَانِ
هَتَــــكَ العَدُوُّ عَفَافَهَا وَإِبَائَـهَـا	***	فَبَكَت دُمُوعاً تُغلِ كَالنِّيرَانِ
لَكِنَّ قَومِيَ لَم يُجِيُبوا دَمـعَــهَــا	***	فَشَكَت مِنَ الخِذلَانِ لِلرَّحمَانِ

حال المسلمين في أفغانستان

أما أفغانستان، فكغيرها من البلاد الإسلامية المنكوبة؛ قتلٌ وتشريد وتدمير، وتعذيبٌ في السجون، وانتهاكٌ لأعراض المسلمات؛ غزا عليها الكفار الصليبيون مع أذنابهم المرتدين، بعد أن امتلأت قلوبهم غيظا من الإمارة الإسلامية التي كانت تحكم الناس بكتاب الله، وتسوسهم على شريعته وهدي نبيّه؛ فجاءوا بجيوشهم الجرّارة، بطرا ورياءً، يصدّون عن سبيل الله؛ فقتلوا وسفكوا، وهتكوا وشرّدوا، وقصفوا ودمّروا، وأحدثوا في البلاد ما الله به عليم.

أما القتلى، فجاء في وكالة رويترز ما يلي: (منذ بدأت الأمم المتحدة بتتبّع ضحايا المدنيين في عام ٢٠٠٩، تم تسجيل ١٧٢٥٢ حالة قتل بين المدنيين، وجرح ٢٩٥٣٦).[٢٩] وجاء في دراسةٍ قام بها البروفسور مارك هيرولد (Marc من جامعة نيو هامبشاير (University of New Hampshire) ما يلي: (عند غروب الشمس في العاشر من ديسمبر، كان ٢٧٠٠–٣٠٠٠ مدنيين أفغان على الأقل، لقوا حتفهم في قصف الولايات المتحدة).[٣٠] فإذا كانت أعداد القتلى ثلاثة آلاف في أقل من سنة، وسبعة عشر ألفا في خمس سنوات، أعتقد أنه يمكن أن تتصور ما يمكن أن يكون مجموع القتلى لثلاثة عشر سنة. وهذه أعداد القتلى فقط، أما الجرحى، فأضعاف أضعاف. وهذه كغيرها من الأرقام المذكورة في الحروب، لا يمكن أن تكون صحيحة، إذ أنّ القتلى المذكورين، هم الذين يُسَجَّل قتلهم فقط؛ أما الذين دُمِّرت عليهم مبانيهم، أو سقطوا في قصف عشوائي في البوادي والطرقات، فهم لا يندرجون تحت هذه الأرقام، إذ أنّ قتلهم مُبهم، ولا يعلم ما حصل لهم أحدٌ إلا الله، وذوو القربى الذي فقدوا المقتول.

عجيبٌ أمر هذه الدنيا: إذا قُتِل شخصٌ مدني واحد في نيويورك، ترى الدنيا تقوم على رأسها ولا تقعد، حتى المسلمين يُندّدون ويستنكرون! أما دماء المسلمين، فلا أحد يأبه لها؛ فها هي أمريكا تقصف المسلمين بالطائرات التي هي بدون الطيار في أفغانستان وباكستان، فتقتل المئات (بل الآلاف) من النساء والأطفال، ولا أحد يتكلم؛ ينتهي الكلام عنهم في لحظة دفنهم؛ هكذا بهذه البساطة: لا تنديدات، لا جيوش، لا شيء، وكأن نملة واحدة قد ماتت.

---

٢٩ (انجليزي): وكالة رويترز: Civilian deaths in Afghanistan war reach new high in 2014: U.N.

٣٠ (انجليزي): بحثٌ أجراه البروفيسور مارك دبليو هيرولد من جامعة نيو هامبشاير، بعنوان:
A Dossier on Civilian Victims of United States' Aerial Bombing of Afghanistan: A Comprehensive Accounting
ويمكن الاطلاع على البحث في cursor.org، بنفس العنوان.

جاء في موقع "Vice News" في تقريرٍ عن العمليات التي تُنفّذها الطائرات بدون الطيار في أفغانستان: (إن الهجمات بالطائرات بدون الطيار، هي أكثر في أفغانستان من أي مكان آخر في العالم؛ وإن هجمة "واتبور"، ليست إلا واحدة من ألف هجمةٍ نُفّذت في البلاد خلال السنوات الثلاث عشر الماضية).[٣١] وجاء في ويكيبيديا في كلامٍ عن مثل هذه العمليات في باكستان: (أنّ ما يُقدّر بنحو ٢٨٦ إلى ٨٩٠ شخصا من المدنيين، قد قُتِلوا جرّاء هذه العمليات).[٣٢]

سجن باغرام

ديلاور اليعقوبي، سائق مسلم من بعض قرى أفغانستان، قَبَضَ عليه بعضُ المرتدّين بتهمة "الإرهاب"، ثم سلّموه إلى الأمريكان؛ فلمّا تسلّمه الأمريكان، وضعوه في سجن باغرام، وعذّبوه بلا رحمة ولا شفقة، حتى مات من جرّاء العذاب. يقول موقع ويكيبيديا نقلا عن أحد الشرطة العسكرية: (حين يُضرَب، كان يبكي ويقول: "الله"! ويظهر أنّ البكاء كان قد أصبح مُسلِيا لأفراد الجيش الأمريكي، لأنّ ضَرْبَه من أجل استفزازه ليصرخ: "الله"، كان "قد أصبح نوعا ما، أُضحوكةً دائمة"، وفقا لأحد الشرطة العسكرية؛ وقال بأنّ "الناس بدأوا يظهرون ليعطوا هذا السجين ضربة فوق الركبة، فقط ليستمتعوا به وهو يصرخ "الله"؛ "لقد تجاوزَتْ ٢٤ ساعة، وأعتقد بأنها كانت أكثر من مائة ضربة")؛ وواصل: (ونقلت وكالة تايمز، أنه عند وفاته، كانت يداه مقيّدتان إلى أعلى زنزانته لكثير من الأربعة أيام الماضية).[٣٣]

وليست هذه إلا واحدة من مئات القضايا (المعلومة وغير المعلومة)، تدلّ جميعًا على مدى المأساة التي كان يعيشها المسلمون في سجن باغرام، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

حكومة كرزاي العميلة

أما حكومة كرزاي، فهي تلك التي لا تَخفَى عمالتُها ورِدّتُها على القاصي والدّاني، وهي في الجملة، كغيرها من الحكومات العميلة، التي تقبع على صدور المسلمين وبلادهم؛ يعملون جميعا على إخراج الناس عن توحيدهم، بإحلال

---

٣١ (انجليزي): موقع فايس نيوز (Vice News) بعنوان: Don't Ask Who's Being Killed by Drones In Afghanistan

٣٢ (انجليزي): موقع ويكيبيديا بعنوان: Drone strikes in Pakistan

٣٣ (انجليزي): موقع ويكيبيديا بعنوان: Bagram torture and prisoner abuse

النظم الكافرة محلّ شريعة الله المطهّرة؛ وعلى الرغم من أنّ كثيرا من المسلمين يقفون موقف الحيادية (فلا يدخلون في هذه الحكومات، ولا يناصرون المجاهدين)، إلا أن جزأ كبيرا منهم يقبل في الانخراط في هذه النُظُم؛ والله المستعان!

فهذا هو حال البلاد اليوم، تماما كغيره من بلاد المسلمين الجريحة؛ يعيش من عاش تحت ظلّ القصف أو في دياجير سجون التعذيب السّرية؛ ويموت من مات، وليس له من ينوح أو من يثور (إلا هذه الثلّة من المجاهدين)؛ يُدفَن هناك، في مقبرة بعيدة، ولا حساب على من جنى عليه.

كُـــفرُ البِلَادِ أَتَى بِكُلِّ خُــيُــولِه *** لِيَحُـــولَ بَينَ النّاسِ والإِيـمَـــــانِ

حال المسلمين في بورما

لا تكاد الأمّة المسلمة تفيق من صدمة حتى تصعق بأخرى؛ لقد كان المسلمون في بورما يعيشون حياةَ عذاب منذ أكثر من قرن من الزّمن؛ قتلٌ وتعذيبٌ وتشريد، وحرقٌ للنّاس وهم أحياء. في هذه الصّفحة، سأنقل لكم بعضًا من مجازر البوذيّين ضد أهالينا المسلمين في هذه البلاد، مع بعض الصّور التي تشير إلى حجم المأساة؛ والله المستعان.

يقول موقع ويكيبيديا: (بدأ كل شيء في ٣ يونيو ٢٠١٢، عندما قَتَل الجيش البورمي والغوغاءُ البورميُّون ١١ مسلما بدون سبب بعدما أنزلوهم من الحافلات؛ فقامت احتجاجات عنيفة في إقليم أراكان ذو الأغلبية المسلمة، فوقع المتظاهرون ضحية استبداد الجيش والغوغاء، حيث ذَكَرت أنباءٌ بمقتل أكثر من عشرين ألف مسلم، بإحصاءات رسميه).[٣٤] ويقول موقع قصّة الإسلام وهو يتكلّم عن المأساة التي جرت في هذه البلاد:

(مرّ عام والأرقام التي وصلتنا تشير إلى عِظَم المأساة، رغم أنها أرقام تقريبية، للتكتّم الإعلامي الذي تفرضه السّلطات الميانمارية؛ ولتكونوا على معرفة بحجم الفاجعة، إليكم هذه الأرقام السريعة خلال عام واحد:

- أكثر من عشرة آلاف شهيد، قُتِلُوا على أيدي البوذيين.
- أكثر من أربعة آلاف غريق، غرقوا أثناء هروبهم بدِينهم عبر البحار.
- أكثر من خمسة آلاف وثلاثمائة وثلاثين سجين وسجينة، يمارَس عليهم أبشع أنواع العذاب.
- أكثر من ألف ومائتين روهنجي تم الاتجار بهم، وبيعهم كعبيد في سوق النخاسة.
- أكثر من ثلاثمائة وعشرين مسجدا تم هدمه، وأكثر من ألف ومائتين وثلاث وعشرين مسجدا تم إغلاقه.
- أكثر من مائتين وثلاثة وأربعين مدرسة تم هدمها، وأكثر من ٦٤٣ مدرسة تم إغلاقها.
- أكثر من مائتي ألف وعشرين ألف مشرد، يعيشون ظروفا حالكة في مخيمات اللاجئين).[٣٥]

وهذا الذي حصل، ليس الأول من نوعه في بورما؛ فالروهنجيا المسلمون مضطهدون جدّا في هذه البلاد، وكانوا يتعرّضون لمثل هذه الهجمات لزمنٍ طويل؛ فيقول موقع ويكيبيديا: (الروهنجيا، كانوا يواجهون انتهاكات لحقوق

---

٣٤ موقع ويكيبيديا بعنوان: بورما.

٣٥ موقع قصّة الإسلام (islamstory.com) بعنوان: عام على إبادة الروهنجيا.

الإنسان باستمرار، من قِبَل النظام الحاكم في بورما، الذي رفض الاعتراف بهم كمواطنين في بورما—وهذا على الرغم من أنّ بعضا منهم عاش في بورما لأجيال عديدة—؛ ولقد حاول النظام الحاكم أن يطرد الروهنجيا قسرا، وأن يجلب غيرهم، ليحلّوا محلّهم؛ كما لا يُسمَحُ للروهنجيا السفر دون إذن رسمي، وهم ممنوعون من امتلاك الأراضي، ويُطلب منهم التوقيع على تعهّد، بأنّهم لن يَلِدُوا أكثر من طفلين).[٣٦]

هاكم بعض الصّور التي تبرهن على ما كتبه موقع قصّة الإسلام:



٣٦ (انجليزي): موقع ويكيبيديا بعنوان: Burma.


ANA


ANA





حال المسلمين في الصومال

بلادٌ إسلاميةٌ أخرى منكوبة، كانت الصومال مَرتَعا لغزوات الصليبيين منذ عقود، فلن ينسى التاريخ ما صنعه البريطانيون والإيطاليون من قبل، ثم لا ينسى ما صنعه الأمريكان حين غزوا البلاد عام ١٩٩٣م؛ إلا أننا (وكعادتنا في هذا البحث)، لا نتطرّق كثيرا إلى التاريخ والوقائع المؤلمة التي وقعت قبل هذا العقد الذي نعيش فيه، لأن مهمّة هذه العناوين ليست أن تستوعب الأحداث، ولكن فقط، أن تسلّط بعض الضوء على واقع أمتنا الحالي، ليتبيّن لنا من خلال ذلك، بأنه لا بدّ من تغييرٍ لهذا الوضع، وأنّ الجهاد هو الحلّ الوحيد.

لمحة بسيطة إلى الوراء

منذ أن خرج الأمريكان من الصومال عام ١٩٩٦م، كان زمام الأمر في الصومال في أيدي أمراء الحرب؛ فكانوا يتقاتلون فيما بينهم، ويغتصبون النساء، ويختطفون الناس للفداء؛ وكان بعضهم يتلقى الأوامر من الأمريكان، فيقبض على كلّ من أراده الكفار، ويرسلونه إليهم عبر المطارات المحليّة.

وبينما الأمر كذلك، إذا بأمراء الحرب يجتمعون في بداية عام ٢٠٠٦م، ويُأسِّسُون تحالفًا لقتال الإسلام والمسلمين، سمّوه بتحالف "محاربة الإرهاب"؛ فلمّا حصل ذلك، لم يستطع المسلمون في الصومال التحمّل أكثر، فاستنفر بعضُهم بعضا، وبدأوا بقتال المرتدّين المجرمين. وبعد شهور قليلة، منّ الله عليهم، وأَخرَجُوا المرتدّين من البلاد، ثم اجتمعوا تحت مسمّى "المحاكم الإسلامية"، وعاد الأمن إلى البلاد للمرة الأولى منذ عقود.

ولكن، بما أنّ المحاكم كانوا يقولون بأنهم يريدون دولة إسلامية؛ كان موقف الكفار من هذا معروفا؛ طبعا، لم يرض الأمريكان وغيرهم من الكفار بهذا. جاء في موقع الغارديان بأنّ: (حُكمُ اتحاد المحاكم الإسلامية كان قد اشتهر، بعد أن أعادوا أمنا نسبيّا إلى البلاد، وأخرجوا أمراء الحرب القبليين، الذين كانوا مسئولين عن ستة عشر سنة من القتل والتخريب؛ لكن الولايات المتّحدة، اعتقدت أنّ هؤلاء يُشبهون طالبان كثيرا، وذلك لأنهم يمنعون الموسيقا والرقص والقات، ولأنهم كانوا متعاطفين مع القاعدة).[٣٧]

---

٣٧ (انجليزي): موقع الغارديان (theguardian.com) بعنوان:
Thousands flee as shelling by Ethiopian tanks kills hundreds of civilians in Somali capital

فغزا الصليبيون (من الجيوش الإثيوبيين وحلفائهم من مرتدّي الصومال) على البلاد، وشاء الله أن تسقط المحاكم الإسلاميّة، ودخلت جيوش الكفار العاصمة؛ وبعد شهرين، بدأ بعض المجاهدين مقاومة الكفار، وابتدأ من هناك، صراعٌ عريض بين الكفار والمجاهدين... صراع نرجوا من الله ألا ينتهي إلا بعد إذلال الكفرة والملحدين.

ضحايا الحرب مع الكفار

جاء في مقالٍ لوكالة الأنباء رويترز، أصدرته نهاية ٢٠٠٨م: (منظمة "أيلمن للأمن وحقوق الإنسان"، المتمركزة في مقديشو، كانت تتتبّع أعداد الضحايا منذ أن شنّ الإسلاميون تمرّدا على الحكومة الصومالية المؤقتة والقوات الإثيوبية المتحالفة معها في بداية عام ٢٠٠٧م؛ وتقول "أيلمن" في التقرير، بأنّ ٧،٥٧٤ مدنيا قُتِلوا منذ بداية هذا العام، إضافة إلى ٨،٦٣٦ شخصا قُتِلوا في العام الذي قبله).[٣٨]

فإذا كانت أعداد القتلى هكذا لسنتين فقط، فما ظنّك بالسنوات الباقيات؟ وما ظنّك بالجرحى؟ أنا شخصيّا كنت هناك بعضًا من الوقت، وأذكُر ما كنتُ أراه من القتلى والجرحى؛ ومع أني لم أكن أُسجِّل الأعداد، إلا أنّني أَذْكُر أنها كانت كثيرة؛ كان القصف ينهال على أهالي المدينة وكأنّه وابلٌ من المطر، ويَسقط من جرّائِهِ عدد كثير من المسلمين.

جاء في نيويورك تايمز: (ظلّت القواتُ الإثيوبية في البلاد لمدة عامين تقريبا، وكان احتلالهم لا يحظى بشعبية كبيرة؛ كان الآلاف من المدنيين قد قُتلوا عندما قصفت القوات عشوائيا المناطق الحضرية؛ واستفادت حركة الشباب من المشاعر المناهضة للإثيوبيين بكثافة، فتضخّمت صفوفهم).[٣٩]

وكتبت الجزيرة مثل هذا في مقال أصدرته نهاية ٢٠١٠م: (ذكرت منظمة "هيومن رايتس ووتش" في ابريل نيسان، أنّ قوات حفظ السّلام التابعة للاتحاد الافريقي، تستجيب بشكل روتيني لهجمات حركة الشباب، بشن هجماتٍ عشوائيّة على المناطق السكنيّة؛ "لقد أطلقت قوات الاتحاد الأفريقي قذائف هاون على مناطق مكتظّة بالسكان، دون

---

٣٨ (انجليزي): وكالة رويترز (reuters.com) بعنوان: Sharif back in Mogadishu as death toll hits 16,210

٣٩ (انجليزي): جريدة نيويورك تايمز (nytimes.com) بعنوان:
African Union Considers Sending Ethiopian Troops to Somalia

اتخاذ الاحتياطات الكافية للتمييز بين المدنيين والأهداف العسكرية" وقالت المجموعة بأنّ "مثل هذه الهجمات ... تنتهك قوانين الحرب").[٤٠]

أما السجون، فهي ممتلئة بالمسلمين: يُختَطَفُون من بيوتهم، ويُسجنون أعواما، ثم يُعدَم بعضهم، إما بحكمٍ من محاكم المرتدّين، فيُعدَم جهارا في فضاءٍ عام، أو بأمر سرّي، فيُعدم خارج السجن وتُرمَى جثّته عند باب أهله؛ وللمخابرات الأمريكية (السّي آي أيه) سجنٌ سرّيٌ في مطار "حلني"، يعذِّبُون فيه السجناء ويستجْوِبُونهم، تماما كما يصنعونه في سجني غوانتنامو وباغرام وغيرهما من سجونهم؛ يقول موقع "دا نيشن" (The Nation): (وفقا لمعتقَلين سابقين، هذا السجن الذي يقع تحت الأرض، يعمل به حراس صوماليون، ويتكون السّجن من ممر طويل، وتصطف حوله الخلايا الصغيرة القذرة، التي تنتشر فيها القمل والبعوض؛ لقد وصف السّجناء السابقون هذه الخلايا بأنه لا نوافذ لها، وأنّ الهواء فيها سميكة، وأن الغُرَف رطبة ومثيرة للاشمئزاز).[٤١]

والأنكى من كلّ هذا، هو أنّ هؤلاء الكفّار يغتصبون البنات المسلمات، وينشرون الدعار والفسق في البلاد على أشدّ ما يكون؛ فجاء في الجزيرة نت بأنّ: (منظمة "هيومن رايتس ووتش" الحقوقية كشفت في تقرير نُشر اليوم الاثنين، أنّ جنودًا من قوة الاتحاد الأفريقي التي تقاتل في الصومال قاموا باغتصاب نساء ومقايضة مساعدات غذائية بخدمات جنسية).[٤٢] وجاء في موقع بي بي سي بأنّ: (متحدثةً باسم "المنظمة الدولية"، أشارت في مؤتمر صحفيّ في نيروبي، إلى أنّ القوات "أساءت استخدام" سلطاتها عن طريق استغلال المساعدات الانسانية في ابتزاز السّيدات والفتيات الهاربات من الفقر والعنف؛ وقالت إن فتاة لم يتعد عمرها ١٥ عاما، تم نزع الحجاب عنها، ثم اغتصابها).[٤٣]

وجاء في تقريرٍ أصدرتْه الحكومة البريطانية، بعنوان "Country Information and Guidance Somalia": (أبلغ الأمين العام للأمم المتحدة أن هناك ما لا يقل عن ١،٧٠٠ حالات الاغتصاب في مستوطنات الأشخاص المهجرين داخليا

---

٤٠ (انجليزي): الجزيرة الإنجليزية (aljazeera.com) بعنوان: AU warns of Somalia civilian deaths

٤١ (انجليزي): موقع "دا نيشن" (thenation.com) بعنوان: The CIA's Secret Sites in Somalia

٤٢ موقع الجزيرة نت بعنوان: رايتس: جنود بالقوة الأفريقية اغتصبوا نساء في الصومال.

٤٣ قناة بي بي سي العربية (bbc.co.uk/arabic) بعنوان: فتيات صوماليات "تغتصبن" من قبل جنود الاتحاد الأفريقي.

في عام ٢٠١٢، مع كون سبعين في المائة على الأقل من هذه الأعمال، يتم تنفيذها من قِبَل مسلَّحين يرتدون زيّ الحكومة).[٤٤] هذا وغيره، يقع بشكلٍ روتيني في البلاد، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

فإذن، هذا هو حال الصومال اليوم، أقوامٌ مسلمون منكوبون، تضاف مأساتهم إلى الملايين من مآسي غيرهم من المسلمين؛ قتلٌ وتنكيل وتشريد، واغتصابٌ لمئات المئات من النساء المسلمات، واعتقالاتٌ عشوائية وإعدامات، وفوق هذا وذاك، إخراجٌ للناس عن دينهم، بنشر الديموقراطية وغيرها من النظم المحايدة لدين الله، ونشر الفساد في المجتمع (من اختلاطٍ بين النساء والرجال (في المدارس وأماكن الأعمال والمراكب وغيرها)، وخلعٍ للحجاب الشرعي، والقات، والسينمات، وغير ذلك)؛ مأساة على إثرها المآسي، نسأل الله أن ينصر المستضعفين.

٤٤ (انجليزي): تقرير قدّمه موقع الحكومة البريطانية (gov.uk) بعنوان: Country Information and Guidance Somalia، صفحة ٣٩.

حال المسلمين في اليمن

الحكومة في اليمن، كغيرها من الحكومات العميلة الحاكمة لبلاد المسلمين اليوم؛ هذه الحكومة (سواء في عهد على عبد الله صالح أو في عهد عبد ربه منصور هادي)، فتحت الأجواء لطائرات الأمريكان، لِتَعْدُوا على المسلمين تقصفهم هنا وهناك، وتفعل بهم ما تشاء وتختار، وكانت تصنع هذا منذ اثنتي عشرة عاما؛ ولا يعرف أحدٌ العدد الحقيقي للقتلى المسلمين جرّاء أفعالهم هذه، ولكنّها كثيرة جدّا (تُقدّر بالمئات على أقل تقدير).

(لأول مرة في نوفمبر عام ٢٠٠٢، قالت الولايات المتحدة بأنّها تستخدم "القتل المستهدف" بموافقةٍ من الحكومة اليمنية وتعاونٍ معها)، كتبه ويكيبيديا، وتابع: (حتى الآن، تشير التقديرات إلى أنّ مَا مَجْمُوعُهُ ٩٨ هجمات بالطائرات بدون طيار الامريكية، قد أُجرِيت في اليمن منذ عام ٢٠٠٢).[٤٥] وتقول صحيفة "الأولى" اليمنيّة بأنّه (قُتل ١٢٦ شخصا في اليمن جراء ٣٩ ضربة جوية نفذتها طائرات أمريكية من دون طيار في مناطق متعددة من اليمن، منذ مطلع العام ٢٠١٣).[٤٦] وهذه الحكومة المرتدة، تُقاتل المجاهدين، وتطارد خيار الأمّة في جبال اليمن، وتقصفهم بدباباتها وطائراتها، وتَزُجّ بهم في سجونها، وتتعقّب كلّ من يقول بالجهاد وبالتوحيد الصحيح.

هذه من جهة؛ أما من الجهة الأخرى، ففيها الروافض "الحوثة"، وهم يصنعون بالبلاد والعباد ما الله به عليم؛ وليس قصْفُهم لأهالي دمّاج عنّا ببعيد. وهؤلاء الحوثة، ينشرون فكرهم الخبيث في أوساط مسلمي اليمن، ويرمون من عملهم هذا، أن يُحوّلوا المجتمع إلى روافضَ مشركين، يدعُون عليّا وحسينا (رضي الله عنهما) من دون الله، ويلعنون الصّحابة.

فحال اليمن اليوم، كحال غيره من بلاد المسلمين؛ نفس السيناريو تتكرر في كلّ بلد من بلادنا: غزاة صليبيون مجرمون، أو حكّام خائنون مرتدّون، نصّبهم الكفّار لينفّذوا له مخطّطه، فهم ينوبون عنه في مطاردة المجاهدين وقتالهم؛ فمن عاش من المسلمين، عاش إما مجاهدًا مُهَابًا (ولكن مطاردًا)، وإما ذليلًا مُهانًا، وتحت رحمة القصف والاعتقالات والتنكيل في السجون؛ ومن قُتِل، فدمه أرخص عند الناس من ماء أريق في الطريق؛ وفي ظلّ كلّ هذا، يُنشَر في أوساط العامة كلّ ما يُمكِن أن يسوقهم إلى النار (من نُظُمٍ علمانية مخالفة لدين الله، وزنا وخمور وربا، وغير ذلك من الفساد).

---

٤٥ (انجليزي): موقع ويكيبيديا بعنوان: Terrorism in Yemen

٤٦ موقع صحيفة الألى اليمنية (aloulaye.com) بعنوان: مقتل ١٢٦ في ٣٩ غارة لطائرات بدون طيار منذ مطلع العام الجاري في اليمن.

حال المسلمين في أفريقيا الوسطى

تمتلئ صفَحَاتُ البحث وأنا أكتب عن مجازر المسلمين، مذبحةٌ على إثراها المذبحة، والله المستعان. الذي حصل في أفريقيا الوسطى هو، أنّ الجنود الفرنسيين جاءوا بذريعة "حفظ السلام"، فنزعوا سلاح المسلمين، ولم يصنعوا الشيء ذاته بالمسيحيين؛ فما إن تمّ نزع السلاح، حتى هاجم الصليبيون (الانتي بالاكا) على العامّة من المسلمين؛ فقتلوا الآلاف من الرجال والنساء والأطفال، وحرّقوا الجثث، وهدّموا البيوت، ونهبوا الأموال.

يقول موقع الجزيرة نت بأنه (قُتِلَ مئات المسلمين في هجمات شنتها مليشيا "أنتي بالاكا"، خاصةً في العاصمة بانغي)؛ وواصل الموقع قائلا بأنّ (الهجمات، دفعت بنحو ٢٩٠ ألف شخص، معظمهم مسلمون، إلى دولٍ مجاورة مثل تشاد والكاميرون، وباتت مدن وبلدات في غرب أفريقيا الوسطى خالية تقريبا من سكانها المسلمين، الذين نزحوا باتجاه الشمال)؛ وأضاف: (لم يبق في بانغي سوى ٩٠٠ مسلم من أكثر من مائة ألف كانوا موجودين بالمدينة).[٤٧]

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾. [التوبة: ٨]. ليس غريبا ألا نفهم معنى هذه الآية في ظلّ دعاوي الحرّيات الخرافيّة، لكن إذا أمعنّا النظر في الواقع والتاريخ، نجد أسطر القرآن واضحة تمشي بين أيدينا؛ فما حصل في أفريقيا الوسطى، وكذلك في بورما—والذي ما زال يحصل—ليس الأول أو الثاني من نوعه.

فها هي مذبحة سربرنيتسا، التي وقعت على المسلمين في البوسنة والهرسك، على أيدي القوات الصربيّة الصليبية (والتي قُتِل فيها أكثر من ثمانية آلاف من المسلمين، وهُجّر فيها عشرات الآلاف)، تحمِلُ مجازرُها من التفاصيل ما يشبه كثيرا مجازرَ أفريقيا الوسطى؛ ففي إبريل ١٩٩٣، أعلنت الأمم المتحدة بلدة سربرنيتسا الواقعة في وادي درينا في شمال شرق البوسنة، "منطقةً آمنة" تحت حماية قوات الأمم المتحدة (ممثلة بعناصر الكتيبة الهولندية)، وطالبت المسلمين (البوشنياق) بتسليم أسلحتهم، ففعلوا؛ وما إن حصل ذلك، حتى دخلت القوات الصربية—وبأوامر مباشرة من أعضاء هيئة الأركان الرئيسية لجيش جمهورية صربيا—إلى قرية سربرنيتسا، فقامت بقتل كلّ الذكور في القرية، واغتصبوا

---

٤٧ موقع الجزير نت بعنوان: معظم المسلمين فروا من عاصمة أفريقيا الوسطى

النساء المسلمات بشكل ممنهج؛ وكلّ هذا حدث على مرأى ومسمع من القوات الهولندية، فلم تتدخّل لحماية مَن هي جرّدتهم من السلاح، بل ساعدت الصِّرب، فسلّمت من فرّ من المسلمين إليهم، فتمّ قتلهم جميعا.

واليوم، يأتي الفرنسيون (وهم يدّعون حماية المدنيين)، فينزعون أسلحة المسلمين من دون الصليبيين؛ ثم بعد أن ينكشف المسلمين، يأتي الصليبيون (الانتي بالاكا)، فيصنعون بهم ما يشاؤون؛ يقول محمد سعيد إسماعيل، أحد قادة المسلمين في أفريقيا الوسطى والمستشار السابق لرئيس الجمهورية، يقول وهو يتكلّم عن كيف يتآمر الفرنسيون مع المليشيات المسيحية: (الانتي بالاكا يأتون ويشيرون إلى بيت مسلمٍ يعتقدون أنّ فيه سلاح، ثم تدخل فرنسا، فتفتّش هذا البيت، وتخليه من الأسلحة؛ ثم تهاجمُ الانتي بالاكا، لكي تقتل من في البيت وتهدِمَ البيت).[٤٨]



---

٤٨ موقع الجزيرة نت بعنوان: المجازر المرتكبة ضد المسلمين بأفريقيا الوسطى.







وما ذكرناه من مآسي البلاد الإسلامية المنكوبة، ليس كلّ شيء؛ فما تركتُ الكلام عنه، من أجل ضيق هذا البحث، كثيرٌ جدّا، وإنّي أعتذر عن ذلك حقا؛ وأرجوا من الله أن يفرّج عن كلّ المسلمين المنكوبين، في أي مكان كانوا، وفي أي زمان عاشوا. اللهم آمين!

***

المبحث الثاني: الجِهَادُ، مَا هُو؟ مَا فَضلُهُ وَمَكَانَتُهُ فِي الإِسلَام؟ وَمَا حُكمُهُ فِي عَصرِنَا الحَاضِرِ؟

تعريف الجهاد في سبيل الله

إنّ مفهوم الجهاد في سبيل الله، قد ضاع على أبناء الأمّة الإسلاميّة، حتى أصبحت كلمة "الجهاد" غريبة عند الكثيرين؛ ذلك بسبب بُعدِ الأمة عن هذه العبادة، وترك الدّعوة إليها، وتسلّط الحكومات العميلة للكفار على بلاد المسلمين؛ لقد أضاعت هذه الحكومات مفاهيم الولاء والبراء، وعملت على نزع روح الجهاد من المسلمين، وعلّمت أبناءنا بأنّ الإسلام ما هو إلا بعض الشّعائر التعبّدية، يلقيها بعضنا هنا وهناك وانتهى، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

الجهاد في اللغة هو: المبالغة في استفراغ ما في الوسع والطاقة، من قول أَو فعل، في عمل معيّن.

يقول ابن منظور رحمه الله: (وهو المبالغة واستفراغ الوسع والطاقة، من قول أو فعل). أ.هـ.[٤٩]

وأما تعريف الجهاد في الشرع: فهو قتال الكفار لإعلاء كلمة الله، والمعاونة على ذلك.

فعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه قَالَ: (قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: (أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ). قَالَ: فَأَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (الْإِيمَانُ). قَالَ: وَمَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: (تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ). قَالَ: فَأَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (الْهِجْرَةُ). قَالَ: فَمَا الْهِجْرَةُ؟ قَالَ: (تَهْجُرُ السُّوءَ). قَالَ: فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (الْجِهَادُ). قَالَ: وَمَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: (أَنْ تُقَاتِلَ الْكُفَّارَ إِذَا لَقِيتَهُمْ). قَالَ: فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ وَأُهْرِيقَ دَمُهُ). قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثُمَّ عَمَلَانِ هُمَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِهِمَا: حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ أَوْ عُمْرَةٌ)).[٥٠]

---

٤٩ لسان العرب، ٣\١٣٥.

٥٠ صحيح البخاري، ص ٦\١١٥، ح رقم ٤٧٧٧.
صحيح مسلم، ص ١\٣٩، ح رقم ٩.
مسند أحمد، ص ٢٨\٢٥١، ح رقم ١٧٠٢٧.

وبمثل هذا التفسير، فسّر علماء المسلمين الجهاد.

يقول ابن حجر رحمه الله: (بذل الجهد في قتال الكفار). أ.هـ.[٥١] ويقول القسطلاني رحمه الله: (قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله). أ.هـ.[٥٢] ويقول الكاساني رحمه الله: (وفي عرف الشرع، يستعمل في بذل الوسع والطاقة بالقتل في سبيل الله عز وجل، بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك، أو المبالغة في ذلك). أ.هـ.[٥٣]

ويقول ابن عابدين رحمه الله: (وَهُوَ لُغَةً: مَصْدَرُ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَشَرْعًا: الدُّعَاءُ إلَى الدِّينِ الْحَقِّ وَقِتَالُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْهُ. وَعَرَّفَهُ ابْنُ الْكَمَالِ بِأَنَّهُ بَذْلُ الْوُسْعِ فِي الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مُبَاشَرَةً أَوْ مُعَاوَنَةً بِمَالٍ، أَوْ رَأْيٍ، أَوْ تَكْثِيرِ سَوَادٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ). أ.هـ.[٥٤] ويقول صاحب الإقناع رحمه الله: (كتاب الجهاد، وهو قتال الكفار). أ.هـ.[٥٥]

وقد تُستَعمَل كلمةُ الجهاد في النصوص الشرعية لغير قتال الكفار، كما قال صلى الله عليه وسلم للّذي استأذنه في الجهاد: (أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟) قَالَ: نَعَمْ قَالَ: (فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ)؛[٥٦] لكن، لكي ينصرف معنى الكلمة إلى غير القتال، فإنه لا بدّ من قرينة تدلّ على المراد؛ أما إذا أُطلِقت الكلمة، فإن المراد منها هو قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى وما يتعلق بذلك ، كالرّباط، والحراسة، والتدريب؛ يقول ابن رشد رحمه الله: (وجهاد السيف، قتال المشركين على الدين؛ فكل من أتعب نفسه في ذات الله، فقد جاهد في سبيله؛ إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق، فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف، حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون). أ.هـ.[٥٧]

---

٥١ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٣\٦.

٥٢ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ص ٥\٣١.

٥٣ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ص ٧\٩٧.

٥٤ ردّ المحتار على الدر المختار، ص ٤\١٢١.

٥٥ الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ص ٢\٢.

٥٦ صحيح البخاري، ص ٤\٥٩، ح رقم ٣٠٠٤.
صحيح مسلم، ص ٤\١٩٧٥، ح رقم ٢٥٤٩.

٥٧ المقدّمات الممهدات، ص ١\٣٤٢.

ومما يدل على أن الجهاد إذا أطلق ينصرف إلى قتال الكفار ما يلي:

١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: «لاَ أَجِدُهُ» قَالَ: (هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلاَ تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلاَ تُفْطِرَ؟)، قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ فَرَسَ المجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ، فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ).[٥٨]

ودلالة هذا الحديث على المراد ظاهرة؛ فالصيام والقيام هما من جهاد النفس، ومع هذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا أجد ما يعدل الجهاد)؛ فدل على أن مراده بالجهاد في الحديث، إنما هو جهاد الكفار بالسيف.

٢) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ) فَقَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ)).[٥٩] فالذي يتقي الله في شعب من الشعاب، مجاهد بنفسه، ومع هذا صرف النبي صلى الله عليه وسلم معنى الجهاد إلى قتال الكفار.

٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... الحديث).[٦٠]

فنفهم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، أنّ من جلس في أرضه، فهو "غير مجاهد"، مع أنه قد يجاهد نفسه على الصّلاة والصيام. وكل الآيات والأحاديث التي تدل على فضائل الجهاد، المراد بها القتال وما يتعلّق به، ولا تُحمل على جهاد النفس؛ وكذلك علماء الإسلام، إذا بوّبوا في كتبهم للجهاد، فالمراد به جهاد الكفار القتالي.

---

٥٨ صحيح البخاري، ص ٤\١٥، ح رقم ٢٧٨٥.
سنن النسائي، ص ٦\١٩، ٣١٢٨.

٥٩ صحيح البخاري، ص ٤\١٥، ح رقم ٢٧٨٦.
مسند أحمد، ١٨\٩٣، ١١٥٣٥.

٦٠ صحيح البخاري، ص ٤\١٦، ح رقم ٢٧٩٠.

فضل الجهاد ومكانته في الإسلام

الجهاد في سبيل الله من أفضل القربات، ومن أعظم الطاعات، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون، وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض (هذا إذا لم يتعيّن، أما إذا تعين، فإنه يكون واجبا كغيره من الواجبات، لا يجوز التفريط فيه)؛ وهو ذروة سنام الإسلام، وجزأ عظيم لا يتجزأ منه؛ وفضله أعظم من أن يحصى في هذا المبحث، لكننا سنأخذ من فضله لمحات لطيفة، وسنكتفي بذلك إن شاء الله.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قَالَ: (رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ).[٦١] ألا يكفي بالجهاد شرفا، أن يكون ذروة سنام هذا الدّين؟!

الجهاد تجارةٌ رابحة بين المؤمنين وربّهم، اشترى الله فيها من المجاهدين أنفسهم وأموالهم، وأعطاهم الجنة جزاء لهم، فقال سبحانه وتعالى في سورة التوبة:﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. [التوبة: ١١١].

الجهاد أفضل تجارة يتاجر بها العبد، لأنّها تورثه الجنّة، وتنجيه من النار؛ يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. [الصف: ١٠-١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال: (تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ؛ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ

---

٦١ مسند الإمام أحمد، ص ٣٦\٣٤٥، ح رقم ٢٢٠١٦.
سنن الترمذي، ص ٥\١٢، ح رقم ٢٦١٦.
سنن ابن ماجه، ص ٥\١١٧، ح رقم ٣٩٧٣.
السنن الكبرى للنسائي، ص ١٠\٢١٤، ح قم ١١٣٣٠.

كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ؛ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي).[٦٢]

انظر يا أخي، وتدبّر هذا الحديث؛ إن الله يضمن للمجاهد الفوز في كل أحواله؛ إن قُتِل فله الجنّة، وإن رَجَع، فله الأجر والغنيمة. وهل تعرف أجر المجاهد في سبيل الله؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: «لاَ أَجِدُهُ» قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلاَ تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلاَ تُفْطِرَ؟»، قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ فَرَسَ المجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ، فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ).[٦٣]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: (إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ -أُرَاهُ- فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ).[٦٤]

وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه، أن الرّسول صلى الله عليه وسلّم قال: (لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا).[٦٥]

---

٦٢ صحيح مسلم، ص ٣\١٤٩٥، ح رقم ١٨٧٦.
مسند الإمام أحمد، ص ١٥\١٠٠، ح رقم ٩١٨٧.
السنن الكبرى للبيهقي، ص ٩\٦٨، ح رقم ١٧٨٩١.

٦٣ صحيح البخاري، ص ٤\١٥، ح رقم ٢٧٨٥.
سنن النسائي، ص ٦\١٩، ٣١٢٨.
مصنّف ابن أبي شيبة، ص ٤\٢٢١، ح رقم ١٩٤٧٩.

٦٤ صحيح البخاري، ص ٤\١٦، ح رقم ٢٧٩٠.
صحيح ابن حبان، ص ١٠\٤٧١، ح رقم ٤٦١١.
مسند الإمام أحمد، ص ١٤\١٤٣، ح رقم ٨٤١٩.

٦٥ مسند الإمام أحمد، ص ١٦\٥٢٤، ح رقم ١٠٩٠٢.
صحيح البخاري، ٨\١١٧، ح رقم ٦٥٦٨.
صحيح مسلم، ص ٣\١٥٠٠، ح رقم ١٨٨٣.

وممّا يدلّك على فضل الجهاد، أنّ الله سبحانه وتعالى جعل فضلا خاصا لكلّ جزء من هذا العمل المبارك؛ فبينما جعل الله لمعظم الأعمال الأخرى أجرا شاملا لجميع أجزائها، لم يجعل الجهاد هكذا، فأخبر لكلّ قسم منه فضلا خاصّا؛ فنرى أنه ورد للقتال في سبيل الله أجرٌ خاص، وللجرح في سبيل الله أجرٌ خاص، وللشّهادة في سبيل الله أيضا أجرٌ خاص، ولقتل الكافر في سبيل الله أجرٌ خاص، وللحراسة في سبيل الله أجرٌ خاص، وللرّباط في سبيل الله أجرٌ خاص، وللرّمي في سبيل الله أجرٌ خاص، وغير ذلك مما لا أذكر الآن.

أجر القتال في سبيل الله: عن معاذ ابن جبل أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: (مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ نَاقَةٍ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ).[٦٦]

أجر الجرح في سبيل الله: عن أبي هريرة أن النّبي صلى الله عليه وسلّم قال: (مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ).[٦٧]

أجر قتل الكافر في سبيل الله: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيّ صلى الله عليه وسلّم أنّه قال: (لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي النَّارِ أَبَدًا).[٦٨]

أجر حراسة المسلمين في سبيل الله: عن عبد الله ابن عبّاس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: (عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).[٦٩]

---

٦٦ مسند الإمام أحمد، ص ٣٦\٣٤٢، ح رقم ٢٢٠١٤.
سنن الترمذي، ص ٤\١٨٥، ح رقم ١٦٥٧.
المستدرك على الصحيحين، ص ٢\٨٧، ح رقم ٢٤١٠.

٦٧ صحيح مسلم، ص ٣\١٤٩٥، ح رقم ١٨٧٦.
مسند الإمام أحمد، ص ٤٥\٤٩٦، ح رقم ٢٧٥٠٤.

٦٨ صحيح مسلم، ص ٣\١٥٠٥، ح رقم ١٨٩١.
مسند الإمام أحمد، ص ١٥\٨٥، ح رقم ٩١٦٣.

٦٩ سنن الترمذي، ص ٤\١٧٥، ح رقم ١٦٣٩.
الجهاد لابن أبي عاصم، ص ٢\٤١٣، ح رقم ١٤٤.

أجر الرباط في سبيل الله

عن سهل ابن سعد السّاعديّ رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: (رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا).[٧٠] وعن عثمان ابن عفّان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: (رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ).[٧١]

وعن سلمان الفارسي رضي الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: (رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ).[٧٢]

أجر الرمي في سبيل الله

عن عبد الله ابن عبد الرحمن ابن أبي حسين، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: (إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلاَثَةً الجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَالمِمِدَّ بِهِ؛ وَقَالَ: ارْمُوا وَارْكَبُوا، وَلأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا؛ كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ، إِلاَّ رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ، وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ، وَمُلاَعَبَتَهُ أَهْلَهُ، فَإِنَّهُنَّ مِنَ الحَقِّ).[٧٣]

---

٧٠ صحيح البخاري، ص ٤\٣٤، ح رقم ٢٨٩٢.
سنن الترمذي، ص ٤\١٨٨، ح رقم ١٦٦٤.

٧١ مسند الإمام أحمد، ص ١\٥١٣، ح رقم ٤٧٠.
سنن الترمذي، ص ٤\١٨٩، ح رقم ١٦٦٧.

٧٢ صحيح مسلم، ص ٣\١٥٢٠، ح رقم ١٩١٣.
مسند الإمام أحمد، ص ٣٩\١٣٨، ح رقم ٢٣٧٣٥.

٧٣ مسند الإمام أحمد، ص ٢٨\٥٧٤، ح رقم ١٧٣٣٩.
سنن الترمذي، ص ٤\١٧٤، ح رقم ١٦٣٧.

أجر الشهيد

إن الله سبحانه وتعالى جعل للشهيد أجرا عظيما وثوابا جزيلا، جزاءً لما قدّم في سبيل الله، من نفسه وماله. هل تدري ما أعدّ الله للشهداء يا أخي؟ تدبّر معي هذه الأحاديث:

عن أنس ابن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ، لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدَ، لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى).[٧٤] ألا يكفي هذا دليلا على عظم أجر الشهيد وفضله عند الله؟ بلى، ولكننا سنزيد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ).[٧٥]

إن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وهو أفضل خلق الله عند الله، وله المنزلة العظيمة والمقام المحمود، يتمنّى أن يُقتَل في سبيل الله، ليس مرّة واحدة، بل ثلاث مرّات. الله أكبر... الله أكبر...

مهلا، مهلا... إنّ أجر الشهيد لا يتوقّف عند هذا... تابع معي الحديث الآتي.

عن المقدام ابن معدي كَرِب أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: (لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ).[٧٦]

---

٧٤ صحيح البخاري، ص ٤\١٧، ح رقم ٢٧٩٥.
مسند أحمد، ص ١٩\٢٩٢، ح رقم ١٢٢٧٣.

٧٥ صحيح البخاري، ص ٩\٨٢، ح رقم ٧٢٢٦.
صحيح مسلم، ص ٣\١٤٩٧، ح رقم ١٨٧٦.

٧٦ سنن الترمذي، ص ٤\١٨٧، ح رقم ١٦٦٣.
مسند أحمد، ص ٢٨\٤٢٠، ح رقم ١٧١٨٣.

الله أكبر، أُقسم برب العزّة، إنّ هذا لهو الفضل العظيم، وإنها لمكرمة لا ينالها إلا من أنعم الله عليه وأراد به الخير؛ شرفٌ في الدّنيا وشرفٌ في الآخرة. اللهمّ ارزقنا الشهادة في سبيلك يا كريم، بفضلك وجودك ومنّك.

هل تعرف يا أخي وصف الحوريات، زوجات الشهيد؟ يا أخي مهما فاقت مخيّلتُك، فإنك لن تستطيع أن تدرك بخيالك وصف ياقوتة واحدة في الجنّة، ناهيك عن الحور العين؛ لكنّ رسول الله صلى الله عليه وصَفَ الجنة لنا، فقط ليقرّب فهمنا إلى نِعَمِ الجنة وحورها، ولكنا لا نستطيع أبدا أن ندرك حقيقتها، مهما كان الوصف دقيقا.

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾. [الواقعة: ٢٢-٢٣].

يقول السعدي رحمه الله: (أي: ولهم حور عين، والحوراء: التي في عينها كحل وملاحة، وحسن وبهاء؛ والعِين: حِسان الأعين وضِخامها، وحُسن العين في الأنثى من أعظم الأدلة على حسنها وجمالها...﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾... أي: كأنهن اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي البهي، المستور عن الأعين والريح والشمس، الذي يكون لونه من أحسن الألوان، الذي لا عيب فيه بوجه من الوجوه؛ فكذلك الحور العين، لا عيب فيهن بوجه، بل هن كاملات الأوصاف، جميلات النعوت. فكل ما تأملته منها لم تجد فيه إلا ما يسُرّ الخاطر ويروق الناظر). أ.هـ. [٧٧]

ويقول الله تعالى أيضا:﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾. [الواقعة: ٣٥-٣٧].

يقول السعدي رحمه الله: (والعروب: هي المرأة المتحببة إلى بعلها بحسن لفظها، وحسن هيئتها، ودلالها، وجمالها، ومحبتها؛ فهي التي إن تكلمت سبت العقول، ووِدّ السّامع أنّ كلامها لا ينقضي، خصوصا عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة والنغمات المطربة؛ وإن نظر إلى أدبها وسمتها ودلها، ملأت قلب بعلها فرحا وسرورا؛ وإن برزت من محل إلى آخر، امتلأ ذلك الموضع منها ريحا طيّبا ونورا؛ ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع.

والأتراب: اللاتي على سن واحدة، ثلاث وثلاثين سنة، التي هي غاية ما يتمنى، ونهاية سن الشباب؛ فنساؤهم عرب أتراب، متفقات مؤتلفات، راضيات مرضيات، لا يحزن ولا يحزن، بل هن أفراح النفوس، وقـــرة العيون). أ.هـ.[٧٨]

---

٧٧ تفسير السّعدي، ص ١٨٣٣\١، تفسير سورة الواقعة.

٧٨ المصدر السّابق.

ويقول الحق جل في علاه:﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾. [الرحمن: ٥٨].

يقول الطّبري رحمه الله: (قال ابن زيد في قوله﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾: كأنهن الياقوت في الصفاء، والمرجان في البياض، الصفاء صفاء الياقوتة، والبياض بياض اللؤلؤ). أ.هـ.[٧٩]

الله أكبر! ما أعظم ما أعدّ الله للمتّقين في جنته، وفي مقدّمتهم المجاهدون في سبيله، الذين ضحّوا بأنفسهم، وبذلوا الغالي والنفيس ليفوزوا برضى ربّهم. بحق... لقد فازوا! وإنّ الله لن يخلف وعده لهم، وسيرضيهم يوم القيامة لأنهم سعوا إليه، وطلبوا رضاه، وقاتلوا من أجل دينه.

تابع معي يا أخي فنحن لم نستكمل وصف الحور بعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ، صُوَرُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا، آنِيَتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الْأَلُوَّةِ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا)[٨٠]

وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا).[٨١]

والله لا يُحرم الجنةَ إلا أشقى الناسِ وأتعسهم، ولا يُـمنح فضلها إلا سعيدٌ رحمه الله وأكرمه. فياءيها المسلمون، لنسأل الله الشهادة بصدق، فإن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: (مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ).[٨٢]

---

٧٩ تفسير الطبري، ص ٢٣\٦٧، تفسير سورة الرّحمن.

٨٠ صحيح البخاري، ص ٤\١١٨، ح رقم ٣٢٤٥.
صحيح مسلم، ص ٤\٢١٨٠، ح رقم ٢٨٣٤.

٨١ صحيح البخاري، ص ٤\١٧، ح رقم ٢٧٩٦.
مسند أحمد، ص ٢٠\٥٣، ح رقم ١٢٦٠١.

أَيَـــا رَبُّ قَدِّر لِي بِــخَيرِ شَـــهَـــادَةٍ	***	تَحُوبُ بِـهَا ذَنبِـي وَتَرفَـعُ مِـــن قَـدرِي
أَيَـــا رَبُّ قَد هُمتُ اشـتِـيَـاقًا لِـجَـنَّةٍ	***	فَخُذ مِن دَمِي وَاحشُر عِظَامِيَ مِن طَيرِ

وهذا الأجر المذكور للمجاهدين والشهداء، لا يختصّ به الرجال فقط من دون النّساء؛ لا، بل المرأة التي تقاتل من أجل الله، سيكون لها من الأجر مثل ما للمجاهد الرّجل بإذن الله؛ وإذا قُتِلَت فإنّ لها أجر الشهيد. فأجر المجاهدة هو كأجر المجاهد الرّجل في الجملة، وإنما ذُكر الرجال في الأحاديث لأنهم هم المكلَّفون بالجهاد، فكانوا هم المخاطبين بالترغيب من دون النساء؛ وسنتكلّم عن دور المرأة المسلمة في الجهاد في المباحث القادمة إن شاء الله تعالى.

ختاما، أحبّ أن أنقل لكم شعرا رائعا في وصف الحور العين، للإمام ابن القيم رحمه الله؛ وليس ما يقوله فيهن وصفا كاملا، ولن يدرك حقيقة جمالهنّ إنسانٌ إلا بعد أن يكرمه الله بدخول الجنّة؛ يقول:

فاسمع صفات عرائس الجنات	***	فاختر لنفسك يا أخا العرفان
حور حسان قد كملن خلائقا	***	ومحاسنا من أجمل النسوان
حتى يحار الطرف في الحسن الذي	***	قد ألبست فالطرف كالحيران
ويقول لما أن يشاهد حسنها	***	سبحان معطي الحسن والإحسان
والطرف يشرب من كؤوس جمالها	***	فتراه مثل الشارب النشوان
كملت خلائقها وأكمل حسنها	***	كالبدر ليل الست بعد ثمان
والشمس تجري في محاسن وجهها	***	والليل تحت ذوائب الأغصان
حمر الخدود ثغورهن لآلئ	***	سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها	***	فيضيء سقف القصر بالجدران
ولقد روينا أن برقا ساطعا	***	يبدو فيسأل عنه من بجنان
فيقال هذا ضوء ثغر ضاحك	***	في الجنة العليا كما تريان
ريانة الأعطاف من ماء الشباب	***	فغصنها بالماء ذو جريان

٨٢ صحيح مسلم، ص ٣\١٥١٧، ح رقم ١٩٠٩.

مسند أحمد، ص ٣٦\٤٢٥، ح رقم ٢٢١١١.

لما جرى ماء النعيم بغصنها	***	حمل الثمار كثيرة الألوان
فالورد والتفاح والرمان في	***	غصن تعالى غارس البستان
والقد منها كالقضيب اللدن في	***	حسن القوام كأوسط القضبان
في مغرس كالعاج تحسب أنه	***	عالي النقا أو واحد الكثبان
لا الظهر يلحقها وليس ثديها	***	بلواحق للبطن أو بدوان
لكنهن كواعب ونواهد	***	فثديهن كألطف الرمان
والجيد ذو طول وحسن في بيا	***	ض واعتدال ليس ذا نكران
يشكو الحلي بعاده فهل مدى	***	الأيام وسواس من الهجران
والمعصمان فإن تشأ شبههما	***	بسبيكتين عليهما كفان
كالزبد لينا في نعومة ملمس	***	أصداف در دورت بوزان
والصدر متسع على بطن لها	***	حفت به خصران ذات ثمان
وعليه أحسن سرة هي مجمع	***	الخصرين قد غارت من الأعكان
حق من العاج استدار وحوله	***	حبات مسك جل ذو الإتقان
وإذا انحدرت رأيت أمرا هائلا	***	ما للصفات عليه من سلطان
لا الحيض يغشاه ولا بول ولا	***	شيء من الآفات في النسوان

جعلنا الله جميعا ممن يفوزون بهذا الفضل العظيم، والثواب الجزيل. آميـن... آميـن... آميـن...

حكم الجهاد في سبيل الله

فرض العين هو ما طلب الشّارع حصوله من كل واحد من المكلّفين، كالصّلاة والصوم وغير ذلك، بحيث أنه إذا قام به البعض، فإنّ الإثم لا يسقط عن الباقين حتّى يقوموا به؛ أما فرض الكفاية، فهو الذي إذا قام به من يكفي، سقط الإثم عن باقي الأمّة؛ وإن لم يقم به من يكفي، أثم الناس جميعا؛ فالخطاب في ابتدائه يتناول الجميع كفرض العين، ثم يختلفان في أنّ فرض الكفاية يسقط بفعل بعض الناس له، وفرض العين لا يسقط عن أحد إلا بأن يفعله بنفسه.

الجهاد في الأصل فرض كفاية

الجهاد في سبيل الله فرضٌ أوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين، لكنّه ليس فرضا عينيا في بدايته؛ ويعني هذا أنّه إذا جاهد بعض المسلمين، وكان عددهم كافياً لسدّ الثغور وإرهاب أعداء الله، فإنّ الإثم يسقط عن الباقين؛ وأقلّ ما يسقط به الإثم، هو أن يكون عدد القائمين للجهاد، كافيا لسدّ الثغور؛ وكذلك إذا كان الإمام يغزوا بلاد الكفر لنشر دين الله، فإنه يجب أن يخرج من المسلمين ما يكفي للقتال؛ فإذا حصل ما سبق، سقط الإثم عن باقي المسلمين؛ وإن لم يحصل، فإنّ جميع المسلمين يأثمون، حتى يقوم للفريضة من يكفي.

فدليل فرضيّة الجهاد آياتُ الله سبحانه وتعالى، فقال عزّ من قائل:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾. [البقرة: ٢١٦]. وقال سبحانه:﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. [التوبة: ٤١]

ثم الدّليل على أنّه فرض كفاية في البداية، هو قول الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾. [التوبة: ١٢٢].

وَعَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: (أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟)، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ).[٨٣]

---

٨٣ صحيح البخاري، ص ٤\٥٩، ح رقم ٣٠٠٤.

فلو كان الجهاد متعيّنا على كلّ فرد، لم يجز لهذا الرجل أن يتخلّف، ولما أمر الله بعض المؤمنين بالبقاء لتعلّم الدين.

يقول الشّافعيّ رحمه الله: (فَدَلَّ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَنَّ فَرْضَ الْجِهَادِ إنَّمَا هُوَ عَلَى أَنْ يَقُومَ بِهِ مَنْ فِيهِ كِفَايَةٌ لِلْقِيَامِ بِهِ، حَتَّى يَجْتَمِعَ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ الْمَخُوفِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَمْنَعُهُ، وَالْآخَرُ أَنْ يُجَاهِدَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مَنْ فِي جِهَادِهِ كِفَايَة، حَتَّى يُسْلِمَ أَهْلُ الْأَوْثَانِ، أَوْ يُعْطِيَ أَهْلُ الْكِتَابِ الْجِزْيَةَ، فَإِذَا قَامَ بِهَذَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ مَنْ فِيهِ الْكِفَايَةُ بِهِ، خَرَجَ الْمُتَخَلِّفُ مِنْهُمْ مِنْ الْمَأْثَمِ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ) أ.هـ.[٨٤]

الحالات التي يتعين فيها الجهاد في سبيل الله

يتعيّن الجهاد (أي يكون واجبا على أشخاص بأعينهم، ولا يسقط عنهم الإثم بفعل غيرهم) في حالات أربع:

أولا؛ إذا حضر المسلم صفّ القتال، تعين عليه القتال

إذا حضر المسلم الزّحف؛ فلا يجوز لأحد جاء إلى صفّ القتال أن يتراجع، بل يجب عليه أن يكمل، حتى ولو كان الجهاد لم يكن واجبا عليه في بادئ الأمر. ولا يجوز الانسحاب من ميدان القتال إلا للتّحرّف للقتال (الانسحاب التكتيكي)، أو للانحياز إلى فئة أخرى من المجاهدين.

يقول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۞ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾. [الأنفال: ١٥-١٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المحْصَنَاتِ المؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ)).[٨٥]

صحيح مسلم، ص ٤\١٩٧٥، ح رقم ٢٥٤٩.

٨٤ الأم للشافعي، ص ٤\١٧٦.

٨٥ صحيح البخاري، ص ٤\١٠، ح رقم ٢٧٦٦.
صحيح مسلم، ص ١\٩٢، ح رقم ٨٩.

ثانيا؛ إذا استنفر الأمام قوما أو أفرادا بأعينهم، تعين عليهم الجهاد

إذا نادى الإمام بالنفير العام، أو طلب من شخصٍ بعينه أن يذهب مع الجيش، فإنه يجب عليه أن يسمع ويطيع.

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. [التوبة: ٣٨-٣٩].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ: (لاَ هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا).[٨٦]

فطاعة الأمير المسلم في غير معصية الله واجبة إجماعا، لقول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾. [النساء: ٥٩].

ثالثا؛ إذا احتيج إلى شخص أو أشخاص بأعينهم، وجب عليهم الخروج

إذا كان المسلمون يحتاجون إلى شخص معيّن، ولا يستطيع غيره أن يقوموا بما يقوم به، فإن الجهاد يكون متعيّنا عليه حينها، ولا يجوز له التخلف؛ وهذا لأنّ الأمر بالجهاد في الآيات التي فرض الله بها الجهاد، يتضمّن في البداية كلّ مسلم مكلّف بالجهاد، ثم إذا قام له من يكفي، سقط الإثم عمن بقي؛ وبما أنّه لم يقم للجهاد من يكفي في هذه الحالة، فإنّ الواجب يبقى حتى يقوم هذا الشخص بسدّ ثغره.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (إذا احتيج إليه صار فرض عين عليه؛ مثاله: عندنا دبابات وطائرات لا يعرف قيادتها إلا هذا الرجل، فحينئذ يجب عليه أن يقاتل؛ لأن الناس محتاجون إليه) أ.هـ.[٨٧]

---

٨٦ صحيح البخاري، ص ٤\١٥، ح رقم ٢٧٨٣.
صحيح مسلم، ص ٢\٩٨٦، ح رقم ١٣٥٣.

٨٧ الشرح الممتع على زاد المستقنع، ص ٨\١٠.

رابعا؛ إذا هجم الكفّار على بلدة من بلاد المسلمين، تعيّن على أهلها الدفاع، ثم على الأقرب فالأقرب

لقد أجمعت الأمة الإسلامية، من جميع المذاهب الفقهية، سلفا وخلفا، على أنّ الكفّار إذا هجموا على بلدة إسلامية، تعيّن الجهاد على أهل تلك البلدة، حتى يكفّوا بأس الكفّار؛ فإن لم يكفوا للتّصدّي لحملة الكفار، تعيّن الجهاد على الأقرب من المسلمين؛ فإن لم يكفوا هم أيضا، تعيّن على الذين يلونهم، وهكذا، حتى يعمّ الواجب جميع أهل الأرض.

فيما يلي سنأتي بأقوال العلماء من المذاهب الأربعة، لنستوضح أنّ إجماع المسلمين قد انعقد على هذا. ثم بعد ذلك، سنأتي بالأدلّة التي استدلّها أهل الإجماع على إجماعهم، والله أعلم.

رأي فقهاء الحنابلة في هذه المسألة:

يقول ابن قدامة المقدسي الحنبلي رحمه الله: (إذا نزل الكفار ببلد المسلمين، تعين على أهله قتالهم والنفير إليهم، ولم يجز لأحد التخلف، إلا من يحتاج إلى تخلفه لحفظ الأهل، والمكان، والمال، ومن يمنعه الأمير الخروج؛ لقول الله تعالى:﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا ﴾، ولأنهم في معنى حاضر الصف، فتعين عليهم، كما تعين عليه). أ.هـ.[٨٨]

ويقول ابن تيمية رحمه الله: (وَإِذَا دَخَلَ الْعَدُوُّ بِلَادَ الْإِسْلَامِ، فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِبُ دَفْعُهُ عَلَى الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ، إذْ بِلَادُ الْإِسْلَامِ كُلُّهَا بِمَنْزِلَةِ الْبَلْدَةِ الْوَاحِدَةِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ النَّفِيرُ إلَيْهِ بِلَا إذْنِ وَالِدٍ وَلَا غَرِيمٍ، وَنُصُوصُ أَحْمَدَ صَرِيحَةٌ بِهَذَا). أ.هـ.[٨٩]

ويقول ابن العربي رحمه الله: (إذَا كَانَ النَّفِيرُ عَامًّا لِغَلَبَةِ الْعَدُوِّ عَلَى الْحَوْزَةِ، أَوْ اسْتِيلَائِهِ عَلَى الْأُسَارَى، كَانَ النَّفِيرُ عَامًّا، وَوَجَبَ الْخُرُوجُ خِفَافًا وَثِقَالًا، وَرُكْبَانًا وَرِجَالًا، عَبِيدًا وَأَحْرَارًا؛ مَنْ كَانَ لَهُ أَبٌ، مِنْ غَيْرِ إذْنِهِ، وَمَنْ لَا أَبَ لَهُ، حَتَّى يَظْهَرَ دَيْنُ اللَّهِ، وَتُحْمَى الْبَيْضَةُ، وَتُحْفَظَ الْحَوْزَةُ، وَيُخْزَى الْعَدُوُّ، وَيُسْتَنْقَذَ الْأَسْرَى، وَلَا خِلَافَ فِي هَذَا). أ.هـ. [٩٠]

---

٨٨ الكافي في فقه الإمام أحمد، ص ٤\١١٨.

٨٩ الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ص ٥\٥٣٩.

٩٠ أحكام القرآن لابن العربي، ص ٢\٥١٨.

رأي فقهاء الحنفيّة في هذه المسألة

يقول ابن عابدين رحمه الله في حاشيته: (إذَا جَاءَ النَّفِيرُ، إنَّمَا يَصِيرُ فَرْضَ عَيْنٍ عَلَى مَنْ يَقْرُبُ مِنْ الْعَدُوِّ، فَأَمَّا مَنْ وَرَاءَهُمْ بِبُعْدٍ مِنْ الْعَدُوِّ، فَهُوَ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَسَعُهُمْ تَرْكُهُ، إذَا لَمْ يُحْتَجْ إلَيْهِمْ؛ فَإِنْ اُحْتِيجَ إلَيْهِمْ، بِأَنْ عَجَزَ مَنْ كَانَ يَقْرُبُ مِنْ الْعَدُوِّ عَنْ الْمُقَاوَمَةِ مَعَ الْعَدُوِّ، أَوْ لَمْ يَعْجِزُوا عَنْهَا لَكِنَّهُمْ تَكَاسَلُوا وَلَمْ يُجَاهِدُوا، فَإِنَّهُ يُفْتَرَضُ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ، فَرْضَ عَيْنٍ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، لَا يَسَعُهُمْ تَرْكُهُ، ثُمَّ وَثُمَّ، إلَى أَنْ يُفْتَرَضَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا عَلَى هَذَا التَّدْرِيجِ). أ.هـ.[٩١]

ويقول ابن نجيم المصريّ رحمه الله: (وَالْمُرَادُ هُجُومُهُ عَلَى بَلْدَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَيَجِبُ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ تِلْكَ الْبَلْدَةِ، وَكَذَا مَنْ يَقْرُبُ مِنْهُمْ إنْ لَمْ يَكُنْ بِأَهْلِهَا كِفَايَةٌ، وَكَذَا مَنْ يَقْرُبُ مِمَّنْ يَقْرُبُ إنْ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَقْرُبُ كِفَايَةً، أَوْ تَكَاسَلُوا وَعَصَوْا، وَهَكَذَا إلَى أَنْ يَجِبَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا). أ.هـ.[٩٢]

ويقول علاء الدّين السّمرقندي رحمه الله: (وَلِهَذَا قُلْنَا إذا كَانَ النفير عَاما، يجب على العَبْد أَن يخرج بِغَيْر إِذن الْمولى، وعَلى الْمَرْأَة القادرة عَلَيْهِ أَن تخرج بِغَيْر إِذن زَوجهَا، وعَلى الْوَلَد أَن يخرج بِغَيْر إِذن الْوَالِدين). أ.هـ.[٩٣]

رأي فقهاء الشّافعيّة في هذه المسألة

يقول الإمام النّووي رحمه الله: (فللكفار حالان؛ أحدهما، يكونون ببلادهم ففرض كفاية؛ إذا فَعَلَهُ من فيهم كفاية، سقط الحرج عن الباقين). ثم قال: (الثاني، يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن). ثم قال: (ومن على المسافة، يلزمهم الموافقة بقدر الكفاية، إن لم يكفِ أهلُها ومن يليهم). أ.هـ.[٩٤]

---

٩١ حاشية ابن عابدين على الدر المختار المسمّاة ب "ردّ المحتار"، ص ٤\١٢٣.

٩٢ البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ص ٥\٧٨.

٩٣ تحفة الفقهاء، ٣\٢٩٤.

٩٤ منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه، ص ١\٣٠٧.

ويقول شهاب الدّين الرّملي رحمه الله: (فَإِنْ دَخَلُوا (بَلْدَةً لَنَا) أَوْ صَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَنَا دُونَ مَسَافَةِ الْقَصْرِ، كَانَ أَمْرًا عَظِيمًا، (فَيَلْزَمُ أَهْلَهَا الدَّفْعُ) لَهُمْ (بِالْمُمْكِنِ) أَيْ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَطَاقُوهُ). ثم قال رحمه الله: (وَمَنْ) هُمْ (عَلَى الْمَسَافَةِ) الْمَذْكُورَةِ فَمَا فَوْقَهَا، (يَلْزَمُهُمْ) حَيْثُ وَجَدُوا سِلَاحًا وَمَرْكُوبًا، وَإِنْ أَطَاقُوا الْمَشْيَ وَزَادًا (الْمُوَافَقَةُ) لِأَهْلِ ذَلِكَ الْمَحَلِّ فِي الدَّفْعِ (بِقَدْرِ الْكِفَايَةِ إنْ لَمْ يَكْفِ أَهْلُهَا وَمَنْ يَلِيهِمْ) دَفْعًا عَنْهُمْ وَإِنْقَاذًا لَهُمْ). أ.هـ.[٩٥]

رأي فقهاء المالكيّة في هذه المسألة

يقول ابن عبد البرّ رحمه الله: (والفرض في الجهاد ينقسم أيضا قسمين:

أحدهما؛ فرض عام متعين على كل أحد ممن يستطيع المدافعة والقتال وحمل السلاح من البالغين الأحرار، وذلك أن يحل العدو بدار الإسلام محاربا لهم؛ فإذا كان ذلك، وجب على جميع أهل تلك الدّار، أن ينفروا ويخرجوا إليه، خفافا وثقالا، وشبابا وشيوخا، ولا يتخلّف أحد يقدر على الخروج، من مقاتل أو مُكثِر؛ وإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوّهم، كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا، قلّوا أو كثروا، على حسب ما لزم أهل تلك البلدة، حتى يعلموا أنّ فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم؛ وكذلك كلّ من علم بضعفهم عن عدوهم، وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم، لزمه أيضا الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يدٌ على من سواهم؛ حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها، سقط الفرض عن الآخرين) أ.هـ.[٩٦]

ويقول ابن رشد رحمه الله: (فإذا جوهد العدو، وحميت أطراف المسلمين، وسُدّت ثغورهم، سقط فرض الجهاد عن سائر المسلمين، وكان لهم نافلة وقربة مرغبا فيها؛ إلا أن تكون ضرورة مثل أن ينزل العدو ببلد من بلاد المسلمين، فيجب على الجميع إغاثتهم، وطاعة الإمام في النفير إليهم). أ.هـ.[٩٧]

---

٩٥ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ص ٨\٥٩.

٩٦ الكافي في فقه أهل المدينة، ص ١\٤٦٣.

٩٧ المقدمات الممهدات، ص ١\٣٤٧.

إذن، رأينا كيف أنّ جميع أئمة المسلمين أجمعوا على هذا، وقالوا بأنّ العدوّ إذا نزل بأرض المسلمين، فإنّ الجهاد يكون فرضا عينيا على كلّ أهل تلك البلدة؛ ثمّ إذا لم يكفوا لردّ عدوان الكفار، فإن الجهاد يجب على من يقربهم من المسلمين؛ فإن لم يكفوا هم أيضا، انتقل الوجوب إلى من يقربهم، ثم إلى من يقربهم؛ وهكذا، حتى يعمّ الواجب جميع أهل الأرض من المسلمين شرقا وغربا، أو ينهزم العدوّ وينتصر المسلمون.

في الصفحات القادمة، سنقف بإذن الله على بعض الأدلة التي تدل على ما أجمعت عليه الأمة مما سبق تقريره. أسأل الله أن يعلّمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علّمنا. والله أعلم.

الأدلة المفصّلة على تعيّن الجهاد، إذا هاجم العدوّ بلدة إسلاميّة

(١) يقول الله تعالى:﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾. [البقرة: ١٩٣].

يقول القرطبيّ رحمه الله:(وَهُوَ أَمْرٌ بِقِتَالٍ مُطْلَقٍ، لَا بِشَرْطٍ أَنْ يَبْدَأَ الْكُفَّارَ؛ دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ"، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إله إِلَّا اللَّهُ). فَدَلَّتِ الْآيَةُ وَالْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ سَبَبَ الْقِتَالِ هُوَ الْكُفْرُ، لِأَنَّهُ قَالَ: "حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ" أَيْ كُفْرٌ؛ فَجَعَلَ الْغَايَةَ عَدَمَ الْكُفْرِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ). أ.هـ.[٩٨]

ويقول الطّبريّ رحمه الله: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم؛ (حتى لا تكون فتنة)، يعني: حتى لا يكون شركٌ بالله، وحتى لا يُعبد دونه أحدٌ، وتضمحلَّ عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكونَ العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان). أ.هـ.[٩٩]

قلت: لقد أوجب الله على المسلمين أن يجاهدوا الكفّار ويغزوهم في بلادهم، "حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ". ولقد قلنا أنّ الجهاد فرض كفاية على المسلمين، فإذا قام به من يكفي لتحقيق الغاية (التي هي "حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ")، سقط الإثم عن الباقين. فإذا جاء الكفّار إلى ديار أهل الإسلام، يُفسدون على الناس دينهم وعقيدتهم، ويجرّونهم إلى النار جرّا، وجاءوا "لتكون فتنة"، وليكون الدين كلّه "لغير الله"، هل يكون المقصد قد تحقّق؟ الجواب، لا.

فالوجوب في أيّ نوع من الفروض (سواء فرض كفاية أم فرض عين) يقع للجميع في البداية؛ ثم يختلف الأمر مع فرض الكفاية في أنّه يسقط عن الباقين إذا تحقّق المقصود. فما دامَ المقصد من مُجاهدة الكفّار لم يتحقّق، ولم يقم له من يكفي لتحقيقه، يكون الإثم معلّقا على رقبة الجميع. والله أعلم بكلّ شيء.

(٢) يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾. [البقرة: ٢١٦].

---

٩٨ تفسير القرطبي، ص ٢\٣٥٣.

٩٩ تفسير الطبري، ص ٣\٥٧٠.

يقول القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَالَّذِي اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ أَنَّ الْجِهَادَ عَلَى كُلِّ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرْضُ كِفَايَةٍ، فَإِذَا قَامَ بِهِ مَنْ قَامَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ، إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ الْعَدُوُّ بِسَاحَةِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ حِينَئِذٍ فَرْضُ عَيْنٍ). أ.هـ.[١٠٠]

(٣) ويقول سبحانه وتعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾. [التوبة: ١٢٣].

يقول الطّبري رحمه الله: (يقول لهم: ابدأوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم دارًا، دون الأبعد فالأبعد؛ وكان الذين يلون المخاطَبين بهذه الآية يومئذ، الرّوم، لأنهم كانوا سكّان الشام يومئذ، والشام كانت أقرب إلى المدينة من العراق؛ فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد، فإن الفرض على أهل كل ناحية، قتالُ من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم، ما لم يضطرّ إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام؛ فإن اضطروا إليهم، لزمهم عونهم ونصرهم). أ.هـ.[١٠١]

فإذا كان الله قد فرض على المسلمين أن يذهبوا إلى الكفار ويغزوهم في عقر ديارهم، فكيف إذا جاء الكفار بجيوشهم إلى ديار المسلمين؟ أفلا يكون الفرض آكد، والواجب أعظم؟

(٤) ويقول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ».[١٠٢]

فهذا الحديث كغيره مما سبق من الآيات، يدلّ على أنّ الجهاد يمضي حتى يسلم الناس جميعا، أو يبذلوا الجزية (كما في سورة التّوبة)؛ فالمفروض أن يكون المسلمون هم الذين يذهبون إلى الكفار، يغزونهم في عقر دارهم، ويدعونهم إلى دين الله، لينقذوا البشرية من نارٍ أعدّها الله للظالمين؛ فإذا حصل العكس، وجاء الكفّار إلى ديارنا، يدعوننا إلى الشرك والتنديد، عندها لا يشكّ في وجوب الجهاد أحد.

---

١٠٠ تفسير القرطبي، ص ٣\٣٨.

١٠١ تفسير الطبري، ص ١٤\٥٧٤.

١٠٢ صحيح البخاري، ص ٢\١٠٥، ح رقم ١٣٩٩.
صحيح مسلم، ص ١\٥١، ح رقم ٢٠.

(٥) ويقول الله سبحانه وتعالى:﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. [التوبة: ٤١].

يقول الشيخ الشهيد[١٠٣] عبد الله عزّام رحمه الله: (وقد جاءت الآية قبلها ترتب العذاب والاستبدال، جزاءً لترك النفير؛ ولا عذاب إلا على ترك واجب، أو فعل حرام). أ.هـ.[١٠٤]

يقول القرطبيّ رحمه الله في تفسير هذه الآية: (وَقَدْ تَكُونُ حَالَةً يَجِبُ فِيهَا نَفِيرُ الْكُلِّ، وَذَلِكَ إِذَا تَعَيَّنَ الْجِهَادُ بِغَلَبَةِ الْعَدُوِّ عَلَى قُطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ، أَوْ بِحُلُولِهِ بِالْعُقْرِ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ وَجَبَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ تِلْكَ الدَّارِ أَنْ يَنْفِرُوا وَيَخْرُجُوا إِلَيْهِ خِفَافًا وَثِقَالًا، شَبَابًا وَشُيُوخًا، كُلٌّ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ؛ مَنْ كَانَ لَهُ أَبٌ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَمَنْ لَا أَبَ لَهُ؛ وَلَا يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ، مِنْ مُقَاتِلٍ أَوْ مُكَثِّرٍ.

فَإِنْ عَجَزَ أَهْلُ تِلْكَ الْبَلْدَةِ عَنِ القيام بعدوهم، كان على من قاربهم وجاورهم أَنْ يَخْرُجُوا، عَلَى حَسَبِ مَا لَزِمَ أَهْلَ تِلْكَ الْبَلْدَةِ، حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ فِيهِمْ طَاقَةً عَلَى الْقِيَامِ بِهِمْ وَمُدَافَعَتِهِمْ؛ وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ علم بضعفهم عن عدوهم وَعَلِمَ أَنَّهُ يُدْرِكُهُمْ وَيُمْكِنُهُ غِيَاثُهُمْ، لَزِمَهُ أَيْضًا الْخُرُوجُ إِلَيْهِمْ، فَالْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ؛ حَتَّى إِذَا قَامَ بِدَفْعِ الْعَدُوِّ أَهْلُ النَّاحِيَةِ الَّتِي نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْهَا وَاحْتَلَّ بِهَا، سَقَطَ الْفَرْضُ عَنِ الْآخَرِينَ). أ.هـ.[١٠٥]

---

١٠٣ نحسبه كذلك، ولا نزكّي على الله أحدا.

١٠٤ الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان للشيخ عبد الله عزّام رحمه الله، ص ١٢.

١٠٥ تفسير القرطبي، ص ١٥١\٨.

(٦) ويقول تعالى:﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾. [التوبة: ٥].

يقول ابن كثير رحمه الله: (وَقَوْلُهُ:﴿ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾أَيْ: لَا تَكْتَفُوا بِمُجَرَّدِ وِجْدَانِكُمْ لَهُمْ؛ بَلِ اقْصِدُوهُمْ بِالْحِصَارِ فِي مَعَاقِلِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَالرَّصْدِ فِي طُرُقِهِمْ وَمَسَالِكِهِمْ حَتَّى تُضَيِّقُوا عَلَيْهِمُ الْوَاسِعَ، وَتَضْطَرُّوهُمْ إِلَى الْقَتْلِ أَوِ الْإِسْلَامِ). أ.هـ.[١٠٦]

قلت: فقتال الكافرين يجب علينا ابتداء، وهذا يعني أن نغزوهم في بلادهم، ونقاتلهم في سبيل الله، حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون؛ فإذا هجموا على ديار المسلمين، فإن الواجب عندها يتضاعف، ويصبح الجهاد فرضا عينيّا على كلّ مسلم يقدر على القتال، خفيفا أو ثقيلا، شابّا أو شيخا، كلٌّ حسب طاقته.

(٧) مشروعية دفع الصائل المعتدي:

يقول عبد الله عزّام رحمه الله: (إنّ كل دين نزل من عند الله جاء للحفاظ على الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال، ولذا، فيجب المحافظة على هذه الضرورات بأي وسيلة؛ ومن هنا شرع الإسلام دفع الصائل؛ والصائل هو الذي يسطو على غيره قهرا، يريد نفسه أو ماله أو عرضه.

أ) الصائل على العرض: ولو كان مسلما إذا صال على العرض وجب دفعه باتفاق الفقهاء، ولو أدى إلى قتله، ولذا فقد نص الفقهاء على أنه لا يجوز للمرأة أن تستسلم للأسر ولو قتلت، إذا خافت على عرضها.

ب) أما الصائل على المال أو النفس: فيجب دفعه عند جمهور العلماء، ويتفق مع الرأي الراجح في مذهبي مالك والشافعي، ولو أدى إلى قتل الصائل المسلم؛ ففي الحديث الصحيح: (من قُتِل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتِل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتِل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتِل دون أهله فهو شهيد).

---

١٠٦ تفسير ابن كثير، ص ١١١\٤.

قال الجصاص بعد هذا الحديث: (لا نعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفا على رجلٍ ليقلته بغير حق، أنّ على المسلمين قتله). وفي هذه الحالة—الصِّيَال—إذا قُتِل الصائلُ فهو في النار ولو كان مسلما، وإذا قُتِل العادلُ فهو شهيد.

هذا حكم الصائل المسلم، فكيف إذا صال الكفار على أرض المسلمين، حيث يتعرض الدين والعرض والنفس والمال للذّهاب والزوال؟ ألا يجب في هذه الحالة على المسلمين دفع الصّائل الكافر والدولة الكافرة؟!). أ.هـ.[١٠٧]

(٨) وجوب قتال الفئة الباغية من المسلمين:

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾. [الحجرات: ٩]. يقول القرطبيّ رحمه الله: (فِي هَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ قِتَالِ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ الْمَعْلُومُ بَغْيُهَا عَلَى الْإِمَامِ أَوْ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ). أ.هـ.[١٠٨]

قلت: هذا والباغي من المسلمين، فكيف إذا كان من الكافرين، وجاء بجيشه يهلك الحرث والنسل، ويفسد على الناس دينهم ودنياهم؟ لا شكّ في أنّ قتال هذا من أوجب الواجبات، بلا خلافٍ بين المسلمين.

يقول ابن تيمية رحمه الله: (وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجب إجماعا؛ فالعدو الصائل الذي يفسد الدّين والدّنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه). أ.هـ.[١٠٩]

---

١٠٧ الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان، ص ١٤.

١٠٨ تفسير القرطبي، ١٦\٣١٧.

١٠٩ الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ٥\٥٣٨.

(٩) مشروعية قتال أهل الحرابة من المسلمين:

يقول الله تعالى:﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾. [المائدة: ٣٣].

يقول الطّبريّ رحمه الله: (أعلمَ عبادَه ما الذي يستحق المفسدُ في الأرض من العقوبة والنكال، فقال تبارك وتعالى: لا جزاء له في الدنيا إلا القتلُ، والصلب، وقطعُ اليد والرِّجل من خلافٍ، أو النفي من الأرضِ، خزيًا لهم؛ وأما في الآخرة إن لم يتبْ في الدنيا، فعذاب عظيم). أ.هـ.[١١٠]

فإذا كان هذا حال المفسد المسلم، فكيف بمن كفر بالله وبرسوله، وجاء بجيوشه يجرها ليتخلّص من الحكم بشريعة الله، ويغتصب النّساء، ويقتل الولدان والشيوخ، ويُذِلّ أهل الحق، ويُفسِد على النّاس دينهم ودنياهم؟! ألا يكون حرب هذا الكافر المفسد أعظم وجوبا من حرب المسلم المفسد؟

وهناك أدلّة أخرى كثيرة تدلّ على ما سبق، فكلّ الآيات التي تأمر بالجهاد، تتضمّن هذا النوع من الجهاد تضمّنا أوّليا.

فإذن، لا يوجد خلاف بين أئمة المسلمين على أنّ الكفّار إذا هجموا على بلدة إسلامية، فإنّ على جميع أهل تلك البلدة أن ينفروا للقتال في سبيل الله، ويدافعوا عن بيضة الأمّة وحرمتها؛ فإن عجز أهل تلك البلدة عن مقاومة العدو، أو تكاسلوا عن القيام للجهاد، فإنّ الجهاد حينئذٍ يتعيّن على من يقربهم من المسلمين؛ ثم إذا عجز هؤلاء أيضا، وجب الجهاد على من يقربهم، ثم على من يقربهم؛ ويبقى الجهاد يتعيّن بهذا التدرج على المسلمين، حتى يعمّ الواجب جميع أهل الأرض من المسلمين، ما لم يُردَعِ العدو، فعندها يسقط الواجب.

الآن وقد تبيّن لنا حكم الجهاد ومكانته، سنطبّق ما قلناه على واقع الأمة في هذا العصر. سنبيّن بإذن الله في الصفحات القادمة، كيف أنّ الجهاد أصبح فرضا عينيا على جميع المسلمين منذ أمد بعيد، ولكنّهم أهملوه وتركوا فريضة الله، عن جهل أو عن عمد. فتابع!

---

١١٠ تفسير الطبري، ص ١٠\٢٤٣.

بيان تعيّن الجهاد في هذا العصر

لم يكن الذي سبق، إلا نبذةً سريعة عن حال الأمة في زماننا؛ وأظن أنّ الفكرة بدأت تتضح لدينا الآن: "لا بدّ من تغيير"؛ لقد رأينا ممّا سبق، كيف أنّ الكفّار قد استباحوا بيضة المسلمين وحرمتهم؛ فمرة يقتلنا اليهود، ومرّة يقتلنا الأمريكان، ومرّة يقتلنا الرّوس، ومرة يقتلنا الرّوافض، ومرة يقتلنا النّصيرية، ومرّة يقتلنا البوذيّون، وهلمّ جرّا؛ أصبح المسلمون لحما طاريا تتنافس عليه الأمم، ولا يمكن لنا أن نغضّ الطرف عن كل هذا، ونسمح لهذا الوضع أن يستمرّ.

لقد كان الرّسول وأصحابه يغزون الرّومان في غزوة تبوك، فقط لأنه ترامى إلى أسماعهم بأنّ الرّومان يستعدّون لغزو المدينة؛ فلمّا سمعوا ذلك، كان النفير العامّ، ونزلت آيات الأمر بالجهاد، ولم يقبل الله عذرًا لأحد... أنزل الله تعالى في هذا الشأن:﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، [التوبة: ٤١]؛ وأنزل كذلك:﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، [التوبة: ٣٩]؛ كذلك أنزل الله تعالى الآيات التي كانت تعيّر المنافقين بالتأخّر عن الغزو في سبيل الله، وتُحَذّر المؤمنين من مثل فعل المنافقين.

لقد كان مَن قبلَنا من المسلمين يَغزُون الكفار ويُرسلون الجيوش حين يسمعون أنّ امرأة واحدة من المسلمين قد اغتُصِبت؛ فقد ورد في الكامل لابن الأثير، أن امرأة من المسلمين أَخَذَت تَصيح عندما وقعت في أسر أمير عمورية: "وامعتصماه"؛ فلما بلغ ذلك المعتصم بالله ابن هارون الرّشيد، أَقسَم بِأن ينتقم من الرّوم؛ فجمع المعتصم جيشا كبيرا بلغ تعداده خمسمائة ألف جندي، وتولّى قيادة الجيش بنفسه؛ وتقدّم بجيوشه حتى التقى بالرّوم عام ٨٣٨ م، وقامت بين الجيشين معركة كبيرة انتهت بانتصار جيش المعتصم، رحمه الله.

الغريب، أنّني عندما كنت أكتب أعداد القتلى والجرحى في بلاد المسلمين، كانت الأعداد بالآلاف ومئات الآلاف؛ فلمّا مررتُ بمجزرة للمسلمين قُتِل فيها المئات، رأيتُني وأنا أنظر إليها وكأن العدد قليل؛ وسبحان الله، هذا هو الذي يجري لكثير من المسلمين؛ فبما أنّ أسماعنا قد اعتادت على أن تسمع مسلما مقتولا أو مسلمة انتُهك عرضُها، أصبحت مثل هذه الأخبار لا تثير في قلوبنا شيئا.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلّم يقنت شهرا كاملا يدعوا على الذين غَدَرُوا بسبعين من أصحابه، وهذا كما جاء في البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم: (قَنَتَ شَهْرًا بَعْدَ الرُّكُوعِ، يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ؛ قَالَ: بَعَثَ أَرْبَعِينَ – أَوْ سَبْعِينَ يَشُكُّ فِيهِ – مِنَ القُرَّاءِ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ المشْرِكِينَ، فَعَرَضَ لَهُمْ هَؤُلاَءِ فَقَتَلُوهُمْ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ؛ فَمَا رَأَيْتُهُ وَجَدَ عَلَى أَحَدٍ مَا وَجَدَ عَلَيْهِمْ).[١١١]

واليوم ونحن نرى من وضع المسلمين ما نرى، من استباحةٍ لدماء المسلمين في كلّ مكان (من تركمانستان الشّرقية، إلى صحراء المغرب الإسلامي)، كيف تبقى قلوبنا ساكنة ويهنئ لنا العيش؟! كم من "السبعينات" قُتل من المسلمين، وكم من "السبعينات" انتُهكت أعراضُهن، وكم من السبعينات جُرِح؟ كم... وكم؟ مليون؟ مليونان؟ كيف يَشُكّ أحدٌ يعرف آياتِ الله، بفرضيّة الجهاد وتعيّنه على المسلمين بعد هذا؟ كيف يشك في أنّ وجوب الجهاد اليوم، أصبح وجوبًا فرديًّا كوجوب الصّلاة والصّيام، وأن الذّنب لا يسقط عن أحدٍ بفعل غيره؟

كيف يشكّ وهو يسمع قول الله تعالى للمؤمنين الصّادقين:﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾. [سورة النّساء: ٧٥]. فكم من القرى تئنّ اليوم تحت وطأة الكفّار بالله عليكم؟ كم من الفتيات المسلمات القاصرات تُغتَصَبن اليوم أمام أهاليهنّ (وربّما أزواجهنّ)؟ كم من الشّيوخ قُتِلوا بغير رحمة ولا شفقة؟ كم من الأطفال قُتِلوا أمام أمّهاتهم؟ كم من الرّجال المؤمنين الصّادقين المجاهدين قُتلوا، لا لشيء إلا لأنهم يدعون الناس إلى ربهم الواحد، ليتركوا ما يحكّمونه في حياتهم من دون الله، ويعبدوا الله وحده لا شريك له في الحكم؟

كيف يشكّ وهو يسمع قول الله تعالى:﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾. [الأنفال: ٧٢]. كم من القرى تستنصر بالمسلمين اليوم يا إخوة الإيمان والعقيدة؟

كم قُتِل في فلسطين فقط، وكم قتل في البوسنة والهرسك، وكم قَتَلَ الأمريكانُ بطائراتهم ودباباتهم؟ كم من الشّباب أودعهم الأمريكان في السجون، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد؟ كيف يشكّ أحدٌ في فرضيّة الجهاد

١١١ صحيح البخاري، ص ١٠٠\٤، ح رقم ٣١٧٠.
صحيح مسلم، ص ٤٦٨\١، ح رقم ٦٧٧.

وتعيُّنِهِ علينا بعد هذا؟ كم يجب أن يَقتُل الأعداءُ منّا قبل أن نقوم للدّفاع عن ديننا وعرضنا؟ وكم من نسائنا يجب أن تُغتصبن قبل أن نستفيق من غفوتنا العميقة؟ وكم من أطفالنا يجب أن يُقتَلوا وهم يرجعون من المدارس؟ أضف إلى هذا، الملايين من أسرى المسلمين، الذين يقبعون في السجون المظلمة كالقبور، لا يعرفون هناك ليلا ولا نهارا.

نحن اليوم لا نتكلّم عن فتح بلاد أو إدخال أقوام جدد في دين الله يا أخوة؛ نحن نتكلّم عن أمّة يكاد عدوّها أن يطمس عليها؛ نحن نتكلّم اليوم عن وضعية دفاع، وليس عن هجوم. كيف يشكّ أحد في فرضيّة الجهاد بعد هذا؟

لقد سقطت الأندلس قبل سبعة قرون على أقل التقديرات، وهي تلك البلاد المسلمة الغنية العظيمة الواسعة؛ فالحق هو أن الجهاد في سبيل الله قد وجب منذ سقوطها، ولا يزال الإثم متعلقا على رقبة كلّ قاعد أو مثبّط منذ ذلك اليوم. دع عنك الأندلس، أين هي فلسطين؟ أليست قابعة في أيدي اليهود لأكثر من ستّين سنة؟ فمن هذا الذي يقول أنّ فلسطين ليست أرضا مسلمة، وأنّه لا يجب الجهاد من أجل تحريرها؟ لا يقول هذا إلا جاهلٌ في الدّين، أو جاهلٌ في الواقع، أو منافقٌ طمس الله بصره وبصيرته (وما أكثرَهم).

إذا كان الجهاد اليوم لا يجب، فمتى يجب؟ لم يمرَّ على المسلمين يومٌ تجمّعت عليهم كلّ هذه الآلام من قبل؛ سقطت دولتهم، وتجمّع عليهم عدوّهم من كلّ جانب، ويفسد العدوّ عليهم عقيدتهم، ويقتلهم كالأنعام، هنا وهناك، من دون رحمة؛ جميع بلاد المسلمين محتلّة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، إمّا بالاحتلال المباشر، أو بالوكالة والعمالة.

الجهاد من قبلُ يا إخوة الإيمان، كان يجب لإدخال أقوام جدد في دين الله؛ أما اليوم، فالقضيّة هي قضيّة وقف نزيف، وليست قضية دم جديد؛ كان النّاس من قبلُ يدخلون في دين الله أفواجا، أما اليوم، فهم يخرجون منه أفواجا، وكثيرٌ منهم لا يعلم (من أجل حرص العدوّ على بث العقائد الفاسدة—كالديموقراطية—في العامّة)؛ يرتدّ الناس عن دين الله اليوم ببرلمانات تشرّع مع الله، وبموالاة لأعداء الله، وبكراهية لبعض دين الله (أو لكلّه)، وبغير ذلك. فنحن نتكلّم عن إيقاف هؤلاء من دخول النار، وإرجاع بعض الأمور إلى نصابها.

لقد بلغ السيل الزبى، وبلغ الألم ذروته، ولم يبقى إلا أن تُستَأصَل هذه الأمة من جذورها؛ فإن كان الجهاد لا يتعيّن اليوم، فإنّي لا أعرف وقتا آخر يمكن أن يتعيّن فيه الجهاد. والله أعلم بكلّ شيء...

***

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: فَهْمُ الصِّرَاعِ القَائِمِ بَينَ المُسلِمِينَ وَالكُفَّارِ عَلَى حَقِيقَتِهِ

من هم الذين يقاتلوننا؟ لماذا يقاتلوننا؟ ولماذا نقاتلهم؟ أسئلةٌ يجب أن نتساءلها، لكي نستوضح الهدف، ونمشي على ضوءٍ ونحن نعرف ما نريد. من السّهل أن يثِب المرءُ بحماس إلى محاولة التغيير، وهو غير مستبين لهدفه؛ لكن سرعان ما ينطفئ هذا الحماس عند أول مشكلة تواجهه، وغالبا ما ينحرف مسار المحمَّس من الدّرب الشّرعي الصحيح؛ فلذلك، يجب على المسلم أن يستوضح هدفه، ويكون على بيّنةٍ من أمره، كي لا ينحرف مساره ولا ينطفئ حماسه. وهذا الاستبيان للهدف يأتي من أمور، أعظمها فهم حقيقة المعركة التي نخوضها.

تلخيص شديد لحقيقة المعركة

إنّ فهم حقيقة المعركة التي نخوضها مع أعداء الله يأتي من فهم آيات الله، وقراءة التاريخ. ذلك لأنّ سُنَن الله في هذا الكون ثابتةٌ لا تتغير بتغيّر الأزمان؛ فالأسماء والأماكن تتغير، ولكن التاريخ يُعِيدُ نفسَه، والوقائعُ تأتي بصورتها الأولى؛ وبذلك، يكون التاريخ علَمًا نستعمله لمعرفة وِجهتنا وما يستقبلنا.[١١٢]

ومن سُنَن الله الثّابتة، سنّةُ المدافعة بين الحق والباطل؛ فمنذ أن خلق الله الإنسان وأرسل إليهم الرسل، كان بعض الناس يرفضون الحق، ويقاتلون أنبياء الله ودينه، فكان لا بد من اصطدام. كان هذا الصدام حتميا لا بدّ من وقوعه، لأنّه من طبيعة هذا الدّين أن يُزيل الطواغيت عن طريق الدعوة، ليصل نور الله بحقيقته إلى الناس، ولا يترك الناس بظلامهم وهو يعلم أنهم سينحدرون إلى جهنم إذا واصلوا السير على طريقهم. هذا الدّين يجعل الناس في تناسُقٍ تامٍّ مع الكون الذي يعيشون فيه، فيُخرِجُهم من عبادة العباد إلى عبادة الله ربِّ العباد، ويجرّد الكفّارَ من الألوهية التي ادّعوها واغتصبوها (حين حاولوا أن يُخضِعوا البشر لقوانينهم، وتَنَكَّروا لقوانين ربّهم)، ويَهدِمُ العروشَ الوهمية التي بنوها.

وهذا ما لا يَخفَى على الكفّار؛ فهم يجحدون ذلك المعنى (الذي هو الاستسلام التامّ لأوامر الله)، لأنه يهدّد عروشهم؛ ولهذا الأمر، كان الكفار من أيامهم الأولى، يحاولون أن يقتلعوا الإسلام من جذوره، ويئدُوه في مهده، لكنّ الله يأبى إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون. فهاك خلاصة المعركة: نقاتلُهم لنُخضِعَهم ونُعبِّدَهم لشرع الله، وهم يقاتلوننا ليُخضِعُونا ويُعَبِّدونا لشرائعهم وقوانينهم، وسنبقى نتقاتل بهذه الطريقة، حتى يأتي أمر الله ويقرب ميعاد السّاعة.

---

١١٢ ولهذا نجد أنّ ثلث القرآن الكريم، يخبر عن قصص الأنبياء والسّابقين، وما ذاك إلا لما في التاريخ من عبرٍ لمن يعتبر. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾. [يوسف: ١١١].

لماذا يقاتلنا الكفّار

في ظلّ دعاوي الحرّيات الوهمية، يصعب علينا أن نفهم آيات الله البينات، التي تُوضّح لنا (وبشدة)، أنّ الكفّار يتحيّنون لنا الفُرَص لينقضّوا علينا؛ لكن، إذا أمعنّا النظر وتدبّرنا، سنرى معجزة القرآن ماشيةً بين أيدينا، وسنفهم تفسير هذه الآيات بجلاءٍ شديد جدّا.

لقد جمع الله لنا الأمر كلّه في آيةٍ واحدة (إن كنّا نفهم):﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾. [البقرة: ٢١٧]. هدف الكفار هو تحويل المسلمين من الإسلام إلى الكفر؛ وهذا الكفر قد يأتي بصُورٍ مختلفة، وتحت أعذارٍ وتفاسيرَ متغايرة، لكنّ الحقيقة تبقى واحدة؛ لن يرضو عنا إلا بتركنا للإسلام واستبدالنا له بغيره: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾. [البقرة: ١٢٠].

لقد جاءت الأعوام بعد هذه الآية، تُبيّن لنا تفسير هذه الآية؛ فمنذ الأيّام الأولى إلى يومنا هذا، لم يَفتئِ الكفارُ (بجميع مللهم وألوانهم) يقاتلون هذا الدّين وأهله. صحيحٌ أنّ الألوان تتغيّر، وكذلك الأسماء والأماكن، لكنّ الحقيقة تبقى واحدة: ......﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾......

إلى ماذا يريدوننا أن نتغيّر؟

إلي أيّ شيء ما عدا **الإسلام الكامل**. هناك حقيقة ثابتة، وهي أنّ الكفار يريدوننا أن نكفر بالله، لكنّ الشيءَ الذي يريدون منّا أن نتحوّل إليه ونعتنقه بدلَ الإسلام، هو شيء متغيّر، يتغير بتغيّر الزّمان والمكان، إلا أنّه على وجه العموم يُبقِي الكفّارَ على عروشهم الباطلة، بطريقة أو بأخرى. هم يعرفون أن الله أرسل نبيّه للعالمين، وأنزل كتابه ودينه للعالمين، شرعا لهم وقانونا وحكما، وهم يعرفون تماما أنّه يأخذ السّلطة من أيديهم، ويضعها في يد الشرع، يَحكُم ولا يُحكَم. فلذلك، ترى أن الكفّار بجميع نِحلهم ومللهم مُجمِعون على معاداة الإسلام الكامل (وانتبه لهذا).

هدفُ الكفّار النهائي مُلَخّصٌ في قول الله تعالى:﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾. يريدون أن يخرجونا من الإسلام الحقيقي، فإما أن نعتنق غيرَه بوضوح، وإما يُغيّروا الإسلام، تماما كما أراده المشركون

الأوائل (ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ)؛ هم جميعا متفقون على أمر واحد: لا يريدون أن يروا هذا الدّين واقعا يستعمله الناس كمنهج حياة، لأنهم يخافون منه على مصالحهم.

إلامَ يريدون أن يَرِدّونا يا ربّ؟ الجواب: وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ. يريد كلّ واحدٍ منهم أن يردّنا إلى دينه؛ فالنصراني يريدنا نصرانيين، واليهودي يريدنا يهوديين، وكذلك غيرهم. لكن هناك من الكفّار من يحمل راية الكفر، وهم من يحاول أن يردّ المسلمين إلى دينهم. كان الرّوس هم هذا القائد قبل عقود، فكانوا يحملون النّاس على الشيوعية ومشتقاتها؛ أما اليوم، فإن أمريكا هي من تحمل قيادة الكفر العالمي، ودينهم يسمّى الديموقراطية.

يُروِّج الكفار في الغرب لإسلامٍ جديد، سمّوه بالإسلام الحداثي، أو الإسلام الديموقراطي. لذلك، سنمرّ بسرعة على ماهية الديموقراطية، وسنشير إلى تصادمها مع الإسلام تصادما تامّا.

ما هي الديموقراطية؟

الديموقراطيّة بإجمال، تعني حكم الشّعب لنفسه بما يريد. تُعطي الديموقراطيّةُ حقّ التشريع للشعب، فيختارُ النّظام الذي يحكمه في البداية، ثم يُشَرِّع القوانين اليومية التي تُسيِّر حياةَ الشّعوب. الديموقراطية التمثيلية هي النوع المستعمل في معظم الدول "الديموقراطية" اليوم، ويعني ذلك: أن ينتخب الشعب مجلسا للتشريع (البرلمان)، فيُشرّع هو نيابةً عنهم.

والذي ينافي أساسيات الإسلام في هذا، هو أنّ الدّيموقراطية تعطي السيادة في التشريع للشعب، وليس لله ربِّ الشعب؛ فإن أراد الشعبُ تطبيق الإسلام كاملا، يكون له الحق في ذلك؛ وإن أراد طرحَه كاملا، فله الحق في ذلك... إن أراد إباحة الزنا والخمر والربا واللواط، فله ذلك، وإن أراد تحريم كل ذلك وزيادة، فله ذلك. المعيار في الديموقراطية هو صوت أغلبية الشعب، والقول الفصل فيما إذا كان شيئا ما سيكون قانونا أم لا، هو قول الشعب..

اليوم، تعمل نُظُمُ الردّة الحاكمةِ لبلاد المسلمين بالديموقراطية (إلى حدود مختلفة)، وتُمارس برلماناتُهم التشريعَ المناقض لشرع الله بإحدى طريقتين:

- الأولى، أن يُزيلَوا بعضَ الشرائعِ من النّظم المعمول عليها (وهذا هو الأكثر)، فيُخرِجُوا الحدودَ مثلا من النظام، فإذا قُبِض على مُرتدٍّ عن دين الإسلام، أو زانٍ، أو شاربِ خمرٍ، أو غيرهم ممن عليهم حدٌّ شرعيّ، لن يكونوا مجرمين أمام قضاء الدّولة، ولن يُصنَعَ بهم شيء؛
- الثانية، أن يَمنَعَوا بعضَ الشّرائع ويُلغُوها صراحة، ويُعاقِبَوا من فَعَلَها كما يُعَاقَبُ المجرمون. وأكثرُ ما يقع هذا، يكون في الجهاد (الكفائي منه والعيني)، الذي سمّوه بالإرهاب؛ والجهاد الكفائيّ ممنوعٌ دوليّا أصلا، من قِبَل الأمم المتّحدة، وذلك بِمَنْعِ الأعضاء من التّعدّي على الحدود الوهميّة الموضوعة.

إنّ الله هو المشرّع الوحيد، والسيادة كلّها له وحده لا شريك له فيها.

إن الله هو المشرع الوحيد، فلا يشرّع للناس إلا ربُّ الناس، ومن نازع الله في التشريع، فإنّه ينازعه في أخص خصائص ربوبيته. فالله هو الوحيد الذي لا ينازعه أحدٌ في التّشريع، وليس لأحدٍ ان يأخذ هذا الحق لنفسه من دون الله، أو أن يُشرّع حكمًا يُخالف حكمَ الله (مهما بَدَى الحُكم بسيطا له).

إنّ الله سبحانه قد جعل دينه منهجا لحياتنا، فأنزل إلينا كتابه كاملا لم يُفرّط فيه من شيء؛ فما مِن أمرٍ نُريد فِعلَه إلا وفي شرع الله ما يتكلّم عنه، إما آمراً، أو مبيحاً، أو ناهياً. فأيّما أحدٍ نازع الله في هذا، فإنّه يكون كافرا بذلك كفرا أكبر مُخرجًا من الملّة. وإن اجتمعت الدّنيا، برجالها ونسائها وجنّها وإنسها، فغيّروا حكمًا واحدا في الشّرع،[١١٣] فجوّزوا ما حرّمه الله، أو منعوا ما أحلّه الله، لكان جميعُهم بذلك كفّارا مُخلَّدِين في عذاب النار، ما لم يتوبوا إلى الله ربّهم.

سوف يقول المنافقون: "تقول بأن الله هو المشرّع الوحيد؛ فماذا تقول عن قوانين المرور وقوانين مواقف السيارات وأمثالِهما، أليست هذه القوانين من التشريع؟" الجواب، قد تكون من التشريع، وقد لا تكون؛ ويتوقّف هذا على ما إذا كان الشخص يستنبط أوامره هذه من شرع الله أو من هواه (أو هوى أغلبية الأصوات في البرلمان في عصرنا)؛ فالأول اجتهادٌ في الشرع، والثاني تشريعٌ مكفّرٌ لصاحبه.. إقرأ الحاشية.[١١٤]

---

١١٣ طبعا، أعني كلَّ الناس غيرَ الأنبياء (عليهم صلوات الله وسلامه)، فالأنبياء (عليهم صلوات الله) هم من يأتي بالشرع من الرحمن جل جلاله.

١١٤ "التشريع" قانون تُصدِره الهيئة التشريعية التي لا تلتزم بقانون أعلى منها، بل هي من تصنع القوانين. الهيئة التشريعية في حكومات الكفر في عصرنا هي البرلمان أو مجلس الشعب. هؤلاء، يشرّعون الدستور، ثمّ على أساس الدستور، يشرّعون القوانين الأخرى، فلا قانون إلا ما صنعوه، فهم السلطة العليا التي

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. [الشورى: ٢١]. ويقول تعالى:﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. [التوبة: ٣١]. وهؤلاء الناس الذين وصَفَهُم الله بالأرباب، لم يكونوا يطلبُون من النّاس أن يَسجُدُوا لهم أو أن يرْكَعُوا لهم، وإنّما كانوا يُشرّعون لهم تشريعًا يُخالف شرع الله، وهؤلاء الناس كانوا يطيعونهم في ذلك، فسمّى الله المشرّعين بذلك "أربابا"، وسمّى طاعة المُطِيعين "عبادةً" لهم، ثم خَتَمَ سبحانه بِوَصْفِ ما صَنَعَهُ الجميعُ (من مُشرّعين ومُطيعين) "بالشرك".

تصنع القوانين من دون الإلتزام بقوانينٍ تأتي ممن هم أعلى منهم. أما إذا كان شخصٌ ما يلتزم بقوانينِ سلطةٍ أعلى منه، فإنه ليس بمشرّع، وما يُصدره من أوامرَ لا يسمّى تشريعا.

وفي المقابل، "اللوائح"، أو ما يسمى التشريعات الفرعيّة، هي القوانين التي تُصدِرها السّلطة التنفيذية تحت إطار التشريع الذي صدر من السلطة التشريعية (في حال الحكومات الكفرية هذه: البرلمان). "اللوائح" تنفيذٌ للتشريع، وليست هي التشريع. مثلا، قد يُصدِر البرلمان تشريعا يقضي بأخذ رسوم "الربط الموحَّد" من شركات الإتصالات، ويترك التشريعُ تفصيلَ هذه الرسوم للسلطة التنفيذية. هنا يأتي دور اللوائح والسطلة التنفيذية، فتُصدِر وزارةُ الإتصالات (السلطة التنفيذية) لائحةً تُفصّل فيه مقدار هذه الرسوم، متى تُقبض وكيف تُقبض. ففي هذا المثال، وزارة الاتصالات نفّذت التشريع وفصّلته في الإطار المسموح لها، ولم تُشرّع هي. فالمشرّعون في دول عصرنا هم البرلمان فقط، وغيرهم يتّبع أو يفصّل تحت إطار صلاحياتٍ يعطيها المشرّع. فإذا كان شخصٌ ما أو هيئةٌ ما تلتزم بقانون سلطةٍ أعلى منها، فإنها ليست مشرّعةً، ولا يسمّى ما تُصدِره من أوامر تشريعاً، بل لوائح.

إنّ الله هو المشرع الوحيد في الإسلام. الشريعة الإسلامية تحكم كل جوانب الحياة، وبغضّ النظر عن الأمر الذي تريد القيام به، فإنّ في شرع الله ما يحكُمُه، فإما أن يسمح لك بفعل ذلك، أو يوجبه عليك، أو ينهاك عنه. فالتشريع قد تمّ، وقد أعطانا الله منهج حياتنا؛ ومُهمة الحكومات ليست سنّ التشريعات، وإنما هي حُكمُ الشعب وسياستهم بقانون الله وشرعه. وإذا أعطاك الله صلاحية لتفصيل بعض الأشياء (كالتعزيرات التي يرى الإمام فيها رأيه، لأنّ الأمة أجمعت على مشروعية التعزير في كل معصية لا حدَّ فيها ولا كفارة، على حسب ما يراه الإمام)، فإن ذلك اجتهاد في شرع الله واتباع له، وليس تشريعا!

على سبيل المثال، لنفرض أنك تريد أن تفرض غرامات على السيارات التي تجاوز السرعة المحددة في إحدى الطُرق المشغولة. فقبل كلّ شيء، يجب عليك أن تعود إلى الشريعة وتفهم حكم الله في هذا الشأن. ففي هذا المثال، نجد أنّ تجاوُزَ الحدّ الأقصى للسّرعة سيجلب أضررا على حياة المسلمين وممتلكاتهم، وقد قال الرسول صلى الله وسلم الله عليه وسلم: (لا ضَرَرَ ولا ضِرَار)، والمعنى الذي يدل عليه الحديث هو: أن الشخص ليس مطلوبا منه أن يضار نفسه، وليس مسموحا له بأن يضار غيره. فبما أن السيارة السريعة تضرّ بالمسلمين، كان مَنْعُ الناسِ مِنْ هذه السرعة مِنَ الشريعة، والغرامات في حالتنا هذه هي من التعزير التي يرى الإمام رأيه فيها. وهكذا يكون الأمر؛ فكل أمرٍ يجلب للمسلمين مصلحةً (ولا مصلحة في منكر) أو يدرأ عنهم مفسدة (ولا مفسدة في معروف)، كان جائزا لقيادة المسلمين أن يأمروا الناس بها، كتغريم من مرَّ وإشارة الطريق مغلقة، أو من أوقف سيارته في وسط الطريق. فالقاعدة هنا هي: اتّبِعْ شرعَ الله واحْكُمِ الناسَ به، وما من أمرٍ تريده إلا وتجد في شرع الله ما يحكمه، تحليلا أو تحريما، إيجابا أو نهيا؛ وإذا أعطاك الله صلاحية لتفصيل بعض الأشياء (كالتعزيرات التي يرى الإمام فيها رأيه، فقد أجمعت الأمة على مشروعية التعزير في كل معصية لا حدَّ فيها ولا كفارة على حسب ما يراه الإمام)، فإن ذلك اجتهاد في شرع الله واتباع له. والله أعلم.

وتفسيرُ هذه الآية يَتّضِحُ في حديث عديّ ابن حاتم رضي الله عنه، قال: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ»، فَطَرَحْتُهُ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءَةَ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ:﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، ويُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»).[١١٥]

---

١١٥ سنن الترمذي، ص ٥\٢٧٨، ح رقم ٣٠٩٥.
المعجم الكبير للطبراني (واللفظ له)، ص ١٧\٩٢، ح رقم ٢١٨.
السنن الكبرى للبيهقي، ص ١٠\١٩٨، ح رقم ٢٠٣٥٠.

والآياتُ والأحاديث في هذا المجال كثيرةٌ جدّا، منها ما هو على الحاكم بغير ما أنزل الله، ومنها ما هو على المُحْتَكِم إلى غير ما أنزل الله، ومنها ما هو على المشرِّعين:

- ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

- ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾

- ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

- ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

- ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾

- ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾

فنعلم من هذا، أنّ الدّيموقراطية دينٌ لا يجتمع مع الإسلام أبدا، إذ أنّ أصل الإسلام هو "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ"، وأصلُ الدّيموقراطية هو "إن الحكم إلا للشّعب"، فكيف يجتمعان؟! لن يجتمعا، ولا يمكن أن يجتمعا! الإسلام دينٌ يأخذ قِيمَه وأحكامه من خالق السماوات والأرض؛ والديموقراطية ملّة كفرٍ تأخذ قيمها وأحكامها من الشعوب؛ فانتبه!

ولا يستطيع أحدٌ أن ينزع هذه الصّفة عنها، وإلا فلن تكون ديموقراطية؛ فالذين يدْعُون إلى ديموقراطيةٍ إسلامية، هم كمن يدعون إلى نصرانيةٍ إسلامية، أو إلى إسلامٍ مجوسي، ولا يصحّ هذا أبدا، إذا أنّك إن أخذت من النّصرانية ما لا

يُناقض الإسلام فقط، فإنها تصير بذلك إسلاما، ولن تبقى نصرانية، والعكس صحيح؛ ومثلُ هذا ينطبق على الدّيموقراطية، فإن حذفت منها ما يُناقِض الشّريعة،[١١٦] فإنها لن تكون ديموقراطيّةً بعد ذلك.

وانتبه يا أخ الإسلام إلى ما يُدَندِن به بعضُ المنافقين، في أنّ الديموقراطية ليست إلا كشورى الإسلام، وهذا باطل. الشورى تكون فيما لا نصّ فيه، أما الدّيموقراطية، فإنّها تعطي الشّعب حقّ التّصويت في كلّ شيء، سواءٌ أَورد نصٌ فيه أم لم يَرِدْ؛ فمناط الأمر عند الديموقراطية ليس الدّين، وإنّما أغلبية الشعب؛ فإذا صوّتوا على تطبيق الشّريعة كاملة، كان لهم ذلك، وإذا صوّتوا على إبطال الشريعة كاملة، كان لهم ذلك؛ فانتبه لدينك، ولا تَرتَدَّ عنه وأنت لا تدري!

النسخة "المعتدلة" من الإسلام

لقد قسّم الكفار المسلمين إلى مجموعات مختلفة على حسب تمسّكهم بالإسلام، ومن أهم هذه المجموعات مجموعتان: "المسلمون المتطرّفون" أو "الراديكاليون"، و"المسلمون الحداثيون" أو "المعتدلون". بعد هذا التقسيم، صاغوا نسخا من الإسلام من كلّ مجموعة، فقدّموا "الإسلام الراديكالي"، و"الإسلام الحداثي"، وهكذا. ثم وضعوا خطّة متكاملة لتدمير ما سموه ب"المسلمين الراديكاليين"، وإزالة نسختهم من الإسلام التي سموها ب"الإسلام الراديكالي".

شركة راند للبحوث الإستراتيجية[١١٧] تعطي تعريفا ل"الحداثيين" و"الراديكاليين"، ثم تضع خطّة لتدمير ما سمتْه ب"الإسلام الراديكالي". سننقل بعضا مما قالته في هذا الصدد أدناه:

(المسلمون المعتدلون هم الذين يشاركون في الأقطار الأساسية للديموقراطية؛ ويتضمّن هذا: دعم الديموقراطية وحقوق الإنسان المعترف عليها عالَمِيّا (بما فيها تَساوِي الأجناس وحريّة العبادة)، واحترام التعدُّدِيّة، وقبول التشريع من مصادِرَ غير طائفيّة، ومواجهة الإرهاب والأنواع الأخرى للعنف الغير–مقبول).[١١٨]

---

١١٦ وقلتَ بأن الشّعب يجتهدون فيما لا نصّ فيه فقط، وأنّ الحرّيّات الشخصيّة تقيّد بضوابط الشّرع (فلا يكون لمسلمٍ مثلا أن يخرج من الإسلام (تقييدٌ لحريّة الأديان)، أو أن يرتكب ناقضا من نواقض الإسلام، ولا يكون له أن يزني أو أن يشرب خمرا، ولا يكون لكافرٍ أن يتكلّم عن دين الإسلام أو عن النبي بسوء (تقييدٌ لحرية التعبير)، وغير ذلك مما يقيّد من الحريّات الشخصيّة)، فإنها لن تبقى ديموقراطية بعد ذلك؛ فما الدّيموقراطيةُ غير حُكمِ الشّعب وضمان الحرّيات للناس (يفعلون ما يشاءون وكيفما يشاءون، يتزوّج الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، ولا كلام)؟

١١٧ شركة راند للبحوث: هي مؤسسة للبحوث الإستراتيجية، شُكِّلَت لتقديم البحوث والتحليلات الاستراتيجية للقوات المسلحة للولايات المتحدة، وتتلقّى التمويل لمشاريعها من وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون).

(التمسّك بالديموقراطية—بالطريقة التي فُهِمتْ عند تقاليد الغرب الليبرالي—، والموافقة على أنّ الشرعية السياسية تُستَمَدّ من إرادة الشعب—التي يعبّرون عنها بانتخابات حرّة ديموقراطية—، تُعَدّ أمرا مفصليا عند تعريف المسلمين المعتدلين).[١١٩]

(مساندة الديموقراطية تتضمن بالمعنى مواجهةَ فِكرِ "الدولة الإسلامية").[١٢٠]

(الخط الفاصل بين المسلمين المعتدلين والإسلاميين الراديكاليين في البلاد التي تمتلك أنظمةَ حكمٍ بُنِيت على نظام الحكم في الغرب (أغلب الدول في العالم الإسلامي) هو مَا إن كانت الشريعة تُطبّق أم لا. التفاسير المحافظة للشريعة هي غيرُ متناسبَةٍ مع الديموقراطية وحقوقِ الإنسان المعترَفِ عليها عالميّا).[١٢١]

(الحداثة، وليس التقليدية، هو ما عمل للغرب؛ ويشمل هذا ضرورة الابتعاد عن، والتعديل ل، وكذلك التجاهل الانتقائي، لبعض العناصر من العقيدة الدّينية الأصلية. التوراة لا يختلف كثيرا عن القرآن في المحافظة على السلوك، ويحتوي على عددٍ من القواعد والقِيم التي يصعب علينا تخيلها، ناهيك عن غير–قانونيتها في مجتمع اليوم؛ لكنّ هذا لا يمثّل مشكلةً اليوم، لأنّ القليل من الناس يُصرّون على أن نعيش جميعا بالطريقة الحرفيّة الدقيقة، كبطارقة الكتاب المقدس؛ بدلا من ذلك، نحن نسمح لرؤيتنا في الرّسالة الحقيقية وراء اليهودية أو المسيحية، بأن تهيمن على النصّ الحرفي، الذي لا نعتبره إلا تاريخا وأسطورة؛ هذا هو بالضبط، النهج الذي يقترحه الحداثيون من المسلمين).[١٢٢]

---

١١٨ (انجليزي): بناء شبكات للإسلام المعتدل، ص ٦٦.
Building Moderate Muslim Networks

١١٩ بناء شبكات للإسلام المعتدل، ص ٦٦.
Building Moderate Muslim Networks

١٢٠ (انجليزي): بناء شبكات للإسلام المعتدل، ص ٦٦.
Building Moderate Muslim Networks

١٢١ (انجليزي): بناء شبكات للإسلام المعتدل، ص ٦٦.
Building Moderate Muslim Networks

١٢٢ (انجليزي): الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والموارد والاستراتيجيات، صفحة ٣٧.
Civil Democratic Islam: Partners, Resources, and Strategies

لقد كتبَتْ راند جدولا[١٢٣] يُوضِّح المبادئ التي يتوقعونها من الحداثيين المذكورين؛ ولاحظ كيف تُنسِبُ الحداثيين—مع مبادئهم تلك—إلى الإسلام زورا وبهتانا وافتراءً على هذا الدّين[١٢٤]:

	الأصوليون التقليديون (Radical Fundamentalists)	**الحداثيون (Modernist)**
الدّيموقراطيّة	عقيدة خاطئة. السيادة والتشريع حقٌ خالص لله وحده.	الإسلام يحتوي على مبادئ ديموقراطيّة، ونحتاج إلى إخراجها إلى الأمام.
العقوبات الجنائية في الإسلام، بما في ذلك الجلد، وقطع اليد، والرجم بتهمة الزنا.	طريقة ممتازة لتوفير عدالة سريعة ورادعة.	لا ينبغي أن تُستَخدم. هذه العقوبات هي إمّا قديمة تتماشى مع الممارسات الشائعة في عصرهم (ولكن لم تعد مناسبة في هذا العصر)، أو أنها فُسِّرت بطريقة خاطئة منذ البداية.
تعدّد الزّوجات	مسموح به، ولا يوجد أي عيب أو خطأ في ذلك. متفوق على الفجور الغربي، وطلاقهم المتسلسل.	غير مسموح به. ممارسة قديمة، كتلك التي وجدت في الأديان الأخرى، التي كانت تُعتبَر غير مثالية حتى في ذلك الوقت؛ وهناك أدلةٌ على أنّ محمدا كان يحاول إلغائها.

١٢٣ كان هذا الجدول طويلا يُقارِن بين سبع مجموعات، فاقتصرت على ما يخصّ الموضوع لضيق الصّفحة؛ وأيضا لم يكن ترتيب الصّفوف هكذا، فقد قدّمتُ بعضَ الصّفوف التي كانت في مأخرة الجدول الأصلي، وأخَّرتُ بعض الصفوف بنفس الطريقة. وللمطالعة على كامل الجدول، يرجى تحميل التقرير من موقع راند وقراءته.

١٢٤ (انجليزي): الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والموارد والاستراتيجيات، صفحات ٨-١٣.

الدولة الإسلاميّة	الدولة الإسلامية يجب أن تكون عالمية ومتضمّنة لبلدان مختلفة. يجب أن تُرشِد كلّ الممارسات، محافِظة على أشياء مثل حضور الصلاة، طول اللحية، واللباس. كلّ أمرٍ لا يُوجَد له نصٌّ شرعي، يتطلّب نصيحةَ سُلطةٍ دينيّة.	الإسلام لم يأتِ ليكون دولة، بل ليكون ناموسا وفلسفةً مُرشدة للحياة. الفردُ يحمل المسؤلية النهائية لتصرّفاته وأفعاله، في سياق مجتمعٍ متغيرٍ باستمرار، متكوّنٍ من أفرادٍ عقلاء يُفكّرون ويسألون.
الجهاد	هناك مستوياتٌ مختلفةٌ للجهاد، إلا أنّ الكفاح المسلّح من أجل إقامة نظامٍ إسلاميٍّ شاملٍ، في جميع أنحاء العالم، هو واجبٌ على كلّ شخص يَقدِر فيزيولوجيا في المشاركة. ويمكن أن يأخُذ شكل الحروب الكلاسيكية، أو أن يأخذ شكل الإرهاب والتمرد.	الجهاد هو مصطَلَحٌ رمزي، ويُشير إلى التّطوّر الروحي الشّخصي.
الحجاب	يجب على النّساء ارتداءُ الملابس الإسلاميّة، عادة لتغطية جميع البدن، إلا الوجه واليدين، ولكن في بعض الأماكن، يجب إخفاء الوجه واليدين أيضا. في البلاد غير الإسلامية، غطاء الرّأس هو الحدّ الأدنى المقبول. على المجتمع أن يتأكّد من أنّ النساء يلتزمن بهذا القانون، وذلك من خلال الإقناع، والضغط، والتعليم، والإكراه.	الإسلام لا يطلُب من النساء ارتداءَ أي نوعٍ من النقاب أو الغطاء الرأسي. لا يوجد أي إثبات نصّي لهذه القواعد. الأمر متروكٌ للشخص، يقرّر ما يرتدي. لا ينبغي أن تحاسَب النساءُ على الأفكار الفاجرة التي يُمكِن أن تخطر للرجال، لأنّ القرآن يأمر الرجال بوضوح "أن يغضّوا أبصارهم"، أي عدم التحديق بالنّساء، والعكس.

"فمسلمو راند" في الحقيقة، ما هم إلا أناس يتسمّون بالإسلام، ولكنّهم مُرتدّون عن الدّين (هذا إذا كانوا مسلمين في بادئ الأمر)؛ راند تعرف ذلك، وأولوا الألباب من المسلمين يعرفون ذلك أيضا. هؤلاء "الحداثيون" هم قوم لا يريدون الإسلام حقيقةً (ولكنّهم لا يستطيعون القول بهذا، لخوفٍ من الضغوط أو لأسبابٍ أخرى)، فهم يصنعون هذا النوع من الإسلام الخيالي المضحِك، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتّخذوا بين ذلك سبيلا. الإسلام هو ذاك الذي أنزله الله قبل ألفٍ وأربعمأة سنة، وإن كنتَ مُعارِضًا لبعض ذلك، فاعلم أنّك مُعارض للإسلام، ولا يوجد أيّ فرقٍ بينك وبين اليهود والنصارى وعبدة الأوثان؛ فلا تخدعوا أنفسكم!

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾؛ ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾؛ ويقول سبحانه: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾.

وهذا النوع من الإسلام المزعوم، هو ما تريده منا أمريكا، وما يريده منا الكفّار جميعا على المدى القريب؛ وعلى غرار هذا، نرى الأمريكان اليوم يدفعون بجنودهم وأموالهم وأوقاتهم، ليُرسّخوا هذا الفكر الكفري بالقوة في قلوب المسلمين، ويُعلّموه أولادهم وأجيال مستقبلهم؛ فمن قَبِل منهم هذا الدّين، قبلوا منه؛ ومن مانعهم، قصفوه بقنابل الفسفور، حتى يحترق حيّا، وينسلخ من جلده.

استراتيجية الكفار في حربهم على ما سمّوه بالإسلام الراديكالي (الإسلام الكامل)

يتبنّى الكفّار في حربهم على ما سمّوه ب"الإسلام الراديكالي" "و"المسلمين الراديكاليين" خُطةً عامة أهمها ثلاث نقاط:

١- منْعُ قيام أيّ دولةٍ إسلامية تقول بحكم الشريعة (ولو كانت هذه الدولة لا تطبّقُ الشريعة كاملة)، وتَحطِيمُ الدُّوَل الإسلامية الموجودة.

٢- الترويجُ للعَلمانيين والحداثيين، ووضعِهم على كراسيّ الحكم في بلاد المسلمين.

٣- تحطيم "الإسلام الراديكالي" كأيديولوجية.

لتحقيق الأمر الأول، خلقوا منظمة "الأمم المتحدة" ومجلس الأمن (الذي تتحكّم فيه قِوَى الكفر)، فصنعوا حدودا جغرافيةً وهمية، وأمروا الناس بالخضوع لها، وأعلنوا أنّ من تجاوزها، سيواجه غضب "العالم" وعقابه الأليم. وما يسمعون عن إعلان دولةٍ إسلامية في أيّ مكانٍ في الدنيا، إلا وهيأ الأمريكان تحالفًا صليبيا يغزوا المجاهدين، ويضعون لحربهم كلّ الذرائع والأعذار.

أما الأمر الثاني، فقد روّج الكفّار لنسخةٍ اصطنعوها من الإسلام (الإسلام الديموقراطي أو الحداثي)، ويحملون الناس على هذا الزيف، ويأتون بأنذال من العلمانيين أو الحداثيين على ظهور دباباتهم وطائراتهم، فيضعونهم على كراسيّ الحكم، يأمرونهم فيطيعون، كالدُّمَى.

أما الأمر الثالث، فقد وضعوا لتحقيقه خُططًا كثيرة ومتشابكة، فاستأجروا من علماء السّوء من يضلّل، وجعلوا للعلمانيين والحداثيين منابر في الإعلام، يَبُثُّون من طريقِها سمومَهم. لنستعرض ما قالته راند وهي تتكلم عن الاستراتيجية التي يجدر بالولايات المتحدة أن تستعملها لتفوز في معركة الأفكار والقلوب:

(وهكذا، فلإنجاز الاستراتيجية العامة، سيكون من الضروري دَعمُ الحداثيين وتيار العلمانيين أولا:

- بنشرِ وتوزيع أعمالهم
- بتشجيعهم على الكتابة للجمهور والشباب
- بتقديم وجهات نظرهم في مناهج التربية الإسلامية

- بمنحهم منبرا عاما
- بجعْلِ آرائهم في المسائل الأساسية للتفسير الديني متاحةً للجمهور، في منافسةٍ مع تلك [المقدَّمة من قِبَلِ] الأصوليين والتقليديين، الذين يمتلكون مواقعَ على شبكة الإنترنت، ودُورا للنشر، ومدارس، ومعاهد، والعديد من المركبات الأخرى لنشر وجهات نظرهم
- بتقديمُ الحداثة على أنها خيار "ثقافةٍ مضادة" للشباب الإسلامي الساخطين
- بتسهيل وتشجيع الوعي بتاريخ وثقافة ما قبل الإسلام، والتي هي غير إسلامية، في وسائل الإعلام، وفي مناهج الدُّول المعنيّة
- بتشجيع ودعم المؤسسات والبرامج المدنية والثقافية العلمانية).[١٢٥]

لقد تبنى ساسة الكفار هذه الإستراتيجية العامّة، وأصبح لمعظمهم (إن لم يكن لجميعهم) مثلُ هذه الرؤية في الإسلام المقبول والإسلام المرفوض، فعملوا بتحييد العامة من المسلمين بهذا القول؛ يقولون للسذّج من المنتسبين إلى الإسلام بأنّ الغرب ليس عدوّا للإسلام، وإنما هو عدوٌّ ل"الإسلام الراديكالي" (الإسلام الكامل). فيما يلي، سنعرض بعضا مما قاله ساسةُ أمريكا (التي هي قائدةُ الصليبيين في عصرنا)، ثم سأختتم بعد ذلك بإذن الله.

يقول السناتور المسنّ ليندسي غراهام،: (نحن في حربٍ دينيّة. هؤلاء ليسوا إرهابيين... إنما هم "إسلاميون راديكاليون" يحاولون استبدال طريقتنا في الحياة بطريقتهم في الحياة؛ وطريقتُهم في الحياة تَستَمِدّ من التعاليم الدينية التي تتطلب قَتلِي وقَتْلَك، أو استعبادي واستعبادك، أو تحويلنا إلى الإسلام).[١٢٦]

يقول الفريق (Lietenant General) وليام بويكين: (هذه شبكةُ جهادٍ عالميَّةٍ بدافعٍ من تعاليم الإسلام. هم مَدفُوعُون من قِبَلِ تفسيرٍ رسميّ صارمٍ جدّا للقرآن والحديث. هم لا يحتاجون إلى ذريعةٍ لملاحقتنا؛ هم مدفوعون من قِبَلِ

---

١٢٥ (انجليزي): الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والموارد والاستراتيجيات، صحفة ٦٣.

١٢٦ (انجليزي): موقع اليوتيوب بعنوان:
Graham: 'We're in a religious war; Obama's 'campaign promises are getting a lot of people killed'
(انجليزي): موقع هافينغتون بوست بعنوان: Lindsey Graham: France Attack Shows We're In A Religious War

عقيدتهم. الآن، الحمد لله بأنّ نسبةً كبيرة من المسلمين في العالم هم ما أحبّ أن أقول "مُصلَحُون"، على الأقل هم يَرفُضُون الشّريعة، ولا يُريدون أيّةَ علاقة مع الجهاد، لكن ذلك ليس القصد).[١٢٧]

جو هيك، أحد أعضاء مجلس النواب الأمريكي يقول: (نحن لسنا في حربٍ مع كلِّ الإسلام. نحن في حرب مع الإسلام الراديكالي والتطرف الإسلامي).[١٢٨]

يقول الفريق (Lietenant General) مايكل فلين: (نحن نحاول بصعوبةٍ تحديدَها بوضوح، بأقصى ما نستطيع، وهي نسخةٌ متطرفةٌ للإسلام، لا شك في ذلك).[١٢٩]

يقول عضو مجلس الشيوخ الأمريكي السابق ريك سانتوروم: (سواءٌ أكان في "الدولة الإسلامية"، أو "الجهاد الإسلامي" أو "الوهابيين"، الذين هم جميعا متطرفون في فكرهم، ولكن الفرق فقط هو إلى أيّ حدّ يصِلُ عُنفُهُم، لكن فكرهم واحدة، وهي نظرة أصولية جدا للإسلام، والتي يعود تاريخها إلى زمن تأسيس الإسلام. هؤلاء الناس ينقلون عن القرآن؛ ينقلون عن النصوص المقدسة. فالإشارة إلى أن هذا ليس جزءا من الإسلام، أن الإسلام ليس عاملا مساهما هنا، في الحقيقة ليست صادقة). (من الخطأ عدم تحديد العدو)، قالها مستمرّا. ثم قال: (هم يكرهوننا لأنهم يعتقدون أنّه من واجبهم تحويلنا إلى الإيمان الحقيقي الواحد).[١٣٠]

ميشيل باكمان، عضوةٌ جمهورية، وعضوةٌ سابقةٌ في مجلس النّواب الأمريكي تقول: (هذه حربٌ روحيّة، وما نحتاج إلى عمله، هو أن نهزم الجهاد الإسلامي. للأسف، رئيسُنا لديه وصْفَةٌ خاطئة؛ لقد فشل حتى في إدراك دافعهم للإتيان

---

١٢٧ (انجليزي): موقع اليوتيوب بعنوان: Gen. Jerry Boykin at Defeat Jihad Summit
(انجليزي): موقع "سنتر فور سيكيوريتي بولاسي" (Center for Security Policy) بعنوان: 'Defeat Jihad Summit' Challenges Islamic Supremacism

١٢٨ (انجليزي): موقع سي اسبان (C-SPAN) بعنوان: Islamic Extremism Threat

١٢٩ (انجليزي): موقع سي اسبان (C-SPAN) بعنوان: Islamic Extremism Threat

١٣٠ (انجليزي): موقع اليوتيوب: World Over - 2015-02-19 – Rick Santorum on ISIS, Obama, 2016 presidential race

بالجهاد. نعم سيدي الرئيس، إنّه الإسلام! وأنا أومن أنّه لمواجهة شرٍّ بهذا القدر، يجب أن تتعامل معه بجدّيّة؛ يجب أن تُعلِن الحرب عليه، وألا ترقص حوله، تماما كما أعلنت الدولة الإسلامية الحربَ على الولايات المتحدة).[١٣١]

لمحةٌ بسيطة إلى ما كان الكفّار الأوائل يهدفون من حربهم على الإسلام

في بدايةِ هذا المبحث، قلتُ لك بأنّ قراءة التاريخ هي مفتاحٌ لفَهْمِ حقيقةِ المعركة، وكان لقولي ذاك سبب. إذا نظرتَ وتدبّرتَ فيما كان يرمي إليه الكفار الأوائل، سترى بأنهم لم يكونوا يهتمّون كثيرا في معتقدات الناس إذا لم تتجاوز قلوبهم. فعندما أحدثت الدعوة إلى الإسلام تغييرا حقيقيا، عندها مانَعَهَا الكفار، وقاتلوها، وطلبوا من النبيّ تغييرها. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾. [يونس: ١٥]. فمحاولة التغيير هي بيت القصيد، وبما أنّ الكفار يعرفون بأنّ الإسلام سيأخذ منهم عروشهم، وسيجعل الأمر كلّه في يد الشريعة التي أنزلها الله، مانعوه وقاتلوه، وبذلوا في سبيل تدميره كلّ غال ونفيس.

لقد ورد في كتب السِيَر أن قريشا جاؤا إلى أبي طالب—عمّ النبي صلى الله عليه وسلم—فقالوا له: (يَا أَبَا طَالِبٍ، إنَّ لَكَ سِنًّا وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِينَا، وَإِنَّا قَدْ اسْتَنْهَيْنَاكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا، وَإِنَّا وَاَللَّهِ لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا، حَتَّى تَكُفَّهُ عَنَّا، أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ، حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ).[١٣٢]

وإذا بحثت في سيرته صلى الله عليه وسلم، سترى كثيرا من المواقف التي تشابه هذه. كان الكفار يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتفظ بعقيدته في قلبه، وأن يترك محاولة تغيير الناس. لقد كان في مكّة قبل بِعثَةِ النبي عليه الصلاة والسلام أناسا كثيرين يعتقدون ببعض ما جاء في الكتب السابقة، وكان منهم بعض الموحّدين من أتباع إبراهيم أو موسى أو عيسى (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، مثل ورقة ابن نوفل، ابن عم خديجة، رضي الله تعالى عنهما، ولم تكن قريشٌ تتعرّض لأولئك الناس بأيّ أذى، بل كانوا على علاقة طيبة معهم، ومن هذا علاقتهم بيهود

---

١٣١ (انجليزي): موقع اليوتيوب بعنوان: Rep. Michele Bachmann -Values Voter Summit 2014
(انجليزي): موقع هافينغتون بوست (huffingtonpost) بعنوان: Michele Bachmann May Be Islamic State Target

١٣٢ سيرة ابن هشام، ص ١\٢٦٥.

المدينة. فإذن، لماذا عادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لأنه كان يحاول أن يُغيِّر، وكانت محاولته تلك تُحْدِث في أوساط مكّة تغييرا حقيقيا يهدّد عروش طواغيت قريش، وكانوا يعلمون حقيقة لا إله الإ الله، وما تحمله من مآلات.

لو ترك النّبي صلى الله عليه وسلم الدعوةَ، وترك سب آلهتهم وتسفيههم بعبادة الأحجار، لما قاتلوه ومانعوه؛ ومحاولاتُهم العديدة لإقناع النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر مُسطّرةٌ في كتب السِير. لكن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يَسَعُه أن يجلسَ في بيته ويتركَ الناس يتهاوون في جهنم أفواجا؛ كيف ولم يرسِله الله إلا لإنقاذ الناس من ذاك المآل؟ لم يجلسْ، لأنّ الله أمره بالجهاد (في عهد المدينة)، وأمر أتباعه كذلك بالجهاد، فما جلس المؤمنون بعده، وذلك لنفس السبب؛ قاتَلُوا الفرسَ، وقاتلوا الرّومَ، وقاتلوا في مصر، وقاتلوا في إفريقيا، وقاتلوا في الهند، وقاتلوا في الأندلس، وقاتلوا في غير تلك الأماكن، لا لشيء، إلا لِيُنقِذوا العباد من نارٍ أعدّها الله للكافرين.

وإن كنتَ مطّلعا على سيرة الخلفاء الراشدين، علِمتَ بأنّ الصدّيق رضي الله عنه هو من بدأ الحرب على إمبراطورية الفرس، ولم يكن من جانبهم خطر مُحدِق؛ أشعلَ الصدّيقُ الحربَ في العراق، وقاتل الفرس، وهو من بدأهم بالحرب. أتدري لماذا؟ لأن هذا الدّين ليس لقوم دون غيرهم، بل هو دين الله الذي أنزله للعباد أجمعين، وأمرنا الله بإبلاغه الناس جميعا، وقِتَالِهم إذا أبو قبوله، وذلك لإزاحتهم عن طريق الدعوة، حتى يصل نور الله إلى الشّعوب من وراء الملأ.

فإذا علِمتَ هذا ووعيتَه جيّدا، رأيتَ ملة الكفر التي يتمسّك بها الديموقراطيون والعلمانيون والحداثيون، وفهمتَ حقيقة "مسلمي راند" الذين لم يكن لهم حظٌ من الإسلام إلا أسمائهم؛ وإنّه لمن المؤسف حقّا أن تكون راند أو ميشل باكمان، أكثر علما في الإسلام من كثيرٍ من المنتسبين إليه، والله المستعان.

الخلاصة

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾[البقرة: ٢١٧]: هذه الآية هي خلاصة المعركة؛ وإذا سألتَ عن الملّة التي يريدون منّا أن نتحوّل إليها، فهاكَ الجواب من القرآن: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾، [سورة يوسف: ٤٠]، كلٌ يريدك في ملّته؛ فاليهود يريدونك يهودا، والنصارى نصرانيا، والرّوس شيوعيا، والأمريكان والأوروبيون ديموقراطيا، وهم من يحمل قيادة الكفر في عصرنا. الشريعةُ هي الإسلام، والجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، وليس بعدَ الحقِّ إلا الكفر والظَّلام.

لماذا نقاتل نحن الكفّار

إنّ قتالنا مع الكفّار هو قتالٌ على عقيدة ومنهج حياة، وليس كما يعتقد البعض، قتالٌ على وطن، أو لاستزادة وطن؛ فكما يقاتلوننا على ديننا، فنحن أيضا نقاتلهم على دينهم؛ هم يقاتلوننا لنتخلّى من ديننا كمنهج حياة، فنستبدله بغيره من النِحَل، من ديموقراطية أو علمانية أو نصرانية أو شيوعية، أو غيرها؛ ونحن نقاتلهم لأننا نريدهم أن يكفّوا عن الكفر والتنديد، وأن يُخلصوا دينهم لله وحده؛ لا لأنهم أمريكان، أو بريطانيون؛ نريدهم جميعا أن يدخلوا في هذا الدّين، فإن أبو، قاتلناهم على ذلك حتّى يُسلِمُوا أو يُعطُوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون؛ هذا هو السّبَب الحقيقي الذي نقاتل من أجله الكفّار (أو قل: السبب الذي كان يجب أن نقاتل من أجله الكفّار).

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾، [الأنفال: ٣٩]؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)؛[١٣٣] وقال صلى الله عليه وسلّم: (بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)؛[١٣٤] فالقتال لا ينتهي إلا بعد أن يُسلِم الكفّار جميعا، أو يخضعوا لحكم الإسلام، ويعطوا الجزية[١٣٥] عن يدٍ وهم صاغرون، وهذا كما قال الله تعالى:﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا

---

١٣٣ صحيح البخاري، ١\١٤، ح رقم ٢٥.
صحيح مسلم، ١\٥١، ح رقم ٢٠.

١٣٤ مسند أحمد، ص ٩\١٢٦، ح رقم ٥١١٥.
مصنّف ابن أبي شيبة، ص ٤\٢١٢، ح رقم ١٩٤٠١.

١٣٥ على خلافٍ بين أهل العلم في قبول الجزية من غير أهل الكتاب، والراجحُ أنّها تقبل مِن كلّ كافرٍ ما عدا المرتدّ، وذلك لعموم حديث بريدة رضي الله عنه، فقال صلى الله عليه وسلم: (وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ–أَوْ خِلَالٍ–فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ؛ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ؛ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ). [صحيح مسلم، ص ٣\١٣٥٧، ح رقم ١٧٣١].

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾، [التوبة: ٢٩].

ويدخلُ في هذا، قتالُنا لحكوماتِ الردّة؛ فهدفُ الجهاد لم يتحقّق في حقّهم، لأنهم يعطون بعض الدين لغير الله. لما امتنع هؤلاء عن بعضِ شرائع الله، لم يكن بينهم وبين اليهود والنصارى فرق؛ فاليهود والنصارى يمتلكون كتبًا من الله، كما يمتلك هؤلاء؛ فكفر هؤلاء كما كفر اليهود بعد أن أهملو كتبهم، وحلّلوا لأنفسهم وحرّموا، وجعلوا بعض الدّين لله، وبعضه لغير الله (أو جعلوا كلّ الدين لغير الله)، فوجب الجهاد في حقّهم، كما وجب في حقّ اليهود والنصارى.

متى ينتهي الجهاد؟

حين يتحقّق مقصده: حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ. فإذا كان بعض الدّين لله، وبعضه لغير الله، وجب القتال، حتى يكون الدّين كلّه لله (كما قال ابن تيمية رحمه الله).

هناك خطأٌ يأتي في نفوس بعضِ المسلمين، وهو أنهم يعتقدون أننا نقاتل الكفّار، فقط لأنهم احتلّوا بلادنا، ونهبوا ثرواتنا، واعتقلوا فضلاءنا، وظلمونا كلّ مظلمة؛ ولكنهم إذا كَفُّوا عنّا، فإنّ الواجب على هذه الأمّة، هو التوقّف عن الجهاد والقتال، والبقاء تحت الحدود المتعارف عليها.

أقول: من قالَ ذلك، فإنه لم يعرف حقيقةَ الإسلام؛ صحيحٌ بعضُ ما سبق ذِكرُه؛ لقد آذانا الكفار، وظلمونا، واعتدوا على أراضينا، وقتلوا رجالنا، واغتصبوا نسائنا؛ وصحيحٌ أيضا، أنّ هدَفنا الأول الآن هو رفع ظُلْمِ الكفّار عنا، وإخراجهم من بلادنا وأراضينا... إلا أنّ هذه ليست الغاية من الجهاد. الإسلام له هدفٌ سامي، وهو إنقاذ البشريّة جميعا من عذابِ جهنّم؛ فحتّى إن نَصَرَنَا الله على الأعداء، وخرج آخرهم من الديار، فإنّ الجهاد في سبيل الله لا يبطل عند هذا؛ بل يكون من واجب هذه الأمّة، أن تُواصل القتال، لترفع راية التوحيد، وتُعليها على كلّ الرّايات في جميع أنحاء المعمورة. لا يتوقّفُ الجهاد حتى يُسلِمَ الكفّار جميعا، أو يعطوا الجزية، عائشين تحت دولة الإسلام.

هناك كلامٌ نفيس يُكتَب بماء الذهب للشيخ المجاهد (نحسبه كذلك والله حسيبه) أبي مصعب الزّرقاوي رحمه الله، قال: (نحن هنا لا نجاهد لأجل حَفنَةِ تراب، أو حدودٍ موهومةٍ رسمها سايكس وبيكو؛ كما وأنّنا لا نجاهد ليحلّ طاغوتٌ عربي مكان طاغوتٍ غربي؛ لكنّ جهادنا أسمى وأعلى؛ إننا نجاهد لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كلّه

لله:﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾. وكلّ من ناوئ هذا الهدف، أو وقف في طريق هذه الغاية، فهو عدوّ لنا، وهدف لأسيافنا، مهما كان اسمه، ومهما كان نسبه). أ.هـ.[١٣٦]

وإنّ للسيّد قطب رحمه الله كلامًا فريدا من نوعه في هذا الأمر، فيقولُ وهو يرُدّ على الذين يقولون بأنّ الجهاد إنما هو للدفع فقط، قال: (يقولون وهم مهزومون روحيّا وعقليّا تحت ضغط الواقع البائس لذراري المسلمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان: "إن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع"! ويحسبون أنهم يسدون لهذا الدّين جميلا بتخلّيه عن منهجه، وهو إزالة الطواغيت جميعا من الأرض جميعا، وتَعبِيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لربّ العباد؛ لا بقهرهم على اعتناق عقيدته، ولكن بالتَّخلِيَةِ بينهم وبين هذه العقيدة، بعد تحطيم الأنظمة السياسيّة الحاكمة، أو قهرها حتى تدفع الجزية، وتعلن استسلامها، والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة، تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها). أ.هـ.[١٣٧]

الحكومات والمجموعات السّياسيّة هم من ينتفعون بالوضع الرّاهن، وهم من وصفهم الله ب "الملأ" في أماكنَ كثيرةٍ من القران؛ فهؤلاء لا يريدون أن يَرَو أيّ تغيير، ومن اللّازم أن يقِفُوا في طريق النّاس إلى ربّهم، إما بالقوّة، أو بالشّهوة، أو بالشّبهة؛ وإذا شَعَروا تغييرًا حقيقيّا، فإنهم ولا بدّ، سيلجئون إلى القوّة وإلى اضطهاد المسلمين؛ لذلك، فإنّ على هذه الأمّة أن تُزيح هذه العقبة عن الطّريق، وتُعطِي العامّةَ من المسلمين والكفّار، الفرصةَ لرؤيةِ الإسلامِ على حقيقته (وليس على الوجه الذي أعدّته لنا راند، قبّحها الله).

فمهمّة الجهاد واضحة:﴿ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾؛ فالذي أراد الحق دخل فيه، ومن أراد أن يقتحم النّار، حاولنا إنقاذه منها قدر المستطاع (ولو بالسيف)؛ وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّه قال: (عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رِجَالٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلَاسِلِ)؛[١٣٨] ومعنى هذا الحديث هو أنّ هؤلاء الكفار قوتلوا

---

١٣٦ الموقف الشرعي من حكومة كرزاي – أبو مصعب الزرقاوي.

١٣٧ في ظلال القرآن للسيد قطب، تفسير سورة التوبة، ص ٣\١٥٧٩.

١٣٨ صحيح البخاري، ص ٤\٦٠، ح رقم ٣٠١٠.
مسند أحمد، ص ١٥\١٥٦، ح رقم ٩٢٧٢.

وأُسِروا في الجهاد، ثم لما خالطوا المسلمين وعاينوا الحقيقة، أسلموا، فدخلوا الجنة؛ وبمثل هذا فسّر أبو هريرة رضي الله عنه قوله تعالى "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" فقال: (خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاَسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ)؛[١٣٩] فَمَنْ لهؤلاء الملايين من الكفّار الذين يتهاوون في جهنم ليلا ونهارا؟ وإذا تركناهم، وتقوقَعْنَا بين الحدود الوهمية (حدود سايكس-بيكوا)، أنكون قد أسدينا لهم معروفا حقا؟

أُعطِيكم مثلا؛ أنا رجلٌ ترعرعت في الصّومال، وتَبعُد هذه البلاد عن مدينة النّبي عليه الصّلاة والسّلام بُعدًا عظيما. فلو أنّ الصّحابة قالوا: نحن لا نعتدي على غيرنا، ولا نتجاوز هذه الحدود، لكنتُ أنا وأهلي الآن كفّارا؛ فما ينفعني لو أُعطِيتُ الدنيا بحذافيرها، ثم أُدخِلتُ جهنم، خالدًا مخلدا فيها؟ لو كان الصّحابة تركونا، ولم يقاتلوا آباءنا وأجدادنا الأوائل، لكان آبائي سيَسلَمُون من القتل، ولكنّهم كانوا سيذهبون إلى الجحيم ويأخذوننا معهم. هكذا يجب أن نُفكّر يا إخوة؛ لَئَنْ يُقتَل ويُستَعبَدَ آبائي، أَحَبُّ إليّ ألف مرّة من أن أكون أنا منتهيا إلى جهنّم.

يقول الله عزّ وجلّ:﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۞ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾. [المعارج: ١١-١٤].

الكفار يريدون أن يلقوا بأنفسهم إلى جهنّم؛ فمن قال بأنّهم ليسوا كذلك، فهو كافرٌ بالله؛ ومن تركهم وهو يعرف مصيرهم ذاك، فهو جبانٌ أحمق. فمثل الكافر هو كالرّجل يريد أن ينتحر؛ فهل يمكن لعاقلٍ ألا يمنعه عن ذاك الفعل؟ هل يمكن أن يقول بأنّ هذا هو خياره، وأنّ من حقّه أن يقتل نفسه؟ أبدًا، فافهموا أيها الناس!

ثمّ إنّ البلاد التي تقولون عنها "بلاد الإسلام"، مِن أين أتَتْ؟ ألم تأتِ بعد أن قاتل الصحابةُ من كان يعيشُ فيها؟ فاعلم أخَ الإسلام أن الأرض لله؛ والذي يعيش فيها اليوم، لم يكن يعيش فيها قبل أعوام، وكذلك الذي سبَقَه، وبهذا المعنى لا يمكن أن تكونَ الأرض لأيّ أحد. ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

---

١٣٩ صحيح البخاري، ص ٦\٣٧، ح رقم ٤٥٥٧.
السنن الكبرى للنسائي، ص ١٠\٤٨، ح رقم ١١٠٠٥.

إضافة إلى ما سبق، فإنّ الإسلام لا يهدف إلى أخذ موارد الأمم الأخرى وثرواتها، بل إنّ غاية ما يطلب هو أن يعبد النّاسُ ربّهم الذي خلقهم، ويوحّدوه بالعبادة والطّاعة؛ فمن فعل هذا، فإنه يكون من المسلمين، ولا يستطيع أحدٌ أن يعتدي عليه؛ وهذا واضحٌ في كتاب الله وفي سنّة رسوله، وفي جميع الفتوحات الإسلاميّة على مرّ العصور.

الإسلام يا إخوة، لا يعترف بهذه الحدود المتعارف عليها في زمننا، فيجب أن تكون قضيّتنا واضحة وسليمة؛ يجب أن نغزو عن أساس العقيد والدّين، لا عن أساس المواطنة؛ يجب أن نقول كما قاله أبو مصعب: "الأمريكي المسلم أخونا الحبيب، والعربي الكافر عدوّنا البغيض، ولو تشاركنا وإيّاه في رحم واحدة".

لا تقل عن قضية فلسطين بأنها "فلسطينية" أو "عربية"، ولا تقل عن قضيّة العراق بأنها مسألة "عراقية"، فليس عقد الولاء على الوطن بأشرف من عقده على القبيلة، فكلاهما باطل ومن أعمال الجاهلية؛ القتال يجب أن يكون من أجل الله، ومن أجله فقط؛ وإذا رأيتُنا ونحن ندافع عن وطن فلان أو بلدة فلانة، فنحن إنّما نطيع الله في أمره بالجهاد وبالدفاع عن المستضعفين، ولا نقاتل من أجل الوطن فقط؛ أما إذا فعلنا ذلك، وبنينا الولاء على الوطن، فقلنا للمسلم الصّومالي: "لا علاقة لك بما يجري في العراق"، وقلنا للعراقي: "لا علاقة لك بما يجري في الصومال"، فاعلم عندئذٍ، أننا قد ضللنا عن الصراط المستقيم (نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه).

هذا دون غيره، هو ما يجب أن نفهم ونُفهِّم؛ لم يحصل للمسلمين اليوم ما حصل، إلا لأنهم ميّعوا قضيّتهم، وحوّلوها من المنهج الربّاني الصّحيح الذي أمر الله به؛ تركوا الجهاد والاستشهاد، وتشبّثوا بمناهج تُجَانِبُ الشّريعة؛ تركوا التآخي بين جميع المسلمين، والتزموا بالحدود الوهميّة، واللحمة القوميّة والوطنيّة، التي ما فُرِضت إلا من قِبَل العدوّ لضَرْبِ هذه الأمّة بعضها ببعض. **وفي هذا الأمر، كان يكمن الفشل لهذه الأمّة**. والله أعلم.

***

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: الْخُطُوَاتُ الْعَمَلِيَّةُ لِتَطْبِيقِ الْجِهَادِ فِيْ هَذَاْ الْعَصْرِ

الخطوة الأولى: أخذ أسباب النصر، على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعات

السبب الأول: تصفيةُ الراية، فلا نُقاتِل إلا من أجل رفع راية التوحيد

إنّ مِعيار النصر في المفهوم الإسلامي هو قوله تعالى:﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾؛ لذلك، يكون نقاءُ الهويّة في الصفّ المسلم من أوّل أسباب النصر؛ فإذا كان بعضُ الناس يهتفون ويسعون لرفع رايةٍ غير راية التوحيد، فيقاتلون من أجل الوطنية مثلا، أو من أجل المبادئ الملحدة (كالديموقراطية) أو من أجل أي شيء آخر غير هذا الدِّين، فإنّه من المستحيل حينها أن يتنزّل نصر الله عليهم، والقاتل والمقتول منهم في النار.

لقد أبى الله جلّ في علاه أن يعطي النصر للمؤمنين حتى يميّز بين صفوفهم، ويمرّوا بالامتحانات والابتلاءات، وعلى ذلك جرت سنّة الله في الكون ؛ يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾. [العنكبوت: ١-٣].

إذن السؤال هو، لماذا جعل الله هذا الابتلاء الطّريقَ الوحيد للنّصر والتمكين؟ الجواب هو: لتَصفُوا الرايةُ، ولا يبقى معسكرُ الإيمان مختلطا بمعسكرٍ آخر؛ إنّ الله لا ينصر إلا من نصر دينه، ولا يُمَكِّنُ إلا لمن قاتل في سبيل إعلاء كلمته والتمكين لدينه.

التنبيه على خطورة القتال من أجل الوطنية أو القبلية أو أمثالهما

كان قزمان رجلا شجاعا قويا، فلمّا كان يوم أُحُد، خرج يقاتل مع المسلمين، عن حمية لقومه، لا عن حبٍّ للإسلام؛ فقاتل المشركين يومئذ، وفعل بهم الأفاعيل؛ حتى إذا أُثخِن من الجراح، مَرَّ به قتادة ابن النعمان رضي الله عنه فقال: (أَبَا الْغَيْدَاقُ! قَالَ لَهُ قُزْمَانُ: يَا لَبّيْكَ! قَالَ: هَنِيئًا لَك الشّهَادَةَ! قَالَ قُزْمَانُ: إنّي وَاَللّهِ مَا قَاتَلْت يَا أَبَا عَمْرٍو عَلَى دِينٍ، مَا قَاتَلْت إلّا عَلَى الْحِفَاظِ أَنْ تَسِيرَ قُرَيْشٌ إلَيْنَا حَتّى تَطَأَ سَعَفَنَا؛ فذُكِر لِلنّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِرَاحَتُهُ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ النّارِ).[١٤٠]

---

١٤٠ مغازي الواقدي (واللفظ له)، غزوة أحد، ص ١\٢٢٣.
سيرة ابن هشام، باب مقتل قزمان منافقا، ص ٢\٨٨.
صحيح البخاري، ص ٤\٣٧، ح رقم ٢٨٩٨.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ)؛[١٤١] فكلُّ قتال في الإسلام موضوع، إلا الجهاد في سبيل الله، ويدخلُ فيه كلَّ القتالات التي أمر الشارع بها، من قتالٍ للكفار والمرتدّين، ودفعٍ للصائل—ولو كان من المسلمين، وقتالٍ لأهل الحرابة (من قطاع الطرق ونحوهم)، وغير ذلك من أنواع القتال التي أمرَ الله أو رسوله بها.

ولقد أصاب المسلمين في زمننا بلاءٌ عظيم، ألا وهو بلاء الوطنية؛ فإن كثيرا من المسلمين اليوم يبنون كل شيء على المواطنة؛ فيوالون ويعادون، ويسالمون ويحاربون، ويحبّون ويبغضون على أساس هذا الصنم، صنم الوطنية؛[١٤٢] من كان من الوطن، فهو الأخ الحبيب، ومن كان من غير الوطن، فهو الأجنبي البغيض؛ يتقاتلون من أجلها، ويضحّون كلّ شيء في سبيل حفظها من "الأجنبيين"؛ من هو ذاك الأجنبي يا تُرى؟ إن كنت من خارج البلاد، فأنت الأجنبي البغيض. يستمع الكافر "المواطن" بالحقوق، ويُعامَل المسلم كالكافر. لا يستطيع المسلم من إحدى الأوطان، أن ينصر أخاه المسلم في وطن آخر؛ فإذا كان بعضُ المسلمين الذين هم من خارج البلاد، يموتون من الجوع، ويُقتّلون ويُصلبون، لا تستطيع أن تنصرهم، فهم ليسوا من شأنك، بل من شأن "الأمم المتحدة". أصبحت هذه الحدود الوهميّة التي رسمها الكفّار لنا، أصبحت هي الميزان الذي نبني عليه كلّ شيء. والله إنّ سايكس وبيكوا قد لعِبا بعقولنا وقد استغفلانا.

---

١٤١ صحيح مسلم، ص ٣\١٤٧٦، ح رقم ١٨٤٨.
مسند أحمد، ص ١٣\٣٢٦، ح رقم ٧٩٤٤.

١٤٢ نحن عنما نتكلّم عن الوطنية ونذُمُّها، لا نعني بذلك حبّ الوطن الطبيعي المجبول على الإنسان؛ المذموم هو أن يبني المسلم ولائه وبرائه على الوطن، فيبرأ من المسلم الذي يقطن في غير الوطن، ويوالي الكافر الذي يقطن في نفس الوطن؛ المذموم هو أن نفرّق الناس على أساس المواطنة، فيكون المسلم والكافر من نفس الوطن، متساويين في الحقوق والواجبات، ويكون المسلم "الأجنبي"، لا يحظى بمثل حقّ "المواطن" الكافر؛ المذموم هو أن يجعلنا الوطن متفرّقين، فنتقاتل على رقعة من التراب، ولا ينصر بعضنا بعضا من أجل هذه الحدود الوهمية. الوطن عندما يصبح هكذا، ميزانا للولاء والبراء بدل الدين، هذا هو المذموم؛ واعلم، أننا عندما ندافع الأرض عن الكفار، لا نقاتل عنها ضنّا ببعض التراب، وإنما نقاتل امتثالا لأمر الله بالجهاد في سبيله ومدافعة الكفار. فليتبين لنا الفرق: حب الوطن الطبيعي كما يحب الإنسان أهله وبيته، هذا ليس بمذموم؛ والرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب مكّة، وكان الصّحابة كذلك يحبّون مكة، حتى قال بلال رضي الله عنه بعد أن هاجر المسلمون إلى المدينة، وكانوا يشعرون ألما شديدا لفقدانها وتركها:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة *** بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة *** وهل تبدون لي شامة وطفيل

لمحة في كيف كان نقاء الهويّة واضحا في حياة المسلمين الأوائل

لقد كان نقاء الهويّة واضحا جليّا في جميع مراحل هذا الدّين، وفي جميع حياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ وكذلك كان هذا واضحا في حياة الصّحابة، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، رضوان الله عليهم أجمعين؛ فنرى كيف أنّه من أول صُنْعِ النبي عليه الصلاة والسلام عند قدومه المدينة، مؤاخاةُ المهاجرين مع الأنصار، وهم أناسٌ جاؤوا من أقوام شتّى ومن بلدان شتّى، لا يجمع بينهم إلا الدّين؛ وكذلك، نرى كيف أنّ الله منع المسلمين من موالاة الكافرين، وكيف أنّه رتّب على ذلك الكفر والردّة والخروج من الإسلام، وما كلُّ هذا إلا تمحيصًا بين المؤمنين والكافرين...﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾...

ونرى ما قاله الرسول الكريم—بأبي هو وأمي—حين نشب الخلاف بين المهاجرين والأنصار، فنادى كلّ منهم على قومه "يا للمهاجرين" و "يا للأنصار"؛ قال: («مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»).[١٤٣] وغير هذه من المواقف والأدلة الواضحة كثيرة.

ونرى كيف حرَص صلى الله عليه وسلّم على ألا يخرج معه الكفار في الحروب، مع حاجته الشديدة إلى رجالهم وسلاحهم وأموالهم، فقد كان بعضهم شديد القوة في القتال:

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ، أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ؛ فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ، وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: (فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: «فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»،

١٤٣ صحيح البخاري، ص ٦\١٥٤، ح رقم ٤٩٠٥.
صحيح مسلم، ص ٤\١٩٩٨، ح رقم ٢٥٨٤.

قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: «تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَانْطَلِقْ»).[١٤٤] ومثل هذا حصل في غزوة أحد.

وعن أبي حميد السّاعدي رضي الله عنه: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا خَلَّفَ ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ، إِذَا كَتِيبَةٌ؛ قَالَ: «مَنْ هَؤُلَاءِ؟» قَالُوا: بَنُو قَيْنُقَاعَ وَهُوَ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: «وَأَسْلَمُوا؟» قَالُوا: لَا، بَلْ هُمْ عَلَى دِينِهِمْ قَالَ: «قُلْ لَهُمْ فَلْيَرْجِعُوا، فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ»).[١٤٥]

وعن خُبَيْبُ بْنُ يِسَافٍ رضي الله عنه قال: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، فَأَتَيْتُهُ أَنَا وَرَجُلٌ قَبْلَ أَنْ نُسْلِمَ؛ فَقُلْنَا: إِنَّا نَسْتَحْيِي أَنْ يَشْهَدَ قَوْمُنَا مَشْهَدًا لَا نَشْهَدُهُ مَعَهُمْ؛ فَقَالَ: «أَأَسْلَمْتُمَا؟» قُلْنَا: لَا؛ قَالَ: «فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ»؛ فَأَسْلَمْنَا، وَشَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).[١٤٦]

فهذه الأحاديث توضّح لنا مدى أهمية نقاء الهوية؛ فكأني برسول الله يقول لأولئك المشركين قبل أن يُسلِمُوا: يا رجال، نحن هنا لسنا أوسًا، أو خزرجًا، أو عربًا، أو عجما، ولسنا مواطني يثرب؛ إنمّا نحن المسلمون؛ فإن أسلمتم، دخلتم معنا ما نحن فيه، في صفٍّ واحد دون الناس، وإلا فلا حاجة لنا بكم.

---

١٤٤ صحيح مسلم، ٣\١٤٤٩، ح رقم ١٨١٧.
السنن الكبرى للبيهقي، ص ٩\٦٣، ح رقم ١٧٨٧٧.

١٤٥ المستدرك على الصحيحين، ص ٢\١٣٣، ح رقم ٢٥٦٤.
مشكل الآثار للطحاوي، ص ٦\٤١٦، ح رقم ٢٥٨٠.
السنن الكبرى للبيهقي، ص ٩\٦٤، ح رقم ١٧٨٧٨.

١٤٦ مسند أحمد، ص ٢٥\٤٢، ح رقم ١٥٧٦٣.
المستدرك على الصحيحين، ص ٢\١٣٢، ح رقم ٢٥٦٣.
مصنف ابن أبي شيبة، ص ٦\٤٨٧، ح رقم ٣٣١٥٩.
المعجم الكبير للطبراني، ص ٤\٢٢٣، ح رقم ٤١٩٤.

فشل العديد من التجارب الجهادية لسبب هذا الاختلاط في لأهداف

هناك العديد من تجارب الجهاد، في السّابق وفي واقعنا المعاصر، تَسبَّب فشلُها هذا الأمر المهم: اختلاطُ الأهداف، وانعدام الهوية الواضحة والرؤية الصريحة للمستقبل. من أواخر ما عايشتُ من هذا، تجربةُ المحاكم الإسلامية في الصّومال؛ لقد كانوا خليطا من الناس، بوجهاتِ نظرٍ متباينة جدّا للمستقبل؛ بعضٌ من قياداتهم كانوا يريدون الحكم بكتابِ الله خالصا (أمثال الشيخين آدم عيروا والمختار أبي الزبير—تقبّلهما الله)؛ لكنّ بعضا من قيادتهم العليا كانوا لا يبحثون عن الحكم بشرعِ الله الخالص (أمثال شريف أحمد)، وكانت وجهة نظهرهم هذه ظاهرةً لمن يُمعنُ النّظر، لكنّنا لم نتعلّم من دروس التاريخ، فوقعنا في الفخّ، وهُزِم اتحاد المحاكم هزيمةً مُنكَرة.

إنّ الإنحراف عن طريق التّوحيد الخالص وعن هديِ النبي صلى الله عليه وسلّم، ولو قليلا، يُأدّي في النهاية حتمًا إلى مزبلة الكفر والزندقة. هناك العديد من الحركات التغييريّة، تأسّست في البداية كحركاتٍ إسلامية تُكافح من أجل تحقيق سلطان الله في الأرض؛ ثمّ طرأ فيهم الإنحراف، وذلك من أجل تحالفهم مع العلمانيين وتخندقهم مع الوطنيين؛ ولم يمرّ كثير من الوقت على فعلهم ذاك، حتى رأيناهم يدعون إلى الديمقراطية وسيادة الشعب. هذا الانحراف الذي يطرأ على كثير من الحركات التي سارت في طريق الجهاد والخروج على أنظمة الكفر في بداية أمرها، لكنّها انحرفت، هو أعظم سببٍ لفشل كثيرٍ من تجارب الجهاد في السابق، وفي واقعنا المعاصر.

حركة "الإخوان المسلمين" البائسة، التي ما زالت تتوسّل بصناديق الإقتراع، تحت سيف الحكام هنا وهناك، هم خير مثالٍ لهذا النّمط الفاشل. لم يتسبّب فشلهم إلا هذا الأمر؛ تحالفوا مع العلمانيين والوطنيين، وضلّت عنهم الشخصيّة الإسلامية المجاهدة؛ وما إن صنعوا ذلك، حتى بدأتِ الأفكار الهدّامة تأخذ مسارها في عروق الحركة وتهُدّها هدّا، كما يصنع الدّود بالخشب. ربّما بَدَتْ زاوية الانحراف بسيطةً وصغيرةً في البداية، إلا أنّها كغيرها من الزاويات... تبدأ صغيرة... وما أن تُواصِل رَسْمَ الخطوطِ إلى الأمام، حتى تأخذ الزوايةُ تزدادُ شيئًا فشيئًا، إلى أن تصبح ١٨٠ درجة.... اليوم، نرى كثيرا منهم يرتكبُون المكفِّرات صُراحًا، بِدَعوَتِهم إلى الدّيموقراطية وإلى حُكمِ الشعب، وبانضمامهم تحت لواء "الأمم المتحدة"، وبغير ذلك؛ ثم ينتظرون نصرا من الله... تعالى الله عما يصنعه الضّالّون علوّا كبيرا!

فيجب على كلّ من يريد رفع راية التوحيد أن يتنبّه لهذا الأمر الخطير: لا تتحالف أبدا مع الكفار (سواء أكانوا علمانيين، أو كانوا شيوعيين، أو ديموقراطيين، أو غير ذلك)؛ إذا فعلتَ ذلك، فاعلم أنّك ستبدأ بتغيير مبادئك، فتبدأ بطرح الجهاد (عند انضمامك للأمم المتحدة)، ثم تُثنّي بالحدود الشرعية، ثم، ثمّ... فاحذر، ولا تكن غِرّا أو غبيّا. هذه المُفَاصلة التامّة هي الأساسُ في التّوحيد الخالص (لكم دينكم ولي دين)، فاحذر... احذر... احذر...

اعلم يا أخ الإسلام، أنّ كلَّ دعوةٍ غير دعوة "لا إله إلا الله"، هي دعوةٌ جاهليةٌ مُنتنة؛ والذين يُقاتلون ويتفانون من أجلها، يُقاتلون ويتفانون من أجل جاهليةٍ عمياء، والقاتل على ذلك منهم والمقتول في النار، ولن ينصرهم الله أبدا؛ وما من جيش مسلمٍ منصور، إلا وهو يقاتل من أجل التوحيد، ومن أجله فقط، ويجعل ذلك هدفه المعلَن. وبالطبع لا يعني هذا أنّ جميع مَنْ في الجيش يُقاتلون بِنيةٍ سليمة؛ لا؛ وإنما يعني أنّ الجيش لا يُعلِنُ هدفا غير إعلاء كلمة الله، ولكنْ ربما يحتوي في صفوفه من يسعى للغنيمة أو للرياء أو للكرسي أو لغير ذلك، لكنّه يبطن ذلك في قلبه ولا يُعلنه.

أمّا إذا أَعلَن ذلك، ولم يَلقى من المسلمين مَن يَردعُه، فإنّ الخطأ سيكون على رقاب الجميع، ولن يتنزّل نصرُ الله عندها. مِثال هذا هو ما حصل في غزوة حنين؛ فقد قال بعضٌ من حديثي العهد بالإسلام كلمةً خاطئة مُهلِكة (لن نُغلبَ اليوم مِن قِلّة)، ولم يجدوا من كبار الصحابة الذي علموا بالكلام ردعًا وإنكارا؛ فعمّ البلاء، وانهزم المسلمون في بداية الحرب، ثم تاب الله عليهم. يقول الحق جلّ في عُلاه:﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾. [التوبة: ٢٥ -٢٦].

السبب الثاني؛ تقوى الله

يقول الله تبارك وتعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾. [الأنفال: ٦٤].

إنّ المسلم لا يُنصَرُ على عدوّه بكثرة عدد ولا عُدّة، وإنّما يُنصر ب "لا إله إلا الله"، وبتقوى الله وطاعته؛ ولا ينهزم الكافر بقلّة العدد والعدّة، بل بالكفر والمعاصي؛ فإذا تساوينا مع الكفار في الكفر أو في المعصية، فإن النّصر والغلبة ستكون لهم بفارق العدد والعدّة (فهم يفوقون في هذا بلا شك)؛ إنّ الله هو الناصر، ومن ينصره الله فلا غالب له، ولكنّه لا يُنزّل نصره على عباده إذا كثرت معاصيهم، وانحرفوا عن المسار الصحيح.

إنّ في الآية السابقة، إجمالُ ما يُسبِّبُ نَصْرَ الله سبحانه وتعالى؛ فقد ذكرت الآية الكريمة، أنه يجب أن يتواجد في الجيش المنصور صفتان أساسيتان: الإيمان بالله، والإتباع التام لرسول الله صلى الله عليه وسلّم؛ فإذا انعدمت إحدى هاتان الصفتان، انعدم النصر معهما، ولا يَعدُوا المسلمُ على أن يَهلَك ويُهلِك.

وهذا الذي ذكرناه، هو ما فَهِمَه الصحابة والأجيال الأولى من هذه الأمّة؛ فقد ورد في السِّيَر أن الصّحابة في غزوة مؤتة، بلغهم أنّ هرقل قد خرج إليهم بمائتي ألف مقاتل؛ فلمّا علموا ذلك تشاوروا، ومكثوا في معان ليلتين ينظرون أمرهم؛ فقال بعضهم لنرسلْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فإما أن يمدّنا بالرجال، أو يأمرنا بأمره فنمضي له. فقام عبد الله ابن رواحة رضي الله تعالى عنه وقال: (يَا قَوْمِ، وَاَللَّهِ إنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ، لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ: الشَّهَادَةُ؛ وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدِ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ، مَا نُقَاتِلُهُمْ إلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ؛ فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، إمَّا ظُهُورٌ وَإِمَّا شَهَادَةٌ).[١٤٧] فالظهور والغلبة لا يأتيان بالعدد والعدة، وإنّما بهذا الدّين.

وقال عمر ابن الخطّاب لسعد ابن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهما، وهو يرسل الجيوش الإسلامية المتجهة لحرب فارس في موقعة القادسية الكبرى: (فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب؛ وآمرك ومن معك أن تكون أشد احترازاً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم

---

١٤٧ سيرة ابن هشام، ص ٢\٣٧٥، ذكر غزوة مؤتة. كذلك جاء الخبر في البداية والنهاية لابن كثير، ص ٤\٢٤٣، غزوة مؤتة.

قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم؛ فإن استوينا في المعصية، كان لهم الفضل علينا في القوة؛ وإلا ننصر عليهم بفضلنا، لن نغلبهم بقوتنا؛ واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله عز وجل يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: إن عدونا شر منا، فلن يسلط علينا).[١٤٨]

احتَرِسُوا مِن دِمَاءِ المسلمين: مِن أَعظَمِ التّقوى، الحِفاظُ على النّفس المؤمنة، وقتلها بغير حقّ من أعظم المعاصي

وليس ذنبٌ أعظمَ عند الله بعد الشّرك، من قتل المؤمن بغير حقّ؛ يقول الله تبارك وتعالى:﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾. [النساء: ٩٣] ...... فلا يمكن لجماعةٍ من المسلمين أن يستهينوا بهذا الوعيد الشديد، ويقتلوا المسلمين، ويسفكوا دمهم بغير حق، ثم يُنزّلَ اللهُ نصره عليهم؛ هيهات! فالجهاد في سبيل الله معركةٌ في سبيل الله، وليس كغيره من القتالات، ولا يتنزّل نصرُ الله إلا إذا اتّصف أصحاب هذه المعركة بالانقياد التامّ لأوامر ربهم جلّ جلاله.

وهناك في صفوف المجاهدين مَن لا يَبلُغُ حَذَرُه من الدّماء المعصومة إلى الحدّ المطلوب، وذلك إمّا لجهل فيه، أو لنفاقٍ يكتمه؛ فيجب أن تَنتَبِه القيادة إلى أمثال هؤلاء؛ فإن ظلمَ أحدٌ منّا مسلما، وسفكَ دمَه بغير حقّ، فلْنُصَحِّح ما أخطأ، ولْنُنفِّذْ حكم الله على الجاني (القصاص، أو الدّية، أو غير ذلك)؛ وأنا أرى أن يُنشِأَ المجاهدون محكمةً تبحث في قضيّة كلّ شخصٍ ننوي قتله، فنُقَلّل بذلك الأخطاء المحتَملة؛ وإذا كانت هناك أسباب أمنيّة لا نستطيع من أجلها أن نُطلِع المحكمة على بعض القضايا، فلْنُنْشِأْ محكمة سرّيّة لا تضمّ إلا القيادات العليام في مكتب الأمن، ثم لا يقومون بقتلٍ قبل أن يبحثوا في قضيّة المتّهَم؛ ويجب أن يكون أعضاء المحكمة من المأهّلين للقضاء.

فلينتبه المجاهدون الصادقون لهذا الأمر العظيم، فإنّ مصير الجهاد مرتبط به. ومَن أَخسَرُ مِن شخصٍ بذَلَ نفسه وماله ووقته في سبيل الله، ثم دخل النار بقتل شخص مسلم؟!!

يقول السيّد قطب رحمه الله: (فمعركة العقيدة ليست ككلّ معركة؛ إنها معركة في الميدان ومعركة في الضمير، ولا انتصار في معركة الميدان دون الانتصار في معركة الضمير؛ إنها معركة لله، فلا ينصر الله فيها إلا من خلصت نفوسهم له. وما

---

١٤٨ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لابي نعيم، ص ٥\٣٠٣.

داموا يرفعون راية الله وينتسبون إليها، فإن الله لا يمنحهم النّصر إلا إذا محصهم ومحضهم للراية التي رفعوها، كي لا يكون هناك غش ولا دخل ولا تمويه بالراية؛ ولقد يغلب المبطلون الذين يرفعون راية الباطل صريحة، في بعض المعارك، لحكمة يعلمها الله؛ أما الذين يرفعون راية العقيدة، ولا يخلصون لها إخلاص التجرد، فلا يمنحهم الله النصر أبداً، حتى يبتليهم فيتمحصوا ويتمحضوا). أ.هـ.[١٤٩]

السبب الثالث؛ عدم العجب بالعدد أو العدّة، والإيمان الجازم بأن النصر إنما يأتي من عند الله

قال الله تعالى للمؤمنين:﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾. [التوبة: ٢٥ -٢٦].

يقول ابن كثير رحمه الله: (يَذْكُرُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ فَضْلَهُ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانَهُ لَدَيْهِمْ فِي نَصْرِهِ إِيَّاهُمْ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِمْ مَعَ رَسُولِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى، وَبِتَأْيِيدِهِ وَتَقْدِيرِهِ، لَا بِعَددهم وَلَا بِعُددهم؛ وَنَبَّهَهُمْ عَلَى أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِهِ، سَوَاءٌ قَلَّ الْجَمْعُ أَوْ كَثُرَ؛ فَإِنَّ يَوْمَ حُنين أَعْجَبَتْهُمْ كَثْرَتُهُمْ، وَمَعَ هَذَا مَا أَجْدَى ذَلِكَ عَنْهُمْ شَيْئًا فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ وَتَأْيِيدَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ). أ.هـ.[١٥٠]

وقد سبق لنا ذكر كلام ابن رواحة رضي الله عنه في يوم مؤتة حين قال: (يَا قَوْمِ، وَاَللَّهِ إنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ، لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ: الشَّهَادَةُ؛ وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدِ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ، مَا نُقَاتِلُهُمْ إلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ).[١٥١]

وذكّر الله المؤمنين بنصره لهم في مواقع كانوا فيها أذلّة، أقلُّ عددا من عدوّهم وأخفُّ عدّة، فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. [آل عمران: ١٢٣]. وقال تعالى:﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ

---

١٤٩ في ظلال القرآن، ص ١\٤٩٣، تفسير سورة آل عمران.

١٥٠ تفسير ابن كثير، ص ٤\١١٠، تفسير سورة التوبة.

١٥١ سيرة ابن هشام، ص ٢\٣٧٥، ذكر غزوة مؤتة. كذلك جاء الخبر في البداية والنهاية لابن كثير، ص ٤\٢٤٣، غزوة مؤتة.

مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. [الأنفال: ٢٦].

فالنصر إنّما يأتي من عند الله، وإذا اعتقد المسلمون غير ذلك، وقالوا كما قالته مُسلِمَة الفتح: لن نُغلَب اليوم من قلّة، عندها يتخلّى عنهم النصر، ويُهزَمُون هزيمةً منكرة أمام عدوّهم (والعياذ بالله). وما أكثر ما يقع هذا عند انتصار المسلمين؛ فإذا غَنِم المسلمون، وانتصروا على عدوّهم انتصارا باهرا، ظنّ بعض المسلمين من ضعاف النفوس، أنّ النَّصر حليفهم، وأنهم لن يُهزموا أبدا؛ عندها تكون الكارثة المحققة.

السبب الرابع؛ الثبات والصبر عند اللقاء

كلّ الأمور تحتاج إلى الصبر، والجهادُ من ذلك؛ فيحتاج المجاهدُ إلى الصّبر على الجراحات والأثقال، وإلى الصّبرِ على فراق الأحباب والأهالي، وإلى الصّبرِ على أذى المنافقين والمرجفين (وهو الأشد)، وإلى غير هذه من أصناف الصّبر.

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾. [آل عمران: ١٢٥].فجعل الله تعالى الصّبر والتقوى شرطان لتنزّل النصر على عباد الله.

يقول السّيد قطب: (وأبلغهم كذلك شرطَ هذا المدد: إنه الصبر والتقوى؛ الصبر على تلقّي صدمة الهجوم، والتقوى التي تربط القلب بالله في النّصر والهزيمة). أ.هـ.[١٥٢]

ويقول تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾. [الأنفال: ٤٥]. ويقول تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾. [آل عمران: ٢٠٠].

يقول السّيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآية: (كأنّما هو رهان وسباق بينهم وبين أعدائهم، يُدعَون فيه إلى مقابلة الصّبر بالصّبر، والدّفع بالدّفع، والجهد بالجهد، والإصرار بالإصرار، ثم تكون لهم عاقبة الشوط، بأن يكونوا أثبت

---

١٥٢ في ظلال القرآن، ص ١\٤٧٠، تفسير سورة آل عمران.

وأصبر من الأعداء؛ وإذا كان الباطل يُصِرّ، ويصبر، ويمضي في الطريق، فما أجدر الحق أن يكون أشد إصراراً وأعظم صبراً على المضي في الطريق!). أ.هـ.[١٥٣]

والصبر يكون على عدوٍّ واضح لا يستتر، ويكون على منافقٍ يتسلّل في الصّفوف، فيبثّ الأراجيف والأكاذيب، ويقول عن المجاهدين ما يُنفّر الناس عنهم، وهذا النوع من الأعداء هم الأكثر، وهم الأشدّ ضررًا على صفِّ المسلمين. فالصبر على هؤلاء، هو من أعظم أنواع الصبر، وهو شرطٌ للنصر عليهم، كما الصبر عند اللقاء:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾. [آل عمران: ١٢٠]. فجعل اللهُ الصبرَ والتقوى شرطان لعدم التضرّر بكيدهم.

وأخبر الله تعالى كثيرا عن المؤمنين الصادقين (على مدى الأزمان)، أنهم كانوا يسألون الله الثبات والصّبر:

فطلبها أصحابُ طالوت عند مواجهتهم العدو:﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾. [البقرة: ١٢٥٠-٢٥١]. وطلبها سحرة فرعون بعد إسلامهم، حين هدّدهم فرعون بالقتل والتنكيل:﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۞ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾. [الأعراف: ١٢٥-١٢٦].

وحكى الله مثل هذا عن الفئات المؤمنة على مدار التاريخ عند مواجهتهم المعركة:﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَما ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۞ وَما كانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَإِسْرافَنا فِي أَمْرِنا وَثَبِّتْ أَقْدامَنا وَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ ﴾. [آل عمران: ١٤٦-١٤٧].

وقال موسى عليه الصلاة والسّلام مخاطبا قومه:﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾. [الأعراف: ١٢٨].

فهذا إذن، مبدأ إلهي، وسنةٌ من سننه الكونية المقررة: إنّ النصر مع الصبر، وإنّ مع العسر يسرا؛ فيجب على الطائفة المسلمة المجاهدة، أن تتحلّى بهذه الصّفة العظيمة، فإنه لا نصر على الكفار إلا بها.

---

١٥٣ في ظلال القرآن، ص ١\٥٥٢، تفسير سورة آل عمران.

فنصر الله لا يأتي لقوم *** إذا لاقوا تولّوا مدبرينا

يجب علينا ألا نكلّ ولا نملّ، وأن نمشي على الطريق غير مبدّلين ولا منهزِمين، فعدوّنا يألـم كما نألـم، ولكننا نرجو من الله ما لا يرجوا: قتلانا في الجنّة، وقتلاهم في النار؛ فكيف يكون أصبر منا على القتال؟!

قال تعالى:﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾. [النساء: ١٠٤]. وقال عزّ من قائل:﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾. [الأحزاب: ٢٣].

ألا بالصبر تبلغ ما تريد *** وبالتقوى يلين لك الحديد

السبب الخامس؛ طاعة القيادة فيما أطاعت به الله، وعدم التنازع والتفرّق

يقول الله تبارك وتعالى:﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾. [الأنفال: ٤٦].

يقول ابن كثير رحمه الله: (وَلَا يَتَنَازَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَيْضًا، فَيَخْتَلِفُوا، فَيَكُونَ سَبَبًا لِتَخَاذُلِهِمْ وَفَشَلِهِمْ. {وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} أَيْ: قُوَّتُكُمْ وَحِدَّتُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْإِقْبَالِ). أ.هـ.[١٥٤]

ويقول سبحانه وتعالى:﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾. [آل عمران: ١٥٢].

وقعت هزيمة أحد بعد أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم مجموعة من الرماة أن يبقوا في أماكنهم، لا يبرحونها مهما كانت الظروف، فقال عليه الصلاة والسلام لهم: (إنْ رأيْتُمونا تَخْطفُنا الطيرُ، فلا تَبْرَحوا مَكانَكُم هذا حتى أُرْسِلَ

١٥٤ تفسير ابن كثير، ص ٤\١٧٢، تفسير سورة الأنفال.

إليكُم؛ وإنْ رأيْتُمونا هَزَمْنا القَوْمَ وأَوْطَأْناهُم، فلا تَبْرَحوا حتى أُرْسِلَ إليكُم)؛[١٥٥] ولكنّ الرماة لم يطيعوا أمر الرّسول عليه الصلاة والسلام، فنزل جلُّهم إلى ساحة القتال لجلب الغنيمة؛ وعند ذلك، نزلت الهزيمة على المسلمين.

يقول السّيد قطب رحمه الله: (وهو تقرير لحال الرماة، وقد ضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة، ووقع النزاع بينهم وبين من يرون الطاعة المطلقة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانتهى الأمر إلى العصيان، بعد ما رأوا بأعينهم طلائع النصر الذي يحبونه؛ فكانوا فريقين: فريقاً يريد غنيمة الدنيا، وفريقاً يريد ثواب الآخرة؛ وتوزعت القلوب فلم يعد الصف واحدا، ولم يعد الهدف واحداً). أ.هـ.[١٥٦]

فطاعة القيادة ليست مهمّة فقط، بل هي من أهمّ أسباب النصر، وبدونها يكون تَنزُّلُ النصر شبه مستحيل؛ واعلم أنّ طاعة القيادة في غير معصية الله، هي طاعةٌ لله، فقد قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾؛ فإذا أطعت القائد بأمرٍ لا يخالف فيه شرعَ الله، فإنك تكون في الواقع مطيعًا لله، وليس للقائد.

ومن قَبِيلِ طاعةِ القيادة وعدمِ الاختلاف، ألا يتنازع المسلمون فيما بينهم، ولو كان هذا التنازع فيما دون القيادة؛ يقول الله تعالى:﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾. [آل عمران: ١٠٣].

فالوحدة عامِلٌ مُهمّ من عوامل النّصر، فإن وحدة الصفّ تؤدّي إلى ظهور مواطِن القوة في أيّ تجمّع، مهما كان قليل العدد؛ وبالعكس من ذلك، فإن الخلاف شرّ، والتّنازع لا يؤدّي إلا إلى الفشل والضّعف؛ وقد بيّن الله عز وجل عواقب النّزاع بقوله: (فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ).

ويُحكَى عن أحد الحكماء أنّه جمع يومًا أولاده الثلاثة، وجمع لهم مجموعة من أعواد الحطب، وربطها بحبل؛ ثم أعطى مجموعة الأعواد لأصغرهم، وطلب منه كسرها، فلم يقدر؛ ثم طلب من الابن الاخر نفس الشيء، فلم يقدر هو الآخر كسرها؛ وأخيرا، أعطاها لأكبرهم، فعجز هو أيضا عن كسرها؛ ثم أخذ الحكيمُ حزمةَ الأعواد، ففكَّ الحبل،

---

١٥٥ صحيح البخاري، ص ٤\٦٥، ح رقم ٣٠٣٩.
مسند أحمد، ص ٣٠\٥٥٤، ح رقم ١٨٥٩٢.

١٥٦ في ظلال القرآن، ص ١\٤٩٣، تفسير سورة آل عمران.

وأعطى كلّ واحد منهم عودا واحدا، وطلب منه كسره، فكسر كلّ واحد منهم عوده بسهولة. فهكذا حال المسلمين. لا يستطيع العدو أن يكسرنا ونحن مجتمعين؛ لكن إذا تفرّقنا، فإنّه سيستطيع أن يكسر كلّ واحد منّا على حِدة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية...

السبب السادس؛ قتل الإحباط والانهزامية في نفوس المسلمين

إنّ الإحباط والقنوط والانهزام النّفسي، ليس من صفات المؤمنين أبدا؛ قال تعالى:﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾. [يوسف: ٨٧]. وقال تعالى:﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾. [الحجر: ٥٦]. فالجيش المحبَط نفسيّا، لا يمكن أبدا أن ينتصر على عدوّه.

إنّ كثيرا من أبناءِ أمتنا اليوم يعتقدون أنّ سيادة المسلمين للعالم كان أمرا تاريخياً، وأنه كان أسطورة انقضى عمرها، وأن المستقبل قد يكون للشرق أو للغرب، ولكنه حتماً أو غالباً ليس للمسلمين؛ وأكثرُ هذه الطائفة تفاؤلاً، يعتقدون أنه حتى ولو كان الإسلام سيعود من جديد لصدارة الأمم وقيادتها، فإن هذا سيكون بعد أجلٍ بعيد، وأمد ليس بالقريب، لا يمكن أن نراه نحن، ولا أبناؤنا، ولا حتى أحفادنا.

وهذا الإحباط واليأس جاء من أمور عدّة، أهمها:

- الواقع الذي يعيشه المسلمون من هزائمَ متكررة: فمنذ بداية القرن العشرين إلى يومنا هذا، كان المسلمون يتخبّطون في هزائم جسام، وكانوا ينتقلون من بلاء إلى بلاء، ومن هزيمة إلى هزيمة، ومن مُعضِلة إلى معضلة أشدّ؛ فترَكَ هذا الوضعُ أثرا سلبيا في نفوس المسلمين عامة، وفي نفوس الشّباب منهم خاصّة.
- حكّامُ بلادِ المسلمين الذين أعمى الله بصرهم وبصيرتهم: لقد كان حكامٌ مرتدّون، يجلسون على صدر الأمّة الإسلامية لقرنٍ من الزمان، والوا فيه أعداء الله، وزجّوا بكوادر الأمة في السجون، ونهبوا ثروات البلاد والعباد، ومكّنوا للعدو، وبثّوا من الإحباط في نفوس المسلمين ما الله به عليم؛ فلمّا رأى المسلمون ما يفعله حكّامهم، دبّ الوهن في نفوسهم، وسرَى الإحباط في عروقهم؛ ذلك لأنّ مكانة القائد في النفوس رفيعة، فإذا تلخبط، وفعل ما تستحي العامّة من فعله، صار مِعوَلًا لهدم الهِمم في النّفوس.

- الإعلام المنافق: منذ عقود، والإعلام الفاسق (الغربي منه والشّرقي) يمارس أشدّ أنواع التدليس والنفاق، ويبث في نفوس الشباب حب الدنيا والفساد والمجون والفسق، ويرسّخ في الأذهان سياسة الخنوع والتبعية لكفار الغرب والشرق؛ كان الإعلام—ولحدّ الآن—يقول كلّ سوءٍ عن الجماعات الجهادية، ويصفهم بكلّ التسميات المشينة، ويزيد على الحقيقة الواحدة مائة كذبة، ويُزوّر الحقائق كلمة كلمة؛ لا لشيء إلا ليقتلع همم المسلمين من جذورها، ويقمع من قام منهم بنفسها ومن بين أجيالها؛ يقاتِلون بالسّنان والكلام، كلَّ من يهدفون إلى النُّهوض بأمّة الإسلام، وإرجاعِ بعضِ ما سلبت من حقوق جسام. باختصار، لقد أصبح هذا الإعلام من أشد ما يستخدمه العدوّ لبثّ الإحباط واليأس في نفوس عامة المسلمين.

وهؤلاء الذين استسلموا وانبطحوا، لم يُدركوا طبيعة هذا الدّين، ولم يُدركوا طبيعة هذه الأمة، ولم يُدركوا طبيعة سنن الله في الأرض، فالله سبحانه وتعالى شاءت حكمته أن يجعل الأيام دولاً بين الناس: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾[آل عمران: ١٤٠]؛ فكما تعاني أمة المسلمين اليوم من القرح، فقد كان هناك أيام عانى فيها الآخرون من القرح، بينما كانت أمة المسلمين في سلامة وعافية؛ وسيأتي اليوم الذي تسوده الأمة المسلمة من جديد؛ ذلك لأنّ أمة الإسلام أمّة لا تموت، فربما تبعت غيرها لزمن بسبب انحرافها عن دينها، لكنّها لن تموت أبدا، إلا بزوال الدنيا، حين يقترب ميعاد الساعة، فيقبض الله أرواح المؤمنين جميعا.

كيفية قتل الإحباط

وكما كان لهذا الإحباط أسبابٌ جاءت به ورسّختْهُ في النفوس، فإنّ لقتله وإزالته أسبابٌ كذلك. ومن أهم تلك الأسباب ما يلي:

- الإيمان الصادق بموعود الله عزّ وجلّ
- قراءة المبشّرات الواردة عن النّبي صلّى الله عليه وسلم
- النظر إلى المصائب بالعين الثانية، والتدبّر في النتائج التي جاءت منها
- النّظر إلى الصّحوة الإسلاميّة المعاصرة

أولا؛ الإيمان الصادق بموعود الله عز وجل لعباده المؤمنين

إنّ الله سبحانه وتعالى وعد التّمكين والإستخلاف في الأرض للمسلمين، ولا يَشُكُّ في هذا الموعود إلا شخصٌ فَقَدَ إيمانه، وزالت عنه روحه، وفقد الثّقة في دينه وكتاب ربّه.

يقول الله تبارك وتعالى:﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾. [النور: ٥٥].

ويقول تعالى:﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾. [الأعراف: ١٢٨].

فكلّما رأيت قوة عدوّنا وعظمة جيوشه، تذكّر أنّ هؤلاء يقاتلون ربّ العالمين، وأنّهم يصدّون النّاس عن سبيله، فمن يستطيعُ أن يقاتل العظيم المتعال، ذي القوة والجبروت والكبرياء والعظمة؟ كلَّما رأيت كثافة المكر الذي يُحاك ضدّ أمةّ الإسلام، فتذكّر الله القوي المحيط بكلّ شيء، وقل:﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾. [الأنفال: ٣٠].

ثانيا؛ قراءة المبشّرات الواردة عن النّبي صلّى الله عليه وسلم

عن جابر ابن عبد الله، أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).[١٥٧] وعن معاوية رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ).[١٥٨]

فعلمنا من الحديثين السابقين، أنّ الأمة لا يمكن أن تخلو من صادقين، وهم الذين يقاتلون عدوّ الله (لقوله صلى الله عليه وسلم "يقاتلون على الحق")؛ وهذه العصابة، هي التي يتحقق على يديها النصر؛ فطالما كان لهذه الطائفة وجود، فإنّ النصر يأتي، وهو الآن قريب إن شاء الله.

---

١٥٧ صحيح مسلم، ص ١\١٣٧، ح رقم ١٥٦.
مسند أحمد، ص ٢٣\٦٣، ح رقم ١٤٧٢٠.

١٥٨ صحيح مسلم، ص ٣\١٥٢٤، ح رقم ١٩٢٣.

ولكيلا يقول أحد أنّ النصر ربّما يكون بالشهادة والجنّة وليس بالتمكين والإستخلاف، أو يقول أنّ النصر ربّما يأتي متأخرا، كيلا يحصل ذلك، نأتي بحديث آخر:

عن النعمان ابن بشير عن حذيفة رضي الله عنهما أنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: («تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا؛ ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا؛ ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا؛ ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا؛ ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»، ثُمَّ سَكَتَ).[١٥٩] والخلافةُ الإسلامية الأخيرة، هي الباقية الآن من تلك السّلسلة، وقد ظهرت نواتها في العراق والشّام بإذن الله، على أيدي مجاهدي الدّولة الإسلامية (وسنتكلّم عن هذا الأمر قليلا في الصفحات القادمة إن شاء الله).

وسبحان الله، أحيانًا تأتي البُشريات في أحلك الظّروف التي تمرّ بالمسلمين، فتكونُ بشرى للبعض، وفتنةً للبعض الآخر، لأنهم يرون أنّ الواقع لا يصدق ذلك؛ فمثلا، عندما كان المسلمون في الأحزاب، وكانوا محاصَرين من كلّ الجوانب، قريشٌ وغطفانُ من فوقهم، ويهودُ بني قريظةَ من تحتهم، وكانت القلوب خافقةً خائفةً (كما قال الله تعالى: "وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ")، عندها يأتي النبيّ صلى الله عليه وسلّم، ويبشّرُ الصحابة بفتح الشام وفارس واليمن؛[١٦٠] فلمّا جاءت تلك البشرى، انقسم الناس إلى قسمين في تصديقها: قسمٌ صدّقها بلا تردّد، ولسانُ حالهم يقول "هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله"؛ وقسمٌ كذّبوا البشرى، وقالوا: "أحدُنا لا يأمن على قضاء حاجته، ومحمّدٌ يخبرنا بفتح فارس والرّوم، ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا"؛ هذا القسم الثّاني، صدّق عينيه وكذّب الغائب؛ وحقا، كان الظّنُّ الأقرب إلى الواقع، أنّ المسلمين سيُبَادُون في حربهم تلك، دع عنك فَتْحَ فارس والروم.

---

١٥٩ مسند أحمد، ص ٣٠\٣٥٥، ح رقم ١٣٤٠٦.
مسند البزار، ص ٧\٢٢٣، ح رقم ٢٧٩٦.

١٦٠ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الخَنْدَقِ، لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عَوْفٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: "بِسْمِ اللهِ" فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: "اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا". ثُمَّ قَالَ: "بِسْمِ اللهِ" وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: "اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا" ثُمَّ قَالَ: "بِسْمِ اللهِ" وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: "اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا". (أخرجه أحمد في المسند، وابن أبي شيبة في المصنّف).

فيجب على المسلم أن يُصدّق الخبر إذا أتى مِن الله ورسوله، مهما رأى الواقعَ لا يقبلها؛ قال اللهُ بأنه يأتي بالنصر، ونحن نرى الدباباتِ والطائراتِ والقنابل الذّرية؛ قال الله بأنه سيهزم الكفار لا محالة، ونحن نرى غوانتنامو وباغرام وأبو غريب، ونرى مآسي بورما وأفريقيا الوسطى؛ فهنا إذن يكمُن الاختبار، إمّا أن نُصدّق الله في الغيب، وإما أن نكذّب الله ونصدّقَ أعيننا، فالأولُ ما صنعه الصحابة، والثاني ما صنعه المنافقون، وقد رأينا كيف تحقّقت نبوءة الرّسول صلى الله عليه وسلم، ورأينا كيف مكّن الله للمسلمين؛ فمع أنّ الله سيَختبِرنا في بعض الأوقات بواقعٍ لا يصدّق موعود الله، إلا أنّنا نعلم أن الله سيُحقّق ما وعد به حتما، ولو بعد حين.

طيّب! الآن اتفقنا على أنّ النّصر حاصل، ولكن هل هو قريب أم بعيد؟ هذا ما سنتكلّم عنه في البند التالي.

ثالثا: النظر إلى المصائب بالعين الثانية، والتدبّر في النتائج التي جاءت منها:

إنّ لله حِكَمُه في كلّ أمرٍ يقضيه. نحن آدميون، ومن الطبيعي ألا نرى إلا ما نعانيه في تلك اللحظة من الإمتحانات؛ إلا أنّ الله يجعل من بعض الأمور المؤلمة أسبابا تُوصِل إلى الهدف المنشود؛ فبدلًا من أن ننظر إلى المصائب على أنها بلاياتٌ محضة، يجدر بنا أن ننظر إلى النتائج الإيجابيّة التي حصلت وتمخّضت من هذه البلايا. إن الله يهلك الطواغيت بأيديهم، كما فعل الله بفرعون حين جعله يُربّي الرّسول موسى—عليه الصلاة والسلام—في بيته، فكان بذلك مُربّيا قاتله، وكان يعدّ بيده الهلاك لملكه. هذا هو نفس ما يحصل لأمريكا اليوم.

لِننظُرْ مثلا إلى الإحتلال الأمريكي للعراق؛ لا جَرَم أنّه قد حصد من أرواح المسلمين ما الله به عليم؛ لكن ماذا كانت النتيجة؟ لقد أعطى هذا الإحتلال المجاهدين ساحةً خصبة كانت مستعدّةً لقبول مشروع الخلافة الإسلامية، فكان من إثرها ولادةُ دولةٍ للإسلام، تكون بإذن الله نوراً للمسلمين وعضداً لهم. فلو تركوا صدّامَ على حكمه، لما كان جهادٌ في العراق، ولما كانت الدولة الإسلامية.

نجد مثالا آخر في مصر؛ فلقد روّج ضُلّال "الإخوان" لفكرة حكم الإسلام عن طريق الديموقراطية؛ طبعا فكرهم هذا منقلب على رأسه كما هم منقلبين، لكنّ المهمّ لنا هم العامّة الذين كانوا يتهاتفتون خلف هذه الترّاهات. فلمّا قام فرعون مصر، عبد الفتّاح السيسي، بمجازر رابعة وغيرها، وطارد الضالّ محمد مرسي، بدأ الناس يفهمون حقيقة الحرب، وأنّه حتى وإن تنازلوا، لن يتركهم الكفار يحكمون بسلام. فلو تدخّل الأمريكان لِصَالح مُرسي، لبقي المسلمون

في سكرتهم يعمهمون؛ لكنّ الله أضلّ الكفار مرّة أخرى، فتركوا السيسيّ طليقا يفعل ما يشاء. فماذا كانت النتيجة؟ عودةُ كثيرٍ من الشباب إلى رشدهم؛ عادوا إلى الجهاد، وتركوا السِّلميّة الوهميّة.

ومثال ثالث نجده في العراق: حين خان بعضُ المنتسبين إلى أهل السنّة دينهم، ووضعوا أياديهم في يد الكافر الصليبي، كان منه ما كان من آلامٍ على المجاهدين؛ لكن لما تركَ الأمريكان العراق، عمِد نوري المالكي الرافضي الخبيث إلى الخونة من المنتسبين إلى أهل السنّة (مثل طارق الهاشمي) فطاردهم، حتى جعلهم بين فارٍّ وقتيل. ثم عمد الرافضةُ إلى أهل السنة، فقتّلوهم وفعلوا بهم مالله به عليم. فماذا كان من ذلك؟ الجواب: لقد فهم ضعاف النفوس من أهل السنّة على ألّا سَلام بلا إسلام، وأنّه وإن تنازلوا، لن يُترَكوا للحكم أبدا. وعلِموا كذلك زيفَ تُرّاهاتِ الوطنية، وتيقّنوا بأنفسهم حِقْدَ الرافضةِ على أهل السنة. فالآن لما طلب الأمريكان من أهل السنّة أن يُعينوهم على الدولة الإسلامية، لم يستحب لهم من ضِعاف النفوس كثيرون، لأنهم وإن كانوا قليلي الفقه، إلا أنّهم يرون ما حصل لأسلافهم.

فخلاصة القول: لا وَلَدَ بلا وِلادة، والألم هو الطريق الوحيد للنصر والتمكين؛ لذلك، يجدر بنا ألا نكون قصيري البصر، وأن ننظر إلى مكر الله بالكافرين، وكيف جعلهم تائهين لا يدرون من أين وإلى أين؛ سيأتي الفجر من جوف الغيوم الظلماء، فلْنوقِنْ بأنّ الله يجعل الكفّار يزرعون هلاكهم بأيديهم، فسبحان الذي بيده ملكوت كلّ شيء.

رابعا؛ النظر إلى الصحوة الإسلامية المعاصرة

يقول الله تبارك وتعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾. [الأنفال: ٦٤].

أكبر سببٍ للإحباط والقنوط، هو حال أمتنا الدّينية المزرية حقا؛ أعني أنّ المسلم الصادق، يثق بموعود الله بالنصر، ولكنّه يعلمُ أنّ الله لا ينصر هذه الأمة إلا حين تُرَاجِعُ دينها؛ فإذا رأى الشخصُ حالةَ المسلمين اليوم، من تركٍ لدين الله، كلّه أو بعضه، فإنه يقول أنّ هؤلاء ليسوا أهلا للنصر، وما داموا على قيد الحياة، فإن النصر مستحيلٌ أن يأتي.

أقول: إن النصر آتي وقريب بإذن الله، ولنا أدلّة على ذلك.

أولا، إن كنّا ننتظر اليوم الذي يكون فيه المسلمون جميعا أناسا مؤمنين مخلصين صادقين في تعاملهم مع ربهم، فنحن لم نقرأ التاريخ، ولم نستوعب سنن الله؛ لم يكن المسلمون جميعا في يوم من الأيام، مؤمنين مائة في المائة، بل ذاك شيء

بعيد عن الواقع، ومِثاليَةٌ لا مكان لها في الحياة الدّنيا؛ لقد كان فيهم المؤمنون ذوو الإيمان الرّاسخ، وكان فيهم ضعيفُو الإيمان، وكان فيهم المنافقون، والفُسَّاق، وغيرهم ممن يصنعون ما لا يرضى عنه اللهُ بطريقة أو بأخرى. فالسؤال هو، كيف كانوا ينتصرون وفيهم كل أولئك؟

الجواب بسيط، وهو أن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى جميع الناس الذي ينتسبون إلى الصفّ المسلم، ولكنه ينظر إلى المؤمنين منهم؛ فعندما رجع عبد الله ابن أبي ابن سلول عن الحرب في غزوة أحد، كان ذلك—بالطبع—محطِّما لمعنويات الجيش، لكنّ الله لم يعدّه من أسباب الهزيمة في سورة آل عمران؛ لماذا؟ لأنّ الله لا يعدّ المنافقين والمجرمين في الصّف، وأفعالُهم لا تزِن شيئا عند الله (إلا أن تجد مناصرة أو سكوتا من بعض المؤمنين)؛ فالثلّة التي ينظر إليها الله سبحانه وتعالى، وتكون أفعالُهم سببا للنصر أو الهزيمة، هم الطائفة المنصورة والمؤمنون من المسلمين، الذين يريدون أن يقوموا بأمر الله ورسوله (وهم كثيرون نسبيا).

ثانيا، الذين يتعلق النصر بأفعالهم، من مؤمنين صادقين، ومسلمين مناصرين، بدأوا بالرجوع إلى الله، والبحث عن الطريق الصحيح السليم؛ فالأمة الإسلامية اليوم بدأت بالاستيقاظ من سباتها العميق، وأصبحت تتعلم دينها وتحاول الرّجوع إليه؛ وهذا سببٌ لرفع الذلّ، لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ).[١٦١]

ألا ترى انتشار التوحيد والعقيدة الصحيحة بين المسلمين، واضمحلال الشرك وأهله؟! ألا تنظر إلى زوال تعلّق الشعوب بالنظم المحايدة للشريعة؛ ألا ترى كيف تركوا الشيوعية والعلمانية، وهم الآن على وشك أن يتركوا الديموقراطية والوطنية؟! ألا ترى كيف تعرّف المسلمون على أهمية الحكم بما أنزل الله وتركِ النظم المخالفة له؟! ألا ترى كيف أنّ العلمانيّ الملحد اليوم لا يتجرّأ على أن يقول أنّه لا يريد الحكم بشريعة الله، بل يزاول ويراوغ، ويجعل البند الأول في دستوره أنّ شريعة الإسلام هي دينُ الدّولة؟! كلامٌ فارغ طبعا، ولكنّه يُشير إلى مدى قوة الفكرة (فكرة الحكم بما أنزل الله) بين شعوب المسلمين، الشيء الذي لم نكن نجده قبل عشرات السنين.

---

١٦١ سنن أبي داود، ص ٣\٢٧٤، ح رقم ٣٤٦٢، وصحّحه الألباني.
مسند أحمد، ص ٩\٣٩٦، ح رقم ٥٥٦٢، وفيه ضعف في الإسناد.

ألا ترى كيف أنّ الجهاد في سبيل الله لم يعد بالشّيء المشين الذي تشمئزّ منه النفوس؟! ألا ترى كيف أنّ شعوب المسلمين اليوم في الشام والعراق واليمن وأفغانستان والصّومال ومصر وليبيا ومالي ونيجيريا وغير هذه الأماكن، يقاتلون العدوّ مع الافتخار بالجهاد؟! هل كان الوضع هكذا قبل عشرين سنة مثلا؟! فكرة الجهاد كانت مندثرة أساسا قبل ما يقارب الثلاثة عقود؛ الآن، رجعت الفكرة وصعدت إلى السطح، وبدأت تجد مكانها في أوساط المسلمين.

العدوّ اليوم يَعتَرفُ بأنّ المجاهدين ينتشرون ويزدادون قوة، يوما بعد يوم. يقول الجنرال الأمريكي جاك كِين: (الإسلام الراديكالي قد زاد أربعة أضعاف في خمس سنوات؛ وزادت الدولة الإسلامية عشرة أضعاف منذ ٢٠١١م).[١٦٢]

أما الفريق (Lieutenant General) مايكل فلين فيقول: (لا يمكنني استنتاج أيّ أمرٍ آخر، غير أن أقول بأنّ تهديد التّطرف الإسلامي قد وصل إلى حدٍّ غير مقبول، وأنّه في ازدياد). ويقول أيضا: (لقد طلبتَ مني أن أُعلّق على حال التطرف الإسلامي. اليوم، أَحمِل المهمّة الصعبة لِإبلاغِكم بأنّه وِفقًا لكلّ المقاييس المهمّة، فإنّ التطرف الإسلامي قد نَمَا خِلال العام الماضي).[١٦٣]

ثالثا، قيام الخلافة الإسلامية، أكبر مُبشّرٍ في هذا القرن:

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا).[١٦٤] والخلافة الإسلامية، التي تقود الناس في الجهاد، وتضرب الجزية، وتنشر دين الله، وتدافع عن حقوق المسلمين، وتحكم بشريعة الله، وتقيم الحدود، هذه الخلافة هي مَعْلَمٌ عظيمٌ وأساس كبير من دين الله؛ وكان آخر عهدٍ لهذه الخلافة في سنة ١٩٢٤م (أي قبل تسعين سنة).[١٦٥]

---

١٦٢ (انجليزي): موقع قناة فوكس نيوز (Fox News) بعنوان: 'Gen. Keane: 'Radical Islam Has Increased 4-Fold in 5 Years

١٦٣ (انجليزي): موقع سي اسبان (C-SPAN) بعنوان: Islamic Extremism Threat

١٦٤ سنن أبي داود، ص ٤\١٠٩، ح رقم ٤٢٩١.
المستدرك على الصحيحين، ص ٤\٥٦٧، ح رقم ٨٥٩٢.
المعجم الأوسط، ص ٦\٣٢٣، ح رقم ٦٥٢٧.

١٦٥ أنا أشير إلى الإلغاء الرسمي للإسم في ٢٤ يوليو ١٩٢٣، من خلال معاهدة لوزان، لكنها قد سقطت بالمعنى قبل وقت طويل. يجب علينا أن نعلم أنّ الدولة العثمانية لم تكن على الطريق الصحيح في القرن الأخير من عمرها. خضعت هذه الحكومة لفترة من من العلمنة، وقبل ذلك، كانت عبادة

في هذه الأيام، ظهرت للمسلمين دولةٌ فتيّة، تهفوا إلى إرجاع مجد الأمة وكرامتها المسلوبة؛ دولةٌ يترأّسُها أناسٌ لم يعرفوا الذلّ والهوان، وبذَلوا لإرجاع الخلافة كل غالٍ ونفيس؛ قومٌ تركوا بيوتهم وأهاليهم وتجاراتهم، وجاؤوا إلى أرضٍ لا يعرفون منها إلا قليلا، فقط من أجل دينهم؛ لم يُثنِهم ما لَاقُوْهُ من شدّةٍ وعناء، بل لبّو نداء الجهاد، وأجابوا استغاثة الثكالى وبكاء الأرامل وحزن الأيتام؛ تدرّبوا بقتال الكفار والمرتدين، فصَلُب عودهم، وحنكت عقولهم وتدابيرهم، وإني أرجوا من الله أن يفتح بهم البلاد والعباد.

ومع أنّ هذه الدّولة الفتيّة تعاني اليوم من كلّ أنواع المؤامرات، من تجمّعٍ لكل أمم الصّليب مع حكام العرب المرتدين عليها، وحربٍ عليها من البر والبحر والجوّ، وتشويهٍ لسمعتها في الإذاعات والتليفزيونات، إلا أنّها وبحمد الله، تُبرهن للناس حقيقة المجاهدين، وتريهم ما يعني المسلم إذا قام لدينه، وإني أرجوا من الله أن تقف هذه الدولة على قدميها بعد عشر سنوات، لأنّ هذه المدة، هي ما تبقّي من القرن المذكور في الحديث السابق.

وإعلانُ هذه الدولة (لحدّ ذاته من دون النظر إلى إمكانية بقائها في السّاحة، وستبقى بإذن الله) يرسِم للمسلمين خطّا جديدا؛ فيقول الشيخ الشّهيد أنور العولقي (نحسبه كذلك والله حسيبه) رحمه الله، وهو يتكلم عن الدّولة الإسلامية في العراق التي أُسِّسَت في أواخر ١٤٢٧هـ:

(إنّ الإعلان عن إقامة الدولة الإسلامية في العراق، في بغداد، عاصمةِ الخلافة العباسية، مع كون الرئيس الحالي للدولة من سلالة حسين بن علي رضي الله عنه، يحمل الكثير من الأهمية.

وهذه الدولة، سواءٌ أبَقِيَت لتمتدّ إلى الخلافة الإسلامية القادمة، أو حُطِّمت من أجل المؤامرة العظيمة التي تحاك ضدّ صعود أي دولة إسلامية، إلا أنني أعتقد أنّ إقامتها فقط هو حدث ضخم.

القبور تنتشر في ربوع دولتهم كالسرطان (الأمر الذي لا شكَّ في أنه الأساس لسقوطهم). كانت في أوائل ١٨١١ عندما هاجم محمد علي باشا، الذي كان تحت الحكم العثماني، على الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) ومضيفه، محمد بن سعود. التبنّي لقوانين العقوبات الغربية واستبدال الشريعة بالقوانين الأوروبية هي إحدى الأمثلة الدالّة على حجم تَغيُّرِهم. فلِقُرابة قرنٍ من الزمان قبل نهايتهم، لم يكن من الممكن وَصْفُ الكثيرين منهم بالإسلام، ناهيك عن وصفهم بخلافةٍ إسلاميةٍ تجمع الأمّة تحت دين الله.

السلطان عبد الحميد الثاني قد يكون مختلفا عن سابقيه. فمع تضارب القراءات لسيرته، إلا أنه يبدوا مُحاوِلا للتأكيد على "إسلامية" الإمبراطورية، وقد ألغى الدستور والبرلمان، ودعا إلى وحدة المسلمين تحت الخلافة.

نحن لن نعلّق آمالنا على أي شخص أو أي شيء، لأن ذلك ليس طريقة المسلمين؛ المسلمون يأتون ويذهبون، جيلا بعد جيل؛ أعني، إنّ مصير الإسلام لم يكن مرتبطا حتى بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلّم؛ فعندما مات النبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو بكر للناس:﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ فنحن عندما نتكلّم عن هذه الدولة الإسلامية، نقول أننا لا نعرف مستقبلها؛ يمكن أن تتمدّد، ويمكن أن تتحطّم؛ لكن الإعلان عن الدولة، ولحد ذاته، أراه حدثا مهما، سواء أنجحت أم لا؛ إنّها تمثّل تحرك الفكرة (فكرة الخلافة) من عالم النظريات، إلى الحياة الحقيقية؛ فكرة تأسيسِ حكمِ الله وإقامة خلافةٍ إسلاميةٍ على الأرض، لم تَعُد بعد اليوم كلاما، بل فعلا!

وهذا الأمر هو انعكاسٌ لحقيقةِ أنّ المجاهدين اليوم، لن يقوموا بالعمل ويخوضوا المعارك، فقط ليسمحوا لشخصٍ آخر بِجَنْيِ ثمرات جهودهم؛ قصدُهُم اليوم ليس طَرْدَ الغزاة من أرضهم، فقط ليجدوا منافقا يملئ مكانه، بل هم يملكون مشروع دولة إسلامية، يليه عودة نظام الخلافة؛ إخوتي وأخواتي، نحن على بُعْدِ خطوات من المرحلة النهائية الأخيرة من حديث النبي صلى الله عليه وسلّم: «ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ». أ.هـ.[١٦٦]

فلا يقولنّ قائل بأنّ هذا الموعود شيءٌ بعيد، فإننا وبحمد الله نرى أمتنا المسلمة اليوم، وهي تعود إلى رشدها ودينها وجهادها، ونراها وهي تترك الاستسلام والانبطاح وتستبدل ثقافة الخنوع السائدة فيها قبل عقود، بثقافة العزّة والجهاد والاستشهاد؛ إننا نرى وبأمّ أعيننا، ما يقع في كل بلاد المسلمين اليوم، من جهادٍ لأعداء الله، وحشدٍ للجيوش، وإيقاظٍ للهمم؛ تلكم هي العلامَة يا إخوة، علامة النصر والتمكين.

فلْنتخلّصْ من هذا الدّاء العضال، الذي فتك بنا لمدّة طويلة، وجعلنا عظاما هشّة تُحطِّمها أمم الصّليب كيفما تريد. لِنَكنْ متيقنين من موعود الله، فإنّه سبحانه ناصرٌ أولياؤَه ومعزٌّ دينَه، ولو كره ذلك الكافرون. وإذا سألتم الله، عن النصر، متى هو، فلْتجدوا جَوابَه:﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾. والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

---

١٦٦ (انجليزي): معركة القلوب والعقول (Battle of the Hearts and Minds)، محاضرة مسموعة للشيخ أنور العولقي رحمه الله تعالى، وأسكنه فسيح جناته، وتقبّله في تعداد الشهداء.

السبب السابع: الإعداد المادّي قدر المستطاع

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾. [الأنفال: ٦٠].

الإعداد للعدو قدر المستطاع، هو واجبٌ أمرنا الله به؛ فيجب علينا كمسلمين، أن نأخذ بكلّ الأسباب المادّية المتاحة لدينا لتقوية جيوشنا، من إعدادٍ للسلاح، وتدريبٍ للجنود، وترتيبٍ للصفوف، ووضعٍ للخطط المناسبة، واختيارٍ للمكان المناسب، وعقدٍ للعهود الدبلوماسية المناسبة؛ يجب أن نتهيّأ للقتال، ونُهيّأ الجو له على أفضل ما يكون.

ويجب علينا ألّا ننسى، أنّه لا يجب من هذا أن نكون متكافئِين في القوة مع عدوّنا؛ لا، بل إنّ هذا لم يحصل إلا في القليل من معارك المسلمين، فقد كان العدوّ متفوقا في العدّة والعدد في معظم انتصارات المسلمين، لكنّ المسلمين انتصروا عليهم على كلّ حال! كيف ذاك وقد قلنا بأن الإعداد هو من أسباب النصر اللازمة؟!

الجواب هو: أنّ المسلمين كانوا يعدّون أفضل ما يقدرون عليه، وكانوا يبذلون قصارى جهدهم في الإعداد والتسليح وحشد الجيوش، وهذا هو ما طلب الله منّا؛ إنّ الله لم يأمرنا إلا بأن نستعدّ على قدر المستطاع: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)؛ فإذا صنعنا ما علينا، وأتينا بما نقدر عليه من قوّة، وخطّطنا للحرب بأفضل ما نستطيع من خُطط، كان النصر قريبا منا بإذن الله؛ فالنّصر إنّما يأتي من عند الله، وإنّنا لا نهزم العدو بكثرة عدد ولا بقوّة سلاح، وإنما بنصر الله؛ فإذا شاء أن ينصرنا، نَصَرَنَا ولا يستشير في ذلك أحداً.

وغزوة بدرٍ خيرُ دليل على هذا: فمِن بين الصّفات التي اتصف بها جيش بدر: الإعداد قدر المستطاع؛ ففي هذه الغزوة، أَرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم العيون لاستكشاف تحرّكات المشركين، وذَهَب هو في طليعةٍ استطلاعيّة، واختار موقعَ المعركة، وغوَّر الآبار من ورائه، إلا بئرا واحدا يشرب منه المسلمون، ورصّ الصفوف، واستخرج أقوى صحابته للمبارزة، وأمر الصّحابة بالرمي بالنّبل قبل أن يغشاهم الكفار؛ وأمثال هذه الأمور كثيرة في هذه الغزوة.

فجيشُ بدر، مع أنّه قليل العدد (ثلث المشركين)، ومع أنّه قليل العدّة (فلم يكن يملك سوى فَرَسين وسبعين جملا، في حين كان الكفار يملكون مائة فرس وعدد كثير من الجمال لا يُعرف بالضبط)، إلا أنّ هذا الجيش انتصر؛ كيف؟ لأنّه قدّم ما يَقدِر عليه، والله سبحانه وتعالى لم يطلب منّهم إلا ذلك.

السبب الثامن؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾. [٤٠-٤١].

فأخبرنا الله سبحانه وتعالى عن صفات المؤمنين المنصورين، فبهذا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب النّصر، وإذا تهاون الناس في أدائه، فإنّ النصر لن يأتي، أو على الأقل، لن يأتي في وقتٍ قريب. يقول الرّسول صلوات الله وسلامه عليه: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ).[١٦٧]

وأوّل معروف يُأمر به، هو التوحيد الخالص لله، كما أنّ الشرك هو أول منكرٍ يُنهى عنه، فتلك هي رسالة الله للإنسانية، فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾. [النحل:٣٦]، وبمثل هذا يقول التابعيّ الجليل أبو العالية رحمه الله: (كان أَمْرُهُم بالمعروف أنّهم دعوا إلى الإخلاصِ لله وحده لا شريك له، ونهْيُهم عن المنكر أنّهم نهوا عن عبادة الأوثان وعبادة الشيطان). أ.هـ.[١٦٨]

فلا يجدر بالمجاهدين أن يتركوا الشرك ومظاهره في الأماكن التي يُسيطرون عليها، وإلا فلْيعلموا أنّ النّصر لن يكون معهم بعد ذلك. النبي صلى الله عليه وسلّم لما دخل مكّة وفتح الله عليه، كان من أول ما صنع، أن هدّم الأصنام التي كانت إلى جوار الكعبة، ومحى صور إسماعيل وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام عن الكعبة.

فيَجدُر بالمجاهدين أن يقتدوا بالنبيّ صلى الله عليه وسلّم، وألا يتركوا صنما، ولا قبّة لوليّ، ولا مرقدا لشيخ، ولا مسجدا بُني على قبر، إلا هدموه؛ وإذا لم ينتهي الناسُ من عبادة القبور إلا بنقل الجثة منه، كان ذلك جائزا؛ ويجدر بهم أن يأمروا بالحجاب الشرعي، ويمنعوا الاختلاط بين الجنسين، وذلك ليهيّئوا للمسلمين بيئةً صالحةً تُعينهم على طاعة الله.

---

١٦٧ مسند أحمد، ص ٣٨\٣٣٢، ح رقم ٢٣٣٠١.
سنن الترمذي، ص ٤\٤٦٨، ح رقم ٢١٦٩.

١٦٨ تفسير الطبري، ص ١٨\٦٥٢، تفسير سورة الحج.

ولْيُعطوا أوليةً عُظمى للشّباب، فإن مصير الأمم مرتبطٌ بشبابها؛ فيجب عليهم أن يعتنوا بتربيَتِهم على حُبّ الخير والجهاد والعلم، وأن يمنعوا عنهم ما يُلَوّث فِطرَتَهم من الأمور المحرّمة (كالأفلام الخليعة والموسيقا)، وأن يُهيّئوا لهم بيئة صالحةً تعينهم على طّاعة الله وتعسّر عليهم المعصية.

وليتنبه المجاهدون إلى نهي المنكر الذي يقع بينهم ومن أحد جنودهم؛ يجب عليهم أن ينهوا عن المنكر، ولو كان المرتكِب أحدا منهم؛ أما إذا فرّقوا بينهم وبين العامّة من النّاس، فلْيعْلموا أنّهم على دأْب اليهود، فإنهم كانوا يُقيمون الحدود على الضّعفاء، ويتركون الأقوياء والشّرفاء؛ فليس من المقبول أبدا أن يقع هذا من المجاهدين، الذين هم أولى بكلّ خير، وأحرصُ على أخذِ أوامرِ الله من سائر النّاس؛ فإذا قَتَل المجاهدُ شخصًا مسلمًا بغير حقّ، فلْيُقِيمُوا عليه ما أمر الله به، ولا يقولنّ أحدٌ منّا، أنّ هذا يُنقص مِن هيبة المجاهدين؛ كلّا وألف كلّا، بل يزيدها أضعافا مضاعفة.

السبب التاسع: الشورى الصادقة

يقول الله تعالى:﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾. [آل عمران: ١٥٩].

يقول السّيد قطب رحمه الله: (وبهذا النّص الجازم، يُقرّر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم، حتى ومحمد رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ هو الذي يتولّاه؛ وهو نصٌّ قاطع لا يدع للأمّة المسلمة شكاً في أنّ الشورى مبدأٌ أساسي، لا يقوم نظامُ الإسلام على أساس سواه). أ.هـ.[١٦٩]

ويقول سبحانه وتعالى واصفا المؤمنين الذين سيرثون النعيم الباقية في الآخرة:﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾. [الشورى: ٣٨].

يقول السّيد قطب مرة أخرى: (والتعبير يجعل أمرهم كله شورى، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة؛ وهو كما قلنا نصٌ مكي، كان قبل قيام الدولة الإسلامية؛ فهذا الطابع إذن أعمّ وأشمل من الدّولة في حياة المسلمين؛ إنه طابع الجماعة الإسلامية في كلّ حالاتها، ولو كانت الدّولة بمعناها الخاص لم تقم فيها بعد؛ والواقع أن الدولة في الإسلام ليست

١٦٩ في ظلال القرآن، ص ١\٥٠١، تفسير سورة آل عمران.

سوى إفراز طبيعي للجماعة وخصائصها الذّاتية؛ والجماعة تتضمن الدولة وتنهض وإياها بتحقيق المنهج الإسلامي وهيمنته على الحياة الفردية والجماعية). أ.هـ.[١٧٠]

ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلّم يتركُ الشورى أبدا، فقد استشار الصحابة حين افلتته عير قريش قبل معركة بدر، وحين أتى المسلمون إلى مياه بدر، اختار الرّسول صلى الله عليه وسلّم مكانا ينزل فيه؛ فجاءه الحباب المنذر رضي الله عنه فقال: (يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَعَدَّاهُ وَلَا نُقَصِّرُ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ"؛ فَقَالَ الْحُبَابُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، وَلَكِنِ انْهَضْ حَتَّى تَجْعَلَ الْقُلُبَ كُلَّهَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ، ثُمَّ غَوِّرْ كُلَّ قَلِيبٍ بِهَا، إِلَّا قَلِيبًا وَاحِدًا، ثُمَّ احْفِرْ عَلَيْهِ حَوْضًا، فَنُقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؛ فَقَالَ: "قَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ").[١٧١]

وكذلك، شاوَر المسلمين قبل الخروج إلى أحد، وأخذ برأيٍ يخالف الذي كان يراه (وهو أن يبقى المسلمون في المدينة يقاتلون فيها)؛ وكذلك شاور المسلمين قبل غزوة الأحزاب، فأخذ برأي سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق؛ وهكذا، فحياة النبي صلى الله عليه وسلّم مليئة بمثل هذه النماذج.

فالشّورى مبدأ حتمي لكل من يريد أن ينهض بالأمة الإسلامية، فإن الله سبحانه وتعالى قد وزّع المواهب على خلقه، والشّورى تسمح لنا بأن نستفيد من كل تلك المواهب المختلفة؛ وإذا كان هناك كبتٌ لآراء المسلمين، فإننا لن نستفيد من تلك الطاقات على الوجه الأفضل، ويقودنا هذا إلى هزائمَ وأضرارٍ عظيمة.

---

١٧٠ في ظلال القرآن، ص ٣١٦٨\٥، تفسير سورة الشّورى.

١٧١ سيرة ابن هشام، ص ٦٢٠\١.

السبب العاشر؛ التلاحم بين القيادة وبين العامّة من المسلمين

إذا بحثْتَ في كتب التاريخ، ووقفت مع معظم الانتصارات الباهرة للمسلمين، رأيتَ أنّ جميع قادة المسلمين في تلك الانتصارات، يتّفقون في هذه الصفة؛ فترى أنّ مكانهم من جيوشهم ليس إلا كمكان الأخ الأكبر من أخيه الأصغر؛ يحنّ عليه ويحميه، ويخالطه ويتحدّث معه، ويألم لألمه ويحزن لحزنه، ويشاركه الخبزة والخبزات، ولا يؤْثر نفسه عليه أبدا.

هكذا يجب أن يكون جميعُ قادة المسلمين؛ فلا يجوز لهم أن يعزلوا أنفسهم عن هموم العامّة ويحتجبوا عنهم؛ وإذا فعلوا ذلك، فلْيعلموا أنّه ليس من الممكن أن ننتصر والحالة هذه.

يقول راغب السرجاني هداه الله وهو يتكلم عن هذا البند في تحليله لغزوة بدر: (ولْتُراجعوا معي سيرة زعماء الأمة الذين حصل في زمنهم نصرٌ وتمكين وعزة، فإنك ستجد اختلاطاً كاملاً من القائد مع الشعب، كصلاح الدين الأيوبي، وقطز، وعبد الرحمن الناصر، وموسى بن نصير، ويوسف بن تاشفين وغيرهم كثير؛ فلتُراجعوا تاريخ الأمة، فإنكم ستجدون هذه الأشياء واضحة مثل الشمس، وعلى النقيض تماماً، كلّ لحظات الانهيار والتردي في حالة الأمة، تكون مصحوبة بعزلة الحاكم عن الشعب). أ.هـ.[١٧٢]

ولقد كان رسول الله صلى الله أعظمَ قائدٍ يتّصف بهذه الصّفة، فلم يكن عليه الصلاة والسلام يتكبّر على جنوده، بل كان يخالطهم ويخالطونه، ويقاسمهم الفرح والحزن، والشبع والجوع، والسِّلم والحرب؛ فمثلا، عندما كان صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى بدر، كان يتعاقب مع صحابيين على بعيرٍ واحد؛ وكانا يقولان له عند عقبته: (ارْكَبْ حَتَّى نَمْشِيَ عَنْكَ)، فيقول: (مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا).[١٧٣]

وعندما كان يُسوّي الصفوف في بدر، كان صحابيٌ يسمى سواد بن غزيّة، خارجا ببطنه عن الصف، فضربه الرّسول في بطنه بقداحٍ في يده، ضربةً خفيفة، وقال له: (استوِ يا سواد)؛ فقال سواد: (يا رسول الله، أوجعتني فأقدني)؛

١٧٢ سلسة "السيرة النبوية" المسموعة، للدكتور راغب السرجاني، المحاضرة السابعة من أشرطة العهد المدني.

١٧٣ مسند أحمد، ص ٧\١٧، ح رقم ٣٩٠١.

فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن بطنه، وقال: (استقد)؛ لكنّ سواداً اعتنقه وقبّل بطن الرسول عليه الصلاة والسلام؛ فهل يمكن أن تجد اليوم ضابطا يتواضع مع الجنود هكذا، دع عنك القائد العام، أو حتّى المشير أو العقيد؟!

السبب الحادي عشر؛ إسناد الأمور إلى أهلها

يقول الحق جلّ وتبارك في علاه:﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾. [القصص: ٢٦].

إن الناس مختلفون في قدراتهم متفوّقون في قواتهم، فهم كالبنيان يُكمِّل بعضُه بعضا؛ وكما يختلفون في المجالات المتنوعة، فهم أيضا يختلفون في المجال الواحد، يفوق بعضُهم على بعض، وهم متفاوتون مع ذلك في أمانتهم. فيجب على القائد المسلم أن يختار الأصلح لكلّ مهمة، وينظر في صفتين أساسيتين في كل ولاية: القوّة والأمانة؛ فيختارُ القويّ الأمين، الذي يستطيع أن يُنجز ما وُكّل إليه، والذي يتقي الله في مهمته فيؤدّيها على أكمل وجه.

والقوةُ هنا لا تعني قوة الجسم والعضلات فقط، ولكنها تعني القدرة على إنجاز ما وُكِّل إليه من الأمر، فيتغير ذلك بحسب العمل المطلوب؛ ففي سياق الحرب، تتمثل القوّة في القدرة على القتال، والرّمي، واللفّ والدوران، والتّخطيط للجيوش، والصّبر على الحرّ والبرد، وغير ذلك من الأمور التي يحتاج إليها المحارب؛ وفي سياق التقنيات الحديثة كالصواريخ مثلا، تتمثل القوّة في المعرفة الدقيقة لما يتعامل معه الشخص، والقدرة على انتاج أسلحة جديدة، والاستفادة من الخبرات السابقة للمهندسين الكفار، وغير ذلك؛ فعلى هذا، تكونُ القوةُ أمرا شاملا تعني القدرة على انجاز المهمة الموكلة إلى الشخص، مهما تكن تلك المهمّة.

السبب الثاني عشر؛ عدم موالاة الكفار أبدا ومفاصلتهم، فلا يطلب معونةً منهم

لقد قُلنا سابقا بأن الله لا يعطينا النّصر حتى يميّز بيننا، ويتمحّصَ المسلمون من المنافقين؛ فما بالُك إذا كان بيننا وفي صفوفنا كفارٌ صريحو الكفر؟! النّصر له شرط، وهو مبيَّن في قول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾. [محمد: ٧]؛ فهل من الممكن أن يَخرُج الكفارُ إلى الحرب وهم ينصرون الله ودينه؟!

إنّ الرّاجح من حكمِ الاستعانة بالكفار على الكفار هو المنع وعدم الجواز، مع ما ورد من خلافِ بعض الفقهاء فيها. تُمنَع الإستعانة بهم منعا باتّا وذلك للأحاديث الواضحة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيها كفّارا أرادوا إعانته بالرجوع، ردّهم وهو يقول: لن أستعين بمشرك؛ هذا إضافة إلى الآيات التي جاءت تمنع عن موالاة الكافرين عموما.

أول ما يَستدِلّ به القائلون بالجواز هو حديث الزهري في الترمذي الذي جاء فيه (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْهَمَ لِقَوْمٍ مِنَ اليَهُودِ قَاتَلُوا مَعَهُ).[١٧٤]. وهذا حديث مرسل، ومن المعلوم أنّ المراسيل هي من الأحاديث الضعيفة؛ وعلاوةً على هذا، فإنّ مراسيل الزّهري رحمه الله أضعف من غيرها. أمّا قصّة صفوان ابن أميّة، التي ورد فيها أنّه شهد حنينا مع النبي صلى الله عليه وسلم، ففي هذا الأثر اضطرابٌ شديد في المتن والسّند، ولا يثبت حجّة أصلا لأنّه لا يتضمّن الدلالة. لم يطلب النبيّ صلى الله عليه وسلّم من صفوان أن يقاتل مع المسلمين، بل إنّه هو بنفسه الذي شهد الوقعة، ولا يَجب على المسلمين أن يمنعوا شخصًا كافرا إذا أراد مقاتلة الكفّار من تلقاء نفسه؛ فإذا ذهبت روسيا اليوم مثلا ودمّرت أمريكا بقنابلها الذرية، فإننا نشاهد ونشكر الله أن سلّط الظالمين بالظالمين؛ ففي قصّة صفوان، لم يطلب النبي صلى الله عليه وسلّم منه أن يقاتل، بل هو بنفسه الذي ذهب. ومع هذا، لم يثبت أنّ الرجل قاتل في الوقعة أصلا، وإنما الظاهر أنه خرج ليرى ما سيحصل، كما كان الأمر مع أبو سفيان؛ لما انهزم المسلمون في أول وهلة، فرح أبو سفيان بذلك وقال: "والله لا يردّ هزيمتهم البحر"، وصفوان كان معه فقال: "اسكت فض الله فاك، فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن".[١٧٥] فلا أرى أنّهم جاؤا للقتال في تلك الوقعة، والله أعلم.

---

١٧٤ سنن الترمذي، ص ٤\١٢٨، ح رقم ١٥٥٨.

١٧٥ سيرة ابن هشام، ص ٢\٤٤٤.

لمطالعة جميع ما يستدلّ به القائلون بالجواز، اقرأ رسالة كتبها الشيخ حمود ابن عقلاء الشعيبي، واسمها: القول المختار في حكم الإستعانة بالكفار.[١٧٦]

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: (الشُّبهة التي تمسَّك بها من قال بجواز الاستعانة، هي ما ذكرها بعضُ الفقهاء من جواز الاستعانة بالمشرك عند الضرورة؛ وهو قول ضعيفٌ مردود، مبنيٌّ على آثار مُرسلة تَردّها النّصوص القرآنية، والأحاديث الصحيحة الصريحة النبوية؛ ثم القول بها، على ضعفها، مشروطٌ بشروطٍ نبّه عليها شرّاح الحديث، ونقل الشوكاني منها طرفاً في المنتقى، منها: أمن الضرر والمفسدة، وألا يكون لهم شوكة وصولة، وأن لا يدخلوا في الرأي والمشورة؛ وأيضاً، ففرضها في الانتصار بالمشرك على المشرك؛ وأما الانتصار بالمشرك على الباغي عند الضرورة فهو قول فاسد لا أثر فيه ولا دليل عليه، إلا أن يكون محض القياس، وبطلانه أظهر شيء في الفرق بين الأصل والفرع، وعدم الاجتماع في مناط الحكم). أ.هـ.[١٧٧]

ويقول أيضا: (والصحيحُ الذي عليه المحققون، مَنْعُ ذلك مطلقاً؛ وحجتهم حديث عائشة، وهو متفق عليه، وحديث عبد الرحمن بن حبيب، وهو حديث صحيح مرفوع، اطلُبْهُمَا تَجِدْهُمَا فيما عندك من النصوص؛ والقائل بالجواز، احتجّ بمرسل الزهري، وقد عرفتَ ما في المراسيل إذا عارضَتْ كتاباً أو سنّة). أ.هـ.[١٧٨]

وهنا يجب أن نُنبّه إلى أمرٍ خطير جدّا في هذا الباب، وهو أنّ بعض الناس يخلطون بين الاستعانة بالكفار على الكافرين وبين الاستعانة بهم على المسلمين؛ فمع أنّ الأولى محلُّ خلاف، إلا أنّ الثانية مُكفِّرةٌ لصاحبها بلا خلافٍ بين المسلمين؛ فمن أعان كافرا على أخيه المسلم، فهو بذلك متولٍّ للكفّار من دون المسلمين، ويدخل في قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾. [المائدة: ٥١].

إنّ قتال المسلمين للكافرين يجب أن يكون صافيًا كي يتنزّل نصرُ الله عليهم. ولقد رأينا كيف أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم حرص ـــ وبشدة ـــ على أن يكون هذا الصّفُّ نظيفا من دَنس الكفار ورجسهم؛ فلم يستعِن صلى الله عليه

١٧٦ القول المختار في حكم الإستعانة بالكفار.

١٧٧ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ص ٣\٦٧.

١٧٨ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ص ٣\١٦٤.

وسلم بأفراد المشركين في غزوتي بدر وأُحد، وذلك مع مسيس الحاجة؛ كذلك لم يستعن بالرّهط المسلَّحين من يهود قينقاع، مع أنهم كانوا ذووا قوّة وجلد. فالراجح أنّ الإستعانة بالكفّار على الكفار محرّمة؛ والذي استدلّه المخالفون، لا تعدوا أن تكون بعض الآثار الضعيفة، التي لا تقوى في وجه الآيات والأحاديث الصّحيحة المتّفقِ عليها.

اعلم أخي، أنه مهما كانت حاجة المسلمين شديدة، فإنّ الاستعانة بالكفار لن يأتي بأيّ خيرٍ أبدا، وهذا ما كان يعِيهِ الرّسول الحبيب صلى الله عليه وسلم. كيف يأتي بخير وهم لا يألون جُهدا لدسّ المكائد للمسلمين ليلا ونهارا، وإذا وجدوا الفرصة سانحة، فإنهم لن يتردّدوا في الميل على المسلمين واستباحة بيضتهم.

ألم يقل الله سبحانه في كتابه:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾. [آل عمران: ١١٨].
فكيف نستعين بالكفار بعد هذا... كيف؟!

فتأمل يا أخَ الإسلام، ولا تهدم الدّين من حيث أردت إقامته، ولا تكن سببا للهزيمة في حين حالفت الكفار لتنتصر.
تأملْ في آيات الله البينات، واستوضحْ، وكن على يقين في أنّ الكفّار لن يُقدّموا لك صنيعة خير من قلبهم أبدا....
...﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾. [البقرة: ١٠٥].
...﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾. [آل عمران: ١٢٠].

السبب الثالث عشر؛ العدل وعدم الظلم

إنّ الأمر لا يستقيم للمسلم إلا بالعدل، فإذا ظلم ربّه بالشرك، أو ظلم النّاس حقوقهم، فإن عاقبته ستكون إلى الزوال والهلاك، ولا محالة، لأنّ الله تعالى يقول:﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾، [البقرة: ١٢٤]، ويقول تعالى:﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾، [البقرة: ٢٥٨]، ويقول تعالى:﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾، [آل عمران: ٥٧]، ويقول تعالى:﴿ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾. [آل عمران: ١٥١]. فالعدل بين النّاس هو من أعظم أسباب النّصر، ومِن دُونه، لن يأتي النصر أبدا؛ وإذا رأيتَ حاكمًا يظلم الناس، فاعلم أنّ زول مُلكِه قريبٌ جدّا، لأنّ الله تعالى يقول:﴿ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾؛ فاحذر يا أخ الإسلام، وأعطِ النّاس حقوقهم، ولا تَظُنَّ نفسك قويّا، فإنّ الله هو أقوى منك.

ويجبُ ألّا يجعلَ الحاكمُ بينه وبين العامّة حُجُّابًا، لكي يستطيعَ الناسُ أن يشتكوا مِن عمّاله إذا بذر منهم ما يَسُوء؛ ويجب عليه أن يستولي مَن هو رحيمٌ بعباد الله في البداية، وإلّا فإنّ ظُلْمَهُم سيكون عليه عند الله. وينبغي للحاكم أن يُنشِأ ديوانا للمظالم، وأن يُرَاجِع المحاكمَ والقضايا، فيرى بنفسه إن كان هناك حيفٌ على أحد. وإذا بذر ظلمٌ مِنَ الحاكمِ نفسِه، فعليه أن يتوبَ إلى الله، وأن يَرُدَّ المظلمةَ إلى أهلها، وأن يطلبَ منهم العفو.

الخطوة الثانية: قيام العلماء بدورهم في تحريض الأمّة على الجهاد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (كلُّكم راعٍ ومسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ).[١٧٩] إنّ العلماء ورثة الأنبياء، ولم يُورّث الأنبياء درهما ولا دينارا، وإنما ورّثوا العلم، ومسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بخلاصة شديدة، لم يحمل كثيرٌ من علماء عصرنا مسؤوليّتهم كما ينبغي، ولسوف يُسألون أمام الله عن ذلك.

منذ قرون، والمسلمون يُقَتّلون ويُشرّدون؛ ذُبِحوا في مجازر البوسنة والهرسك، وذُبِحُوا على يد اليهود في فلسطين، وعلى يد الأمريكان في العراق وأفغانستان والصومال، وعلى يد النُّصيرية في سوريا؛ اُغتُصِبَتِ النساء، وبُقِرت البطون، وقُتِل الأطفال بالآلاف، وشُرِّدِ الملايين من المسلمين من بيوتهم.... فماذا صنع الملايين من علماء المسلمين؟!

انقسموا إلى ثلاثة: قسمٌ لم يكترث بما يجري من العذاب على إخوانه المسلمين، وجعل يشرح للناس آداب الطعام والشراب؛ وقسمٌ أكَل من مال السّلاطين المجرمين (عملاءِ الكفار يهودٍ أو نصارى أو رافضةٍ أو ملحدين)، فتكلّمَ بما يُرضيهم، وشغّل قلمه للدّفاع عنهم (عليهم من الله ما يستحقّون)؛ أما القسم الثالث (وهم قلّةٌ قليلة جدّا، عشراتٌ في الآلاف)، هم الذين قاموا ليقولوا كلمة الحق، ولم يخافوا في الله لومة لائم.

هؤلاء الذين قاموا لنُصرة إخوانهم، هم الوحيدون الذين نصحوا لدينهم وأمّتهم؛ هم الوحيدون الذين قاموا بمسؤوليتهم، وبرّأوا ذمتهم أمام الله، وفعلوا ما أمرهم به تعالى في قوله:﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾. [العصر: ٣].

يا أيها العالِم، يا من تعلّمت دين الله، وعرفتَ الحق من الباطل، والمعروف من المنكر، أمَا سمعتَ بحديث النّبي صلى الله عليه وسلّم: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ)[١٨٠]؟

---

١٧٩ صحيح البخاري، ص ٣\١٢٠، ح رقم ٢٤٠٩.
سنن الترمذي، ص ٤\٢٠٨، ح رقم ١٧٠٥.

١٨٠ سنن الترمذي، ص ٤\٦١٢، ح رقم ٢٤١٧.

لقد تعلّمتَ فعَلِمت، وقرأتَ قول الله سبحانه وتعالى:﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، [التوبة: ٤١]، وقرأت قوله سبحانه:﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾، [النساء: ٧٥]، كما قرأت قوله تعالى:﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾. [الأنفال: ٧٢].

رأيتَ القتلى والجرحى، ورأيتَ الأرملة والثكلى، وشاهدت حزن اليتامى... علمتَ أمر الله بالجهاد، وقرّ في قلبك وجوبُه، ثم تركته وأهملته، وجعلت همّك بطنك... ولم تكتف بهذا، بل أصبحت تُدافع عن المجرمين المرتدّين، وتهاجم المجاهدين الصادقين، الذين كانوا هم الوحيدين القائمين لنصرة من كان يجب أنت أن تنصرهم؛ بدأتَ تهاجم هؤلاء بقلمك ولسانك، وربما ببنانك وسنانك...

أما علمتَ أنّ اليوم يومٌ يتلوه يوم؟! أما علمت أنك تاركٌ الدنيا، بما فيها ومن فيها من أهلٍ ومالٍ وجاهٍ وسلطان؟! سمعتَ كلام الله في سورة التوبة:﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾. [التوبة: ٢٤]، فما عساك تفعل حين يجيء أمر الله؟!

ماذا ستقول لربّك يوم القيامة حين يسألك: ماذا صنعت لإخوانك من المسلمين الذين كانوا يُقَتَّلُون ويُشرّدون؟! قد علمت أن الله سيسألك عن مريضٍ لم تزره، فما بالك بالملايين من المسلمين الذين كانوا يموتون من الجوع والعطش، وأنت بدلَ أن تنصرَهم، وقفتَ إلى جانب من يقاتلهم؛ أتظنُّ أنّ الله لن يسألك عن ذلك؟!!!

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. [الحجر: ٩٢-٩٣]؛ إي وربّي، ليسألَنّ.... واللهِ ليسألَنّ... والله ليسألَنّ... فأَعِدَّ للسّؤال جوابا، وللجواب ثوابا أو عقابا.

الخطوة الثالثة: القيام الصادق إلى جانب الخلافة الإسلامية (الدولة الإسلامية)

إنّ الجهاد الطّويل الذي استمرّ لعقودٍ من الزّمان، بدايةً من الحرب ضدّ اليهود في بداية أمرهم، مُرورًا بالحرب ضدّ الرّوس في الشّيشان وأفغانستان، ثم بالحرب ضدّ الأمريكان وأذنابهم في أفغانستان والعراق والصومال، وصولًا إلى الحرب ضدّ الرافضة في العراق والشام، هذا الكفاح الطويل المستمرّ إلى حدّ الآن قد بدأت ثمراته بالنضوج، بل قد أثمر، وأينعت ثمراته: **لقد قامت الخلافة الإسلامية...**

إنّ رجالا من المجاهدين، بعضٌ منهم جاهد في أفغانستان، وبعضٌ منهم جاهد في الشّيشان، وبعضٌ منهم جاهد في العراق، وبعضٌ منهم جاهد في غير تلك البلاد، قاموا بنضالٍ لم نرى له مثيلًا (اللهمّ إلا في أفغانستان)، وسطّروا بطولاتٍ عظيمة في صفحات التاريخ؛ سنواتٌ طوال، قام بها هؤلاء الرجال ببطولات نادرة، من قتالٍ متّصل ضدّ الصليبيين بقيادة الأمريكان، ثم قتالٍ للمرتدّين المجرمين المتحالفين مع الكفار، ثم قتالٍ للرافضة بألوانهم المختلفة...

إنهم رجالُ الدّولة الإسلامية (أعزّها الله) ... صفاءُ منهج، وحنكةُ تدبير... جلادٌ عند اللقاء، وصبرٌ على البلاء... قام هؤلاء بالعبء، فأعلنوا الخلافة الإسلامية، وحكّموا كتاب الله في مناطق سيطرتهم، وضربوا الجزية، وأعلنوا الجهاد. لم يقع على ظهر المسلمين من البلايا ما وقع، إلا لتفرّقنا وتشرذمنا، وإنّ الله أمرنا بالجماعة والتوحُّد تحت كلمة التوحيد، وهذا ما كان يسعى إليه المجاهدون لعقود مضت؛ فلقد حصلنا على المأمول، والله الحمد والمنّة.

لم يرضَ بعضُ المسلمين بإعلان الخلافة، فكانت الشّبهاتٌ تدور في أوساط المسلمين منذ أن أعلنت الدولةُ الخلافةَ؛ بعض من هذه الشبهات تُطلَق من قِبَل مجاهدين، وبعض من قِبَل المنافقين؛ فلإيضاح الحقّ لمن يريده من المجاهدين الصادقين، ولتكميم أفواه المنافقين المخذّلين، سأحاول بإذن الله أن أُعالج بعض تلك الشّبهات في هذه الصفحات؛ وسأخلِص بإذن الله إلى الحقيقة الواضحة التي يجحدها البعض: وهي أنّ الخلافة قد انعقدت شرعًا، وأن الشيخ أبي بكر البغدادي حفظه الله، هو حقّا الخليفةُ وأميرُ المؤمنين، وتجب علينا طاعته ما أطاع الله.

الردّ على من قال بأنّ طالبان كانت الخلافة من قبل الدّولة، وأن الملا عمر كان الخليفة

هذه هي من أول الشّبهات؛ فيقول البعض بأن بيعة الإمامة قد انعقدت من قبلُ للملا عمر هداه الله، فلا يجوز للدّولة الإسلامية ولا لغيرها أن يُنصّبوا خليفة ثانيا من بعده.

أقول: هذا خطأٌ صريح وجهلٌ بالواقع. أولا يجب أن نعرف أنه ما كلّ بيعةٍ تحملُ معنى الإمامة العامة. البيعة تعني المعاقدة على أمرٍ ما، مهما يكن ذلك الأمر. ثانيا، طالبانُ ترى نفسها جماعةَ مقاومةٍ داخل الأراضي الأفغانية بحدودها المتعارَف عليها اليوم، ولم يدعُ الملّا عمر لنفسه كخليفة عام، (ولو ساعةً من نهار).

لتتّضحَ لنا حقيقة الإمارة الإسلامية في أفغانستان، سنستعرض بإذن الله بعضًا مما قاله أيمن الظواهري (هداه الله) وعطيّة الله الليبي (تقبّله الله)—اللذان هما من أكبر قيادات تنظيم القاعدة—في هذا الصّدد، إلى جانب كلمةٍ من الملّا عمر (هداه الله) نفسه.

يقول أيمن الظّواهري هداه الله: (دولة العراق الإسلامية وإمارة أفغانستان الإسلامية، وأضف إليهما الإمارة الإسلامية في القوقاز، إماراتٌ إسلامية لا تتبع لحاكمٍ واحد، وعسى أن تقوم قريبا دولة الخلافة، التي تجمعهم وسائر المسلمين).[١٨١] وقال أيضا: (الملا محمد عمر حفظه الله هو أمير الإمارة الإسلامية في أفغانستان ومن انضم إليها من المجاهدين، والشيخ أسامة بن لادن حفظه الله هو أحد جنوده، أما أمير المؤمنين في العالم، فهو إمام دولة الخلافة، التي نسعى، ويسعى كل مسلم صادقٍ لإعادتها بإذن الله). أ.هـ.[١٨٢]

ويقول الشيخ عطيّة الله الليبي رحمه الله وأسكنه فسيح جنّاته: (والقاعدة هي جماعة من الجماعات الإسلامية المجاهدة، البيعة فيها مبنية على الاختيار والشّرط، وعلى قاعدة مشروعية التّعاهد بين المسلمين لأداء التكاليف الشّرعية، لا على التحريج والتضييق والإلزام بأصل الشّرع، فهي ليست إمامةً عظمى حتى لا يجوز لرجلٍ يؤمن بالله واليوم الآخر يبيت ليلتين إلا وهو يراها (القاعدة) إماماً على نفسه! لا، وحتى إمارة أمير المؤمنين الملا محمد عمر حفظه الله ونصره ليست

---

١٨١ اللقاء المفتوح للشيخ أيمن الظواهري، الحلقة الثانية؛ ويوجد مفرّغا في منبر التوحيد والجهاد، بعنوان: اللقاء المفتوح.

١٨٢ المصدر السّابق.

كذلك بالنسبة لجميع المسلمين في الأرض، وإنما هو أميرٌ في حدود سلطانه وولايته، وعلى مَن دخل في بيعته، وهو في حدود سلطانه له حكم الإمام الأعظم من حيث ما يجب له من السمع والطاعة والوفاء بالبيعة وتحريم الخروج عليه إلا بما يُخرَجُ به على الإمام الأعظم). أ.هـ.[١٨٣]

وقال رحمه الله في شأن دولة العراق الإسلامية (قبل أن تمتد إلى الشام وتُعلِن الخلافة): (والحاصل أن دولة العراق الإسلامية هي دولةٌ للمسلمين في هذا المِصر من بلاد المسلمين، أعني العراق بمعناه المعروف اليوم، وربما ما حوله بحسب الإمكان، وليس المقصود منها الآن أنها دولةُ الإسلام الكبرى (الإمامة العظمى والخلافة)، فإن هذا لايزال مبكّراً، بحسب ما يعطيه النّظرُ والاجتهادُ، والله أعلم، وأن أمير هذه الدولة لقبُه "أمير المؤمنين"، وأن هذه الدولة هي نواةٌ ــ إن شاء الله ــ لدولة الإسلام الكبرى، والخلافة الراشدة على منهاج النبوة). أ.هـ.[١٨٤]

وإطلاق لقب أمير المؤمنين على الملا عمر من قِبَل بعض الجماعات، لا يعني شيئا، فالضليع لأخبار المجاهدين، يعرف أنّ قياداتهم كانوا يُطلِقُون لقبَ أميرِ المؤمنين على كلّ أميرٍ لإمارةٍ إسلامية؛ فكانوا يطلقون اللّقب على أبي عمر البغدادي (أمير الدولة الإسلامية في العراق)، وعلى دوكوا عمروف (أمير الإمارة الإسلامية في القوقاز). والشاهد على هذا كثيرٌ من كلمات القيادات، منها ما قاله الشيخ أبو الزّبير (أمير حركة الشباب في الصومال) عند مقتل الشيخ أبي عمر البغدادي رحمهما الله: (هنيئا لك يا أمير المؤمنين أبي عمر الحسيني، فلقد صاولت في كلّ الميادين؛ ففي ميدان قول الحقّ، كنتَ فارسها الذي لا يهاب؛ وفي ساحات الوغى، كنتَ ضرغامها الذي لا يبارى)؛ أ.هـ.؛[١٨٥] وكذلك ما قدّمنا من كلام الشيخين أيمن الظواهري وعطية الله الليبي (تقبله الله).

أما من جانب حركة طالبان نفسها، فهي لم تَدْعُ الناس إليها أبدا، ولم تقبل ببيعة أيّة جماعة على أنها إمامةٌ عظمى؛ ومِن بعض البيانات المنسوبة إليها، نرى أنها أفغانيةٌ لا ترى نفسها خلافةً إسلامية عامّة لجميع الشّعوب؛ وأكثر ما

---

١٨٣ الأجوبة الشاملة لأسئلة أعضاء شبكة الحسبة الإسلامية، للشيخ عطية الله الليبي رحمه الله، ص ١٣٦.

١٨٤ كلمات في نصرة دولة العراق الإسلامية، للشيخ عطية الله الليبي.

١٨٥ كلمة صوتية بعنوان "دولة الإسلام باقية"، للشيخ مختار أبي الزبير رحمه الله.

ترى في بيانات الحركة وإصداراتها، هو ما يحدث في حدودِ أفغانستان الداخلية المتعارف عليها اليوم، ومُعظمُ كلامها مُوَجّهٌ إلى قضايا الشَّعب الأفغاني فقط، من دون الشّعوب الأخرى من المسلمين.

يقول الملا عمر هداه الله في بيان أصدرته[186] [187] الإمارة بمناسبة عيد الأضحى عام ١٤٣٢هـ: (اتركوا بلدنا وشعبنا لأبناء هذا الشعب، لأن هذه الأرض هي أرض الأفغان؛ وإقامة النظام، وتعيين كيفيته فيه، هو عمل الأفغان فقط. إننا لا نريد إضرار الشعوب والبلاد الأخرى، وإنّنا نؤمن بالحوار لحل جميع النزاعات والمعضلات، وقد أخبرناكم بهذا الموقف قبل عشر سنوات، ولا زلنا على نفس الموقف؛ وقد كلّفنا الجهة المسؤولة في الإمارة الإسلامية بأن تتفاهم مع جميع الدول في حدود مراعاة قيمنا الدّينية والوطنية، وأن تقدّم سياسة الإمارة الإسلامية وموقفها بشكل صحيح للعالم كله). أ.هـ.[188]

وقالت الحركة في بيان لها حول الوضع في أفغانستان: (كما هو المعلوم لدى شعب أفغانستان المسلم والمجاهد، بأن الإمارة الإسلامية وفقاً لمتطلبات الشعب، تواصل المقاومة والجهاد منذ عقد ونصف من الزمن لقيام النظام الإسلامي، وفي إطار تحقيق هذا الهدف وإيجاد الأمن والسلام في أفغانستان، كثفت محاولاتها السياسية في الآونة الأخيرة، كي تقوم بالإفهام والتفهيم مع المجتمع الدّولي بغية حل المعضلة الحالية؛ لكن هذا التفاهم لا يعني الكف عن الجهاد وتركه، وكذلك ليس معلقاً بقبول "القانون الأساسي" لإدارة كابل، بل إن إمارة أفغانستان الإسلامية إلى جانب تواجدها العسكري ومواصلتها للجهاد تقوم بالتحرك السياسي أيضاً، كي تُحقق أماني الشهداء والشعب الأفغاني الإسلامية والوطنية). أ.هـ.[189]

---

١٨٦ تنبيه: لم أستطع التوثّق من أي واحد من هذه البيانات، لأنّني لم أعثر على موقع رسميّ للجماعة؛ أخذت هذه البيانات من المنتديات، ثم بحثت فوجدت موقعا يحتوي على أكثر إصدارات الإمارة، وكانت هذه البيانات موجودة هناك. فيجب عليّ أن أقول: استوثقوا، فأنا لا أعرف صحة هذه البيانات.

١٨٧ لاحظِ الأخطاء المنهجية في هذه الكلمات.

١٨٨ مجلّة الصمود الإسلامية (alsomod.com) بعنوان:
بيان تهنئة أمير المؤمنين بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك لعام ١٤٣٢ هـ (٢٠١١\١١/٥)

١٨٩ مجلّة الصمود الإسلامية بعنوان: بيان الإمارة الإسلامية حول الوضع الجاري في أفغانستان (٢٠١٢/١/١٢)

فحركة طالبان ترى نفسها حركةَ مقاومةٍ داخل الأراضي الأفغانية، وهذا أبعدُ ما يكون عن الخلافة الإسلامية العظمى؛ إضافة إلى هذا، فإنّ الحركة تَسْبَحْ في لُجٍّ من الأخطاء المنهجيّة قرأتُ بعضها في بياناتٍ منسوبة إليها (مع أنّي لا أستطيع التوثّق من تلك البيانات)، من القول بالوطنية، وتحسين العلاقة مع الجيران، واحترام قوانين الأمم المتحدة، ومدح حكام الردّة في بلاد المسلمين، وغير ذلك من أمور الجاهلية التي تحطّم مبادئ الولاء والبراء، وتنزع معنى جهاد الطّلب، وترسّخ الحدود الوهمية العمياء في قلوب المسلمين.

جاء في بيان صدر عن الحركة عند الإفراج عن خمسة من قيادات طالبان من غونتانموا: (كما نشكر بهذا الخصوص فخامة أمير دولة قطر الشيخ / تميم بن حمد بن خليفة آل ثاني، حيث بذل جهوداً مخلصة ، ودور الوسيط الناجح، في سبيل الافراج عن القادة المذكورين والاستضافة لهم، أسأل الله لفخامته البدل الجميل في الدنيا والأجر العظيم في الآخرة، كما أسأل العلي القدير أن يفك أسر جميع سجنائنا المواطنين المظلومين مثل هؤلاء القادة، الذين سُجنوا في سبيل تحرير الوطن وخدمة الدّين). أ.هـ.[١٩٠]

ومثل هذا جاء في بيان لها حول افتتاح مكتب سياسي في قطر: (وجدير بالذكر، أننا نقدم الشكر والتقدير لدولة قطر الشقيقة ولسمو أميرها الموقر/ الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ـ حفظه الله ـ، لما وافق على فتح مكتب سياسي للإمارة الإسلامية في بلاده، وتفضل بتوفير التسهيلات المتعلقة به). أ.هـ.[١٩١]

وجاء في بيان لها بمناسبة حلول عيد الفطر لعام ١٤٣٣هـ: (ترغب الإمارة الإسلامية في إقامة العلاقات المتبادلة مع العالم، وبالأخصّ العالم الإسلامى ودول الجوار، في جوٍّ من الاحترام المتبادل والمصالح المتبادلة، في ضوء تعاليم الإسلام ومصالحنا الوطنية؛ ولا ترغب في التدخّل في شؤون الآخرين، كما لا تسمح لأحد بالتدخّل في شؤونها. والإمارة الإسلامية تطمئن العالم بأنّها لا تسمح لأحدٍ باستخدام أراضيها ضدّ الآخرين، وكذلك تُعلن للجميع أنّها تحترم جميع القوانين والمواثيق العالمية في ضوء تعاليم الدّين الإسلامى ومصالحنا الوطنية). أ.هـ.[١٩٢]

---

١٩٠ منتدى المنبر الإعلامي الجهادي (mnbr.info) بعنوان: رسالة تهنئة أمير المؤمنين حفظه الله حول افراج القادة الجهاديين من معتقل غوانتانامو

١٩١ موقع صوت الجهاد (shahamat-arabic.com) بعنوان: بيان حول افتتاح مكتب سياسي لإمارة أفغانستان الإسلامية في دولة قطر.

١٩٢ موقع صوت الجهاد بعنوان: بيان أمير المؤمنين الملاّ محمد عمر المجاهد بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك لعام ١٤٣٣ هـ.

كذلك جاء في بيان لها في الذكرى الحادية عشرة لـ ١١ سبتمبر: (اغتناماً لهذه المناسبة، تعلن الإمارة الإسلامية للعالم بأسره بما فيه أمريكا هذا الموقف بكل وضوح : أننا لسنا تهديداً لأحد، وأيضاً لا نسمح لأحد بأن يلحق الضرر بأي أحد من أراضينا؛ والدفاع عن حريم بلادنا وتحكيم النظام الإسلامي فيه، نعده من حقنا الشرعي والقانوني ومن أجل الحصول على هذا الحق نواصل جهادنا ومبارزتنا الشرعية ضد جميع المحتلين وفي تحقيق هذه الأمنية المباركة بحول الله نحن على يقين راسخ بانتصارنا و هزيمة عدونا). أ.هـ.[١٩٣]

وجاء في بيان لها حول افتتاح مكتبٍ سياسي في دولة قطر: (إن إمارة أفغانستان الإسلامية، بجانب جهودها العسكرية، لها أهداف واستراتيجية سياسية تتعلق بأفغانستان وحدها؛ وإنها لا تنوي الإضرار بالآخرين، ولا تسمح لأحد أن يستخدم أرض أفغانستان لتهديد أمن الدّول الأخرى، لأنها تريد في ظل الإحترام المتبادل قيام علاقات حسنة مع جميع دول العالم، وبالأخصّ مع دول الجوار، كما تريد العدل والسّلام، لا لبلادها فحسب، بل للعالم بأجمعه). أ.هـ.[١٩٤]

وجاء في بيان تهنئةٍ لها بمناسبة عيد الفطر المبارك لعام ١٤٣٠هـ: (إن إمارة أفغانستان الإسلامية تؤمن بإقامة علاقات ثنائية ايجابية مع جميع الدول المجاورة في إطار من الاحترام المتقابل، و تريد فتح باب جديد للتعاون الشامل معها في مجالات التنمية الاقتصادية و حسن الجوار؛ إننا نعتبر المنطقة كلها بمثابة بيت واحد في مقاومتها للاستعمار، ونريد أن نقوم بدورنا الإيجابي في استقرار الأوضاع في المنطقة؛ ونطمئن جميع الدول بأنّ الإمارة الإسلامية —بصفتها قوة تدرك مسؤولياتها وصلاحياتها— كما أنها لا تسمح لأحد أن يتدخل في شؤونها، فهي أيضا لا تتدخل في شؤون الآخرين). أ.هـ.[١٩٥]

وليس هذا جميع ما قرأته من البيانات، ورأيت في جميعها مدى عمق الخطأ المنهجي للحركة، ولا أرى حقيقةً —إذا ثبت ما قرأته من البيانات— أنّ هذه جماعةٌ مجاهدة، دع عنك الخلافة وأن تكونَ هي قائدةً للمسلمين بتلك العقيدة

---

١٩٣ موقع صوت الجهاد (shahamat-arabic.com) بعنوان: بيان الإمارة الإسلامية حول الذكرى الحادية عشرة لـ ١١ سبتمبر.

١٩٤ موقع صوت الجهاد بعنوان: بيان حول افتتاح مكتب سياسي لإمارة أفغانستان الإسلامية في دولة قطر.

١٩٥ موقع المقريزي لهانئ السباعي (almaqreze.net) بعنوان: بيان أمير المؤمنين (الملا عمر) بمناسبة عيد الفطر السعيد

المعتلّة حقّا؛ والحقّ أنها لا تريد قيادة الأمة أصلا، وما خرج القول بخِلافتها إلا بعد أن أعلنت الدّولة الإسلامية ــ أعزّها الله ــ قيام الخلافة؛ فلم يكن ذاك القول إلا ردّا على الدولة الإسلامية... فليكن ذلك واضحا!

وأريد أن أُنبّه المسلمين إلى أنّ حركة الإخوان كانت في بدايتها على خير كبير، لكنّها كانت تحتضن أخطاء كهذه في بطنها؛ فما لبثت الحركة بعد البنّا رحمه الله أن بدأت تنحرف شبرا بعد شبر. فانظروا إلى منهج طالبان يا إخوة؟ ما هذه الدولة التي يبحثون عنها؟ إنّها دولة مدنية (تجمع وتفرّق على أساس الوطن) معترَفةٌ من قِبَل الأمم المتّحدة، وهذا أبعد ما يكون عن الدولة الإسلامية التي لا تعطي الكافرين إلا ثلاث: الإسلام، أو الجزية، أو السيف.

ولا أكذِب عليكم إذا قلت بأنني لا أستبعد أن تندمج طالبان في حكومة مشتركة مع إدارة كابل، كما فعل الإخوان، وكما فعل قسم كبير من المحاكم الإسلامية في الصومال بقيادة شريف أحمد حين أخذوا مقاعدهم في البرلمان، وتركوا شرع الله. واعلم أنّ ذاك التحوّل لم يكن طارئا على جماعة شريف، بل كانوا يصرّحون بشيء كبيرٍ منه، كما تصنعه طالبان.

والقاعدة على أمر طالبان، فالانحراف في منهج طالبان هو انحراف في منهج القاعدة، وقد بدأت تمشي نحو ذاك الإنحراف ببطء، فإنّ المتطلّع على أخبار الشام اليوم، يعرف أنّ جبهة النصرة تتحالف مع أقوامٍ يأخذون أموالهم علانيةً من حكومات الطاغوت في الخليج.

قد يقول قائل: كيف خفيَ هذا الإنحراف من قادة الجهاد الذين قضوا نحبهم وأثنوا على الإمارة (كالشيخ أسامة تقبّله الله)؟ أقول: لا أدري. قد يكون الأمر أنّ هذا الإنحراف خرج بعد استشهادهم، والله أعلم بكلّ شيء. فهناك رعيلٌ من القيادات الصلبة الفريدة في القاعدة، استشهدوا جميعا في أيام متقاربة، كالشيخ أسامة، وأبو يحيى الليبي، وعطية الله الليبي؛ وما أن رحلوا، حتى بدى الإنحراف في كلٍّ من طالبان والقاعدة.

ولا يظنّن أحدٌ أنّي عندما أنقل هذه البيانات، أنّي أنقلها فَرِحًا ومُشمِتًا على القوم؛ لا والله، فأنا لا فرق عندي بين الناس إلا بالمنهج، وما هذه الورقات إلا محاولة بسيطة مني لتصحيح بعض الأمور الخاطئة، والله وليّ التوفيق. أسأل الله تعالى بكلّ أسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يهدي طالبان والقاعدة، ويهدينا؛ وأن يحميهم ويحمينا من الإنحراف عن الطريق، إنّه ولي ذلك والقادر عليه. آمين!

الردّ على من يقول بأن الدولة الإسلامية تابعةٌ لتنظيم القاعدة

لقد انحلّ تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، الذي كان يترأّسُه الشيخ أبو مصعب الزرقاوي ثم الشيخ أبو حمزة المهاجر رحمهما الله، في دولة العراق الإسلامية، وبايع أبو حمزة المهاجر أميرَ الدّولة الإسلامية في العراق (أبو عمر البغدادي). فهل يُعقَل أن يكون فرعُ القاعدة قد بايع الدولةَ علنًا، ثم تكونُ الدّولةُ قد بايعت فرعَ القاعدة سرّا، هذا لا يصحّ. الصحيح من الأمر هو أنّ اسم "القاعدة" قد انتهى من العراق بعد إعلان "دولة العراق الإسلامية"، وأصبحت الدّولة كيانًا مستقلا لا يأخذ الأوامر من أحد. وهذا هو ما يقرّره الشّيخ الظواهري هداه الله في لقاءٍ له مع مؤسسة السّحاب، قال: (أولًا أودّ أن أوضح أنه ليس هناك شيءٌ الآن في العراق اسمه القاعدة، ولكنّ تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين اندمج بفضل الله مع غيره من الجماعات الجهادية في دولة العراق الإسلامية حفظها الله، وهي إمارة شرعيّة تقوم على منهج شرعيّ صحيح، وتأسّست بالشّورى، وحازت على بيعة أغلب المجاهدين والقبائل في العراق). أ.هـ.[١٩٦] وقال في لقاء آخر: (الدولة خطوةٌ في سبيل إقامة الخلافة أرقى من الجماعات المجاهدة، فالجماعات يجب أن تبايع الدولة وليس العكس، وأمير المؤمنين أبو عمر البغدادي –حفظه الله– من قادة المسلمين والمجاهدين في هذا العصر، نسأل الله لنا وله الاستقامة والنصر والتوفيق). أ.هـ.[١٩٧]

---

١٩٦ إصدار مؤسسة السحاب بعنوان: لقاء السحاب الرابع مع أيمن الظواهري–قراءة للأحداث.
يوجد مفرّغا بعنوان: لقاء السحاب الرابع مع الشيخ أيمن الظواهري –قراءة للأحداث.

١٩٧ اللقاء المفتوح، الحلقة الثانية. يوجد مفرّغا في منبر التوحيد والجهاد بعنوان: اللقاء المفتوح مع الشيخ أيمن الظواهري –الجزء الثاني.

الردّ على من تجاهل القُرشيّة كشرطٍ في الولاية العامّة

لقد انعقد اجماع المسلمين على أنّ خليفةَ المسلمين يجب أن يكون من قريش، وحكى غيرُ واحدٍ من أهل العلم الإجماعَ على هذا، وقد تواترت الأحاديث التي تدلّ على عدم جواز تقدّم قريشٍ في الإمامة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: (النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ، مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ).[١٩٨] وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: (لاَ يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ).[١٩٩] وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلّم قال: (الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقٌّ، وَلَكُمْ مِثْلُ ذَلِكَ؛ مَا إِذَا اسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا، وَإِذَا حَكَمُوا عَدَلُوا، وَإِذَا عَاهَدُوا وَفَّوْا؛ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ).[٢٠٠]

يقول الإمام أحمد رحمه الله في رواية الإصطخري: (الخِلَافَةُ فِي قُريشٍ مَا بَقِي مِنَ النَّاسِ اثنَانِ، لَيسَ لِأحَدٍ مِنَ النّاسِ أَن يُنَازِعَهُم فِيهَا، وَلَا يَخرُجَ عَلَيهِم، وَلَا نُقِرُّ لِغَيرِهِم بِهَا إِلَى قِيَامِ السَّاعَة). أ.هـ.[٢٠١]

ويقول النووي رحمه الله عند شرحه لحديث " النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ": (هَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَأَشْبَاهُهَا، دَلِيلٌ ظَاهِرٌ أَنَّ الْخِلَافَةَ مُخْتَصَّةٌ بِقُرَيْشٍ، لَا يَجُوزُ عَقْدُهَا لِأَحدٍ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَعَلَى هَذَا انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ، فَكَذَلِكَ بَعْدَهُمْ؛ وَمَنْ خَالَفَ فِيهِ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، أَوْ عَرَّضَ بِخِلَافٍ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَهُوَ مَحْجُوجٌ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ؛ قَالَ الْقَاضِي: اشْتِرَاطُ كَوْنِهِ قُرَشِيًّا هُوَ مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ كَافَّةً). أ.هـ.[٢٠٢]

---

١٩٨ صحيح البخاري، ص ٤\١٧٨، ح رقم ٣٤٩٥.
صحيح مسلم، ص ٣\١٤٥١، ح رقم ١٨١٨.

١٩٩ صحيح البخاري، ٤\١٧٩، ح رقم ٣٥٠١.

٢٠٠ مسند أحمد، ص ٢٠\٢٤٩، ح رقم ١٢٨٩٩.

٢٠١ طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، ص ١\٢١.

٢٠٢ شرح النووي على صحيح مسلم، ص ١٢\٢٠٠.

ويقول الماوردي رحمه الله: (وَالسَّابِعُ، النَّسَبُ؛ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ، لِوُرُودِ النَّصِّ فِيهِ، وَانْعِقَادِ الْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ). أ.هـ.[٢٠٣] ويقول ابن العربي فيما ينسبه إلى الإمام مالك رحمهما الله: (لَا تُقَاتِلُ إلَّا مَعَ إمَامٍ عَادِلٍ يُقَدِّمُهُ أَهْلُ الْحَقِّ لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَكُونُ إلَّا قُرَشِيًّا، وَغَيْرُهُ لَا حُكْمَ لَهُ، إلَّا أَنْ يَدْعُو إلَى الْإِمَامِ الْقُرَشِيِّ؛ قَالَهُ مَالِكٌ). أ.هـ.[٢٠٤]

وعلى هذا مضى أمر السّلف والخلف: يجب أن يكون الإمام العامُّ قريشيا، وإلا، فإنّ إمامته لن تصحّ، ولن تكون خلافتُه خلافةً على منهاج النبوّة. المراد من هذا الكلام واضح، وهو: أنّنا لا نجد اليوم قائدا قريشيّا للجماعات المجاهدة، إلا أبا بكرٍ البغدادي، فهو من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلّم، من نسل الحسين ابن علي رضي الله عنه؛ فلمّا بايعه المسلمون في العراق والشام، لم نجد في خلافته ما يطعن صحتها، بخلاف غيره من القيادات، فهم ليسوا من قريش. والله أعلم بكلّ شيء.

---

٢٠٣ الأحكام السّلطانية للماوردي، ص ١\٢٠.

٢٠٤ أحكام القرآن لابن العربي، ص ٤\١٥٣.

الردّ على من اشترط اجتماع المسلمين على شخصٍ، لصحة تنصيبه كإمامٍ عام

لا يُشترَط لصحة البيعةِ أن يبايِع كلُّ أهل الحلّ والعقد، بل ذلك من الأمور المستحيلة، وليس عليها دليلٌ من كتاب الله ولا من سنة نبيّه صلى الله عليه وسلّم؛ والصحيح أنّه إذا بايع أهلُ الحلّ والعقد الذين هم أهل الشوكة في بلدة من بلاد المسلمين، كانت تلك البيعة مُلزِمةً للباقي؛ وعلى هذا مضى السّلف والخلف من الأمة.

لقد تأخّر عليٌّ عن مبايعة أبي بكر رضي الله عنهما، ولم ينتظر أبو بكرٍ مبايعةَ عليٍّ ولا مبايعةَ المسلمين الآخرين الذين كانوا يعيشون خارج المدينة (كأهل مكّة والطائف واليمن)؛ بل أمضى الأمرَ بمبايعة من كان في سقيفة بني ساعدة، ثم بمبايعة أهل المدينة فقط. يقول الجويني رحمه الله: (مِمَّا يُقْطَعُ بِهِ أَنَّ الْإِجْمَاعَ لَيْسَ شَرْطًا فِي عَقْدِ الْإِمَامَةِ بِالْإِجْمَاعِ. وَالَّذِي يُوَضِّحُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَحَّتْ لَهُ الْبَيْعَةُ؛ فَقَضَى وَحَكَمَ، وَأَبْرَمَ وَأَمْضَى، وَجَهَّزَ الْجُيُوشَ، وَعَقَدَ الْأَلْوِيَةَ، وَجَرَّ الْعَسَاكِرَ إِلَى مَانِعِي الزَّكَاةِ، وَجَبَى الْأَمْوَالَ، وَفَرَّقَ مِنْهَا، وَلَمْ يَنْتَظِرْ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ انْتِشَارَ الْأَخْبَارِ فِي أَقْطَارِ خِطَّةِ الْإِسْلَامِ، وَتَقْرِيرِ الْبَيْعَةِ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا فِي بَلَدَةِ الْهِجْرَةِ). أ.هـ.[٢٠٥]

جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها (والحديث طويل) قالت: (وَكَانَ لِعَلِيٍّ مِنَ النَّاسِ وِجْهَةٌ، حَيَاةَ فَاطِمَةَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتِ اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ وُجُوهَ النَّاسِ، فَالْتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ بَايَعَ تِلْكَ الْأَشْهُرَ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ: أَنِ ائْتِنَا وَلَا يَأْتِنَا مَعَكَ أَحَد... إلى آخر الحديث).[٢٠٦]

يقول النّووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: (أَمَّا الْبَيْعَةُ، فَقَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ لِصِحَّتِهَا مُبَايَعَةُ كُلِّ النَّاسِ، وَلَا كُلِّ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعِقْدِ، وَإِنَّمَا يُشْتَرَطُ مُبَايَعَةُ مَنْ تَيَسَّرَ إِجْمَاعُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ وَوُجُوهِ النَّاسِ؛ وَأَمَّا عَدَمُ الْقَدْحِ فِيهِ—أي في عليّ—، فَلِأَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى الْإِمَامِ، فَيَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ وَيُبَايِعَهُ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُهُ إِذَا عَقَدَ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ لِلْإِمَامِ، الِانْقِيَادُ لَهُ). أ.هـ.[٢٠٧]

---

٢٠٥ غياث الأمم في التياث الظلم، ص ١\٦٧.

٢٠٦ صحيح مسلم، ص ٣\١٣٨٠، ح رقم ١٧٥٩.

٢٠٧ شرح النووي على صحيح مسلم، ص ١٢\٧٧.

ولقد تأخّر أهلُ الشّام بعد قتلِ عثمان عن مبايعة عليّ رضي الله عنهما، وكذلك جملةٌ من أجِلّاء الصحابة وفُضلائهم رضوان الله عليهم أجمعين؛ لكنّ هذا لم يطعن في صِحة خلافة عليّ، فقد أجمع المسلمون سلفًا وخلفا على صحة خِلافته رضي الله عنه، ولم يُجادل أحدٌ في ذلك؛ والأحاديث التي تكلّمت عن الفتنة بين الطائفتين العظيمتين من المسلمين، تدلّ على أنّ الحق كان مع عليّ، ولم يكن مع معاوية، رضي الله عنهما؛ وهذا يدلّ على أن الخِلافة قد انعقدت لعليٍّ حقّا؛ فإذن، الخلافة تنعقد من دون اجماع المسلمين، بل تنعقد من دون إجماع أهل الحل والعقد، فتصحّ بمبايعة من لهم شوكةٌ من أهل الحلّ والعقد في أيّة بلدةٍ من بلدان المسلمين، وتكون بيعتُهم مُلزِمةً لباقي المسلمين؛ فمبايعة أهل المدينة فقط، أثبتت الخلافة لعليّ رضي الله عنه، فما إن تمت له المبايعة (ولم يكن في الدنيا خليفةٌ غيره عندئذ)، حتى أصبح هو الخليفة الوحيد المعتبر.

يقول ابن حزم رحمه الله: (أما من قَالَ أَن الْإِمَامَة لَا تصحّ إِلَّا بِعقد فُضلاء الْأمة فِي أقطار الْبِلَاد، فَبَاطِل، لِأَنَّهُ تَكْلِيف مَا لَا يُطَاق، وَمَا لَيْسَ فِي الوسع، وَمَا هُوَ أعظم الْحَرج؛ وَالله تَعَالَى لَا يُكَلف نفسًا، وَقَالَ تَعَالَى {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}، وَلَا حرج وَلَا تعجيز أَكثر من تعرف إِجْمَاع فضلاء من فِي المولتان والمنصورة، إِلَى بِلَاد مهرَة، إِلَى عدن، إِلَى أقاصي المصامدة بل طنجة، إِلَى الأشبونة، إِلَى جزائر الْبَحْر، إِلَى سواحل الشَّام، إِلَى أرمينية وجبل القبج، إِلَى اسينجاب وفرغانة واسروسنه، إِلَى أقاصي خُرَاسَان، إِلَى الْجَوْز جَان، إِلَى كابل المولتان، فَمَا بَين ذَلِك من المدن والقرى؛ وَلَا بُد من ضيَاع أُمُور الْمُسلمين قبل أَن يُجمَع جُزْءٌ من مائَة جُزْء من فضلاء أهل هَذِه الْبِلَاد، فَبَطل هَذَا القَوْل الْفَاسِد، مَعَ أَنه لَو كَانَ مُمكنا، لما لزم، لِأَنَّهُ دَعْوَى بِلَا برهَان). أ.هـ.[٢٠٨]

كيف يمكن للملايين من رموز المسلمين أن يجتمعوا على رجلٍ واحدٍ في وقت واحد، وهم يملكون كل هذه الأفكار والآراء المتباينة؟ فكرةُ الخلافة كانت نظريةً فقط لعقودٍ من الزمن، وتحتاج إلى تحريكٍ جِدّيٍ في أوّل أمرها؛ والحقُّ هو أنّ اشتِراط مثل هذه الأمور (شبه المستحيلة) لقيام دولة الأمّة، قد أَسهَمَ كثيرا في تأخُّرها.

ولقد صدق الشيخ أبو محمد العدناني حفظه الله، حين قال: (لم يُجمِعوا على أمرٍ يومًا، ولن يُجمعوا على أمر أبدًا إلا مَن رحم الله؛ ثم إنّ الدّولة تجمع مَن أراد الاجتماع). أ.هـ.[٢٠٩]

---

٢٠٨ الفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام ابن حزم، ص ١٢٩\٤.

٢٠٩ كلمة الشيخ أبي محمد العدناني، الذي أصدرته مؤسسة الفرقان عند إعلان الدولة الإسلامية لقيام الخلافة، بعنوان: هذا وعد الله.

مناقشة البيعات التي أعطاها بعض التنظيمات الجهادية لجماعة قاعدة الجهاد، ومدى صحة تلك البيعات

هناك أمرٌ يمرّ على كثيرٍ منّا دون إدراك، وهو أنّ تنظيم القاعدة ليس تنظيما مستقلّا، وإنّما هو تابعٌ لحركة طالبان (أو لإمارة أفغانستان الإسلامية)، وهذا حسب ما يقول به أيمن الظواهري. فالسؤال الذي يُخرِجُ نفسَه هو، ما مدى صِحَة هذه البيعات التي توالت من بعض التنظيمات الجهاديّة للشيخ أُسَامة رحمه الله أولا، ثم للشيخ أيمن الظّواهري هداه الله ثانيا؟ هل كانت بيعةً للملا عمر، وإن لم تكن، هل تصح بيعة الجندي (الجماعة المبايِعة) لجنديّ آخر (القاعدة)؟

أولا عندما أقول أنّ تنظيم القاعدة تابعٌ لطالبان، لا أقول ذلك من نفسي، بل ذاك ما يقرّره الشيخ الظواهري نفسه في اللقاء المفتوح مع مؤسسة السحاب، قال: (الملا محمد عمر حفظه الله هو أمير الإمارة الإسلامية في أفغانستان ومن انضم إليها من المجاهدين، والشيخ أسامة بن لادن حفظه الله هو أحد جنوده؛ أما أمير المؤمنين في العالم، فهو إمام دولة الخلافة، التي نسعى، ويسعى كل مسلم صادقٍ لإعادتها بإذن الله). أ.هـ.[٢١٠]

ثانيا، يجب أن نعرف ما هي حقيقة البيعة التي أعطاها بعض المجاهدين لتنظيم القاعدة؟ على ماذا تبايع الفريقان؟ يجب أن نفهم أنه ليست كلّ بيعةٍ تحمل معنى الإمامة العامّة، لأنّ البيعة في الأصل هي عبارةٌ عن المعاقدة والمعاهدة على شيء (مهما يكن)، والحكم يأتي بعد معرفة الأمر المتعاقَد عليه.

هناك أربع احتمالات لحقيقةِ البيعة التي تمّت بين الجماعات المجاهدة، وبين قيادات تنظيم القاعدة:

١- أنهم بايعوه على أنّه هو الإمام العامّ؛
٢- أنهم بايعوه بيعة تحزّبٍ وتعصّب، فلا هم يرونه إماما، ولا هم يرون بيعته منتهيةً عند وجود الإمام العام؛
٣- أنهم بايعوا أمير القاعدة وهمًا، لكنّهم كانوا يبايعون الملّا عمر في الحقيقة، بيعةَ إمامةٍ وخلافة؟
٤- أنهم بايعوا أميرَ القاعدة بيعةَ تعاونٍ على الجهاد إلى أن يأتي الإمام العام؛

الصحيح من الاحتمالات، هو الأخير؛ لذلك، سنبدأ بالاحتمال الأول، فندحره، ثم الثاني، ثم الثالث، حتى يكون الاحتمال الوحيد الباقي، هو الأخير.

---

٢١٠ اللقاء المفتوح للشيخ أيمن الظواهري، الحلقة الثانية؛ ويوجد مفرّغا في منبر التوحيد والجهاد، بعنوان: اللقاء المفتوح.

لم تُبَايِع الجماعاتُ المجاهدةُ أميرَ تنظيمِ القاعدة على أنّه هو الإمام العام؛ وهذا هو ما يقوله الشيخ عطيّة الله الليبي في كلامه الذي نقلناه سابقا؛ يقول رحمه الله وأسكنه فسيح جنّاته: (والقاعدة هي جماعة من الجماعات الإسلامية المجاهدة، البيعةُ فيها مبنيةٌ على الاختيار والشّرط، وعلى قاعدة مشروعيّة التّعاهد بين المسلمين لأداء التكاليف الشّرعية، لا على التحريج والتضييق والإلزام بأصل الشرع، فهي ليست إمامةً عظمى حتى لا يجوز لرجلٍ يؤمن بالله واليوم الآخر يبيت ليلتين إلا وهو يراها (القاعدة) إماماً على نفسه)؛ أ.هـ.؛[٢١١] فهذا النصّ يُخبِرُ بأنّ البيعة للقاعدة لم تكن بيعة إمامةٍ كبرى، بل كانت بيعةَ تعاونٍ على عبادة الجهاد، إلى أن يأتي الإمام العام.

ولم تُبايِع الجماعات المجاهدة أمير القاعدة على أنّه أميرٌ على جماعتهم بيعة تحزّبٍ وتعصّب، من دون التطلّع إلى الخلافة الكبرى وتوحيد صفّ المسلمين، فلا هم يرونه إماما عامًّا للمسلمين، ولاهم يرون بيعته منتهيةً عند وجود الإمام العام. هذا الإحتمال يتضمّن ذنبًا عظيما لما فيه من إهمالٍ للنّصوص المتواترة الدّاعية إلى توحيد صفّ المسلمين، ونحن نُبرّء إخوتنا المجاهدين من أن يكون هذا مبدئُهم، فهم من صفاء المنهج بمكان (نسأل الله لنا ولهم التوفيق).

أما أنهم كانوا يبايعون طالبان عَبرَ القاعدة، فهذا وَهْمٌ ليس عليه دليل؛ ولم تقبل طالبانُ ببيعة، ولم ترسل جيشًا لأحد، ولم تبسط نفوذا على أحد، ولم تعيّن ولاةً وقضاةً على أحد، ولم... ولم... وقد تكلّمتُ عن هذا سابقًا عند الردّ على الذين قالوا بأنّ طالبان هي الخلافة، فراجِعُوا الصّفحات السابقة.

لهذا، يكون الاحتمال الأخير هو الوحيد الباقي؛ ويؤيِّدُه كلام شيوخ التنظيم (قديما وحديثا)، ككلام الشيخ عطيّة الذي سبق ذِكرُه. وعلى أساس ذلك، تكون بيعة المجاهدين لتنظيم قاعدة الجهاد، مَنُوطَةً بعدم تَواجُدِ الإمام العام؛ وفي اللحظة التي تُعقَدُ فيها الخلافةُ العامّة، وتُعلَن فيها عن الإمام العامّ، الذي يستوفي شروط الإمامة وتنتفي منه الموانع، تكون هذه البيعة قد انحلّت تلقائيّا، وتكون ذِمَمُ المجاهدين قد برئت، فلا يكونون مخالفين إذا بايعوا الإمام العام.

٢١١ الأجوبة الشاملة لأسئلة أعضاء شبكة الحسبة الإسلامية، للشيخ عطية الله الليبي رحمه الله، ص ١٣٦.

حكم نقض أفرع القاعدة بيعتَهم التي أعطوها للشيخ الظواهري

بناءً على ما أصَّلنا له في الصّفحات الماضية، نعرف أنّ بيعة المجاهدين لأيمن الظواهري (ومِن قبله أسامة رحمه الله)، كانت بيعة مؤقّتة، وتنتهي عند تنصيب الإمام العام. وقد قلت سابقا بأنّ إمامة الشيخ البغدادي كاملةٌ توفّرت فيها الشروط وانتفت فيها الموانع، ولا يشترط اجتماع المسلمين عليها. لذلك، فهي خلافةٌ صحيحة تامّة. وعلى هذا، تكون البيعة المؤقّتة التي كانت بين الجماعات الجهادية وبين قيادات تنظيم القاعدة، تكون قد انتهت بإعلان الإمام العامّ. فلا حاجة للنقض، لأنّ البيعة قد انتهت أساسا، ويستطيع المجاهدون الآن أن يبايعوا الدّولة الإسلامية.

ولعلّ هذا هو ما عناه الشّيخ العدنانيّ حفظه الله بقوله عند إعلان الخلافة: (وأما أنتم يا جنود الفصائل والتنظيمات، فاعلموا أنه بعد هذا التمكين وقيام الخلافة، بطُلت شرعيّة جماعاتكم وتنظيماتكم، ولا يحل لأحدٍ منكم يؤمن بالله أن يبيت ولا يَدِين بالولاء للخليفة). أ.هـ.[٢١٢]

دولة العراق الإسلامية كانت نواة الخلافة على ألسنة قادة المجاهدين

على الرغم من بعض التفاجؤ الذي نراه من قياداتِ تنظيمِ القاعدة اليوم، وكذلك من أَفرُعِه (كالقاعدة في اليمن)، ومن بعض الجماعات المجاهدة الأخرى، إلا أنّ الجميع كان يرى دولةَ العراق الإسلامية (التي سبقت دولة الخلافة هذه) بأنّها هي نواةُ الخلافة، وأنها الطريق إلى بيت المقدس بإذن الله، ولم يكن في هذا الرأي خلافٌ على الإطلاق. فما الذي تغيّر في الدّولة الإسلاميّة، ليتغيّر عنها رأي القادة يا تُرى، حتى بلغ الأمر بالبعض بالقول بأنها دولةُ خوارج؟

يقول الشيخ القائد المجدّد أسامة ابن لادن رحمه الله وأسكنه فسيح جنّاته: (فإنّ السّعي لإقامة جماعةِ المسلمين الكبرى، يتعيّن على آحاد المسلمين والمجاهدين، وذلك بأن يُبَايِعوا أكثر الطوائف التزاماً بالحق، واتصافاً بالصدق؛ قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ. وإن من يراقب حملات الكفر العالمي و المحلي، يرى أنها تستهدف بالدرجة الأولى، دولة العراق الإسلامية؛ فأمريكا تُسَيِّر حملاتٍ إثر حملات، تُكرَّر على المدينة الواحدة مرّات ومرّات، بل هناك حملةٌ مستمرّة منذ ستة أشهر على ديالى كلها، وكذا على الموصل وصلاح الدين، وحملات من

---

٢١٢ كلمة الشيخ أبي محمد العدناني عند إعلان الدولة الإسلامية العامّة (الخلافة)، بعنوان: هذا وعد الله.

الجيش والحرس الوطني والشرطة، وحملات أخرى من مليشيات الصّدر والحكيم، فضلاً عن استهداف جميع دول الجوار بدون استثناء لدولة العراق الإسلامية، ناهيك عن صحوات الضِّرار، وأحزاب وجماعات الضرار، بقيادة من خان الملة والأمة طارق الهاشمي؛ وبعد هذه وتلك، حملاتٌ إعلاميةٌ لتشويه دولة العراق الإسلامية، والتي يتولى كبرها حكّام الرّياض وعلماؤهم وإعلامهم؛ وما أحسب كلّ هذه الحملات الشّرسة على المجاهدين في دولة العراق الإسلامية، إلا لأنّهم من أكثر النّاس تمسّكاً بالحق، والتزاماً بمنهج رسول الله صلى عليه وسلم، والذي قال له ورقة ابن نوفل: "ما جاء رجلٌ قطّ بمثل ما جئت به إلا عودي"). أ.هـ. [٢١٣]

ويقول الشيخ أنور العولقي رحمه الله تعالى: (إنّ الإعلان عن إقامة الدّولة الإسلامية في العراق، في بغداد، عاصمةِ الخلافة العباسية، مع كون الرئيس الحالي للدولة من سلالة حسين بن علي رضي الله عنه، يحمل الكثير من الأهمية). ثم قال: (إنّها تمثّل تحرك الفكرة (فكرة الخلافة) من عالم النظريات، إلى الحياة الحقيقية؛ فكرة تأسيسِ حكمِ الله وإقامة خلافةٍ إسلاميةٍ على الأرض، لم تَعُد بعد اليوم كلاما، بل أصبحت فعلا! وهذا الأمر هو انعكاسٌ لحقيقةِ أنّ المجاهدين اليوم، لن يقوموا بالعمل ويخوضوا المعارك، فقط ليسمحوا لشخصٍ آخر بِجَنْيِ ثمرات جهودهم؛ قصدُهُم اليوم ليس طَرْدَ الغزاة من أرضهم، فقط ليجدوا منافقا يملئ مكانه، بل هم يملكون مشروع دولة إسلامية، يليه عودة نظام الخلافة؛ إخوتي وأخواتي، نحن على بُعْدِ خطوات من المرحلة النهائية الأخيرة من حديث النبي صلى الله عليه وسلّم: «ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»). أ.هـ. [٢١٤]

وفي لقاءٍ لمؤسسة السحاب مع الشيخ أبي يحي الليبي تقبّله الله، سأله المراسل فقال: (شيخنا أشَرْتُم فيما سبق إلى أنّ المتعين على المسلمين عموماً، والمجاهدين خصوصاً، إيجادُ موطنٍ أو دولة تكون المنطلق الأول لهم لنشر دين الإسلام في ربوع الأرض؛ فكما تعلمون، فإنّ المجاهدين في العراق قد أعلنوا عن قيام دولة العراق الإسلامية، فما هي نظرتكم لهذه الخطوة التي قام بها إخواننا هناك؟) فأجاب رحمه الله: (حقيقةً، أنا أعتبر أنّ إقدام إخواننا المجاهدين في العراق على إعلان قيام الدّولة الإسلامية، هو توفيق إلهيّ محض، وهو جزءٌ من الهداية التي تكفل الله بها لعباده المجاهدين بقوله:

---

٢١٣ كلمةٌ صوتية للشيخ أسامة رحمه الله، بعنوان: السبيل لإحباط المؤامرات. توجد مفرّغة في منبر التوحيد والجهاد بعنوان: السبيل لإحباط المؤامرات.

٢١٤ (انجليزي): معركة القلوب والعقول (Battle of the Hearts and Minds)، محاضرة مسموعة للشيخ أنور العولقي رحمه الله تعالى، وأسكنه فسيح جناته، وتقبّله في تعداد الشهداء.

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ؛ بل لا أشك أنّه من دفاع الله عن المؤمنين الذين نصروا دينه وكتابه، كما قال سبحانه وتعالى: إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ. فالجهاد في العراق قبل إعلان الدّولة، كان يسير نحو منزلقٍ خطير وقاتِل، ولكن بخُفيةٍ وتَسَتُّرٍ؛ والذي كشف هذا المنزلق، وأزاح الغطاء عن تلك الهاوية المُهلِكة، هو إعلان قيام الدولة). أ.هـ.[٢١٥]

ويقول الشيخ عطيّة الله الليبي رحمه الله عن دولة العراق الإسلامية: (وأنّ هذه الدولة هي نواةٌ–إن شاء الله–لدولة الإسلام الكبرى، والخلافة الراشدة على منهاج النبوة). أ.هـ.[٢١٦]

ويقول الشيخ أيمن الظّواهري هداه الله: (إخوتي أسود الإسلام في العراق، أنتم اليوم أمل الأمّة في الوصول لبيت المقدس ولتحرير فلسطين، فاثبتوا واصبروا وصابروا، فإنكم على ثغرٍ عظيم من ثغور الإسلام). أ.هـ.[٢١٧]

وقال أيضا: (أسأل الله أن ينصر المجاهدين في العراق، وأن يوحّد كلمتهم، وأن يثبّت أركان دولة العراق الفتية المجاهدة، وأن يسدّد خطاها، ويرشد مسيرتها، ويوفّقها لنصرة الإسلام والمسلمين، وجمع شمل المجاهدين، ونصب راية الخلافة المنتصرة في بيت المقدس، قريباً إن شاء الله). أ.هـ.[٢١٨]

وقال أيضا: (وجاء مِن بعده رفيقُه على درب الجهاد والتوحيد، أبو حمزة المهاجر حفظه الله، سعى مع إخوانه الكرام المخلصين–كما نحسبهم–، فأسسوا دولة العراق الإسلامية، فكانت بشرى للمسلمين، باقترابهم خطوةً من أكناف بيت المقدس، ومن إقامة الخلافة بإذن الله). أ.هـ.[٢١٩]

---

٢١٥ اللقاء الثاني لمؤسسة السحاب مع الشيخ أبي يحيى الليبي رحمه الله بعد نجاته من سجن باغرام. توجد مفرّغة في منبر التوحيد والجهاد، بعنوان: مجموع أبحاث ورسائل وتوجيهات الشيخ أبي يحيى الليبي – المواد المقروءة، وكذلك في منتديات البراق الإسلامية، بعنوان: نخبة الإعلام # تقدم–التفريغ الكامل للقاء السحاب الثاني–(مع الشيخ أبي يحيى الليبي).

٢١٦ كلمات في نصرة دولة العراق الإسلامية، للشيخ عطية الله الليبي.

٢١٧ إصدارٌ مرئيٌ للشيخ الظواهري، بعنوان: ست سنوات على غزو العراق. توجد مفرّغة في شبكة الجهاد العالمي بعنوان: نخبة الإعلام الجهادي # تقدم # تفريغ [ست سنوات على غزو العراق –للشيخ/ أيمن الظواهري].

٢١٨ إصدارٌ مرئيٌ للشيخ الظواهري، بعنوان: نصيحة مشفق. توجد مفرّغة هنا:
up1430.com/central-guide/pencil/elit/dump/database3_html/2/index.php

فما الذي تغيّر الآن

أما الدولة الإسلامية، فلا والله ما تغيّرت، وكلّ المنصفين يعرفون هذا. أما تنظيم القاعدة، فلقد حدث تغيّرٌ جذري في موقفه تجاه حكومات الردّة في الخليج، بعد استشهاد الشيخ أسامة رحمه الله؛ ويكفي دلالةً على هذا التغيّر، تحالفُ جبهةِ النصرةِ (التي هي فرع القاعدة في الشام) مع جماعاتٍ تدعمهم دُولُ الخليج علانية، كالسعودية وقطر. والحقّ يقال: ليسوا سواءا، فهناك من أفرع القاعدة من سَلِموا من الإنحراف، كحركة الشباب المجاهدين في الصومال؛ فلحدّ هذه الكتابة، لم يُغيّرِ "الشبابُ" موقفهم من حكومات الردّة، كما لم يتسرّب إليهم مبدأ الوطنية، بخلاف جبهة النصرة مثلا، التي تأخذ خطوةً بعد خطوة تجاه هذا السُمّ القاتل، سُمِّ الوطنية. أسأل الله أن يهديهم ويهدينا، وأن يجمعنا جميعا تحت راية التوحيد الخالصة.

وهناك أمرٌ آخر:

إنّ التفاجؤ الذي يحصل لبعضٍ من المجاهدين حيال إعلان الخلافة، هو أمرٌ متوقَّع، وقد يكون من جنس ما حصل لعليّ ابن أبي طالب–رضي الله عنه–عندما بايع الناسُ لأبي بكر–رضي الله عنه–، وتأخّر هو عن البيعة؛ فلمّا أراد أن يُبايِع، أرسل إلى أبي بكر أن يأتيه؛ فلمّا أتى، تشهّد عليّ، ثمّ قال: (إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ وَمَا أَعْطَاكَ اللهُ، وَلَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ خَيْرًا سَاقَهُ اللهُ إِلَيْكَ؛ وَلَكِنَّكَ اسْتَبْدَدْتَ عَلَيْنَا بِالْأَمْرِ، وَكُنَّا نَحْنُ نَرَى لَنَا حَقًّا، لِقَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ)... (فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ).[٢٢٠]

لذلك، فأنا أرى أن القاعدة (لِما لها من سَبْقٍ في الجهاد)، كانت ترى لها في الأمر نصيبا؛ فلمّا أعلنتِ الدّولةُ الإسلاميّة الخلافة، شعرت بأنّ الدّولة قد استبدّت بالأمر؛ وهذا الشّعور مقبولٌ، إلا أن يحمل صاحبه على ارتكاب معصية، ومن ذلك عدم طاعة خليفة ليس في إمامته ما يَطعن. فشعور علي رضي الله عنه كان مقبولا، ولم يحمله ما شعر من بعض الإستبداد على أن ينكر خلافة أبي بكر رضي الله عنه؛ بل بايع. وهكذا يجب أن تكون القاعدة.

---

٢١٩ إصدارٌ مرئيٌ للشيخ الظواهري، بعنوان: نصيحة مشفق. توجد مفرّغة هنا:
up1430.com/central-guide/pencil/elit/dump/database3_html/2/index.php

٢٢٠ صحيح مسلم، ص ٣\١٣٨٠، ح رقم ١٧٥٩.

والدّولة لم تستبدَّ بالأمر، فقد طلب المتحدّث باسمها أن يجتمع الناسُ على رجلٍ، لكنّ الجماعات المجاهدة لم يستجيبوا لها، فأعلنتِ الخلافة؛ وما أدراني إن كان الأمراء قد تواصلوا فيما بينهم فرفضوا عليها مطلبها؟! على كلّ الأحوال، ليس هذا موضعا لتفصيل هذا؛ المهمّ أن يقبل المجاهدون بالواقع، فالأمر بيد الله، يُعطيه من يشاء؛ وكما راجعَ عليٌّ رضي الله المعروفَ وبايعَ أبا بكرا، كذلك يجب على القاعدة أن تُراجِعَ المعروف وتُبايع الدّولة؛ فالدولةُ الإسلامية لها سبقٌ في الجهاد لا ينكره إلا الذي جَهِلها، واليوم، قد ساقَ الله هذا الأمر إليها؛ فإنْ كانَ الكلُّ قد جاهدَ من أجل الله (وليس من أجل السّلطان)، فلا يحملنّا حبّ الأمر على ارتكاب المحرّمات.

وأَختِمُ بكلمات للشيخ أسامة رحمه الله، تُكتَب بماء الذهب، يُنَبِّهُ فيه إلى مثل هذا الأمور. فكلمة الشيخ المعْنونَة ب"السبيل لإحباط المؤامرات"، تحتوي على جمع غفير من النصائح العظام للأمّة، أسأل الله أن يتقبّل الشيخ الحبيب.

قال رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى: (ولقد سمع المسلمون بأنّ بعض الأخوة من الأمراء والعلماء في بعض الجماعات المجاهدة، قد وَجدُوا في أنفسهم، إذ أُبرِمِ الأمرُ ولم يحضروه، وقُضِيَ ولم يشهدوه؛ فأقول، إنّ وَجْدَ هؤلاء لاحرج فيه، وإن لم يغضبوا فذاك السبيل، بسبب الأوضاع الأمنيّة الصعبة، مما يُعسِّر الحركة والاتصال بين الإخوة؛ مع العلم، إنّ إخوانكم ذكروا أنهم راسلوكم، وانتظروكم لمدّةٍ تقرب من شهرين، حتى لايبرم الأمر إلا بحضوركم فما تيسّر مجيئكم؛ وإن بعضَ خيار الصحابة قد وجدوا في أنفسهم عندما قضي الأمر يوم سقيفة بني ساعدة، دون مشاورتهم رضي الله عنهم؛ إلا أني أَذكُرُ في المقابل بأن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة ومن معهم رضي الله عنهم، لم يكن دافعهم الرّغبة في أن يستأثروا بالأمر، أو الافتئات على المعنيين به، بل كان هناك من الظروف و الملابسات التي لا تخفى، والتي دفعتهم إلى أن يتعجّلوا بالأمر قبل مشاورة بقية المعنيين به، رضي الله عنهم أجمعين، خشية الفتنة وتفريق الكلمة؛ ثم إن الذين وجدوا في أنفسهم، لم يلبثوا أن بايعوا أبابكر بعد مدة، ولم تُنقَض البيعة، فتدبّر). أ.هـ. [٢٢١]

وقال: (والمقصود والمطلوب شرعاً: اعتصام المسلمين بحبل الله، واجتماعهم تحت أمير واحد لإقامة دين الله ونصرته؛ ومعلوم أنّ هذا الأمر يجب المسارعة في إقامته، فهو واجب من أعظم الواجبات في دين الله تعالى؛ قال الله عز وجل: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾). أ.هـ.

---

٢٢١ كلمةٌ صوتية للشيخ أسامة رحمه الله، بعنوان: السبيل لإحباط المؤامرات. توجد مفرّغة في منبر التوحيد والجهاد بعنوان: السبيل لإحباط المؤامرات.

ثم قال: (ثم إني أقول: إن الذين وجدوا في أنفسهم بسبب عدم مشاورتهم—إن كان لهم همة ورغبة في توحيد كلمة المسلمين—فوَجْدُهُم لا حرجَ فيه كما سبق ذكره؛ وأمّا إن كانوا يُصَرّحون بأنّ الوقت غير مناسب، ويُأَخِّرون حكمَ الله تعالى، وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم، بآرائهم طِيلة هذه السنوات، فهؤلاء وَجْدُهُم غير مبرّر، وما ينبغي انتظارهم وتعطيل أمور الدين). أ.هـ.

وقال: (ورغم أهمية الشورى في الإمارة، والنصوص في ذلك واضحةٌ بينة، وقول عمر رضي الله عنه في ذلك لا يخفى، إلا أنّ أمر اجتماع الكلمة على الأمير، مُقدَّمٌ عليها إذا تعذر استيفاؤها من جميع المعنيين بها، كما لو تكرّرت ظروفٌ شبيهةٌ بظروف السقيفة؛ ولو أنّ الإمارة لا تتم في مثل ذلك الحال، إلا بعد مشاورة جميع من يعنيهم الأمر، لما أقدم عمر على مبايعة أبي بكر دون استيفاء المشاورة، ولما قَبِل أبو بكر أن يبسط يده لقبول البيعة، ولما أقدم جُلُّ الصحابة على مبايعته رضي الله عنهم أجمعين). أ.هـ.

وقال رحمه الله: (ويصعب على كثير من الناس أن يُقَدِّروا مصلحة الجهاد و الأمة إذا كانوا هم طرفاً في تلك المعادلة، فـتَـتَـلبّس على القائد أو الأمير الأمور العامّة بالخاصة، ويعتقد أنّه هو وحزبه، أفضل من يقود عموم المجاهدين لنصرة الدين؛ ومن هنا يزداد تمسّكه بالإمارة، وتتضخّم عنده أخطاء غيره من القادة والأحزاب، ولا يرى أخطاء نفسه وحزبه؛ فبمثل هذه الحالة، يكون هو المدعَى عليه، وفي نفس الوقت هو القاضي، فلا يستطيع أن يحكم على نفسه بوجوب اعتزال الإمارة والتنازل لصالح أمير آخر قد يجتمع عليه معظم المسلمين؛ وحالهم في هذه المصيبة كحال الملوك والرؤساء في بلادنا. وعند التدبّر في اعتراضاتهم وأعذارهم، يتبين أنها لا تنهض لتأخير اجتماع الكلمة، وأنّ معظمها تدور حول أمورٍ تحسينيّة للإمارة). أ.هـ.

وقال رحمه الله أيضا: (فينبغي على كل أخ من الأخوة المجاهدين، أن يتدبّر ويُعمِل عقله ولا يعطّله؛ وأن يفرق بين حُسن الظن بالقادة، وبين أن يكون كَيِّساً فطناً يَزِنِ الأمور والرجال بميزان الإسلام، ويترفع عن أن يكون إمَّعَةً يتّبع القادة على غير بصيرة). أ.هـ.

وقال: (خلاصة القول في هذا الأمر: يجب على الأخوة المجاهدين، ولاسيما في مجالس الشورى، ألا يستسلموا لأعذار أمراء الجماعات لتعطيل الوحدة والاجتماع، فقد يكون عندهم أعذارٌ حقيقية، ولكنّها لا تنهض بحال للحيلولة دون

الوحدة والاعتصام بحبل الله؛ فلا يستقيم عند أولي الألبَاب والنُّهَى، أن يُصِرَّ المرءُ على التّمسّك بالفرع، وإن أدى هذا إلى ضَياع الأصل، وعندها يضيع الجميع). أ.هـ.

وقال رحمه الله: (إخواني المسلمين، فكما أنّ من الواجبات العظام السّعي لتوحيد الكلمة تحت كلمة التوحيد، فإن القعود عن ذلك كبيرة من الكبائر العظام أيضاً؛ فإن الدين لا يكون كله لله، ولا تأمن السبل، ولا تُقمع الفتن، ولا يُستتب الأمن، ولا تُحبط المؤامرات، ولا ينضبط كثيرٌ ممن انضموا إلى الجماعات المجاهدة من عامة أبناء الأمة و إلى ما هنالك من أمور عظام، إلا إذا كان للمسلمين جماعةٌ وإمام؛ وإن الله ليَزَع بالسّلطان ما لا يزع بالقرآن؛ ولئن خَلَعَ ربقة الإسلام من عنقه من فارق الجماعة شبراً، فكيف يسوغ للمسلم أن يؤخر قيام الجماعة دهراً فيكون سبباً في ترك مئات الملايين من المسلمين يعيشون تحت ظل الأنظمة الطاغوتية الجاهلية وكفى بذلك فتنة في الدين؛ فإن الأمر مهمٌّ كبيرٌ خطيرٌ، ولا يجوز أن يؤخَّر، وينبني عليه علوُّ الإسلام وانتصار المسلمين في الدنيا، والفلاح والفوز في الآخرة، بإذن الله تعالى). أ.هـ. [٢٢٢]

فما أشبه الليلة بالبارحة! والله لكأنّ الشيخ يتكلّم عن الذين يختلفون على الدولة الإسلامية اليوم؛ فبعضٌ منهم، فيه حبّ الأمر والسّلطان، فيتعذّر بكلّ الأعذار الواهية خشيّة التّفريط بسلطته، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. وليسوا سواءا، ففي القوم من أخطأ، ونرجوا من الله أن يهديهم إلى سواء السبيل.

خلاصة القول

يا أخ الإسلام، أليس قيام الخلافة ما كنت تريده وتتطلّع إليه؟ أمَا كانت ستَقوم على أيدي رجالٍ ما، وتُعلَن يومًا ما، على ألسنة قومٍ ما؟ فإذا قامت اليوم على أيدي رجالٍ، شهد القاصي لهم قبل الدّاني بالتّديُّن وحنكة التّدبير، واجتمعت الدّنيا جميعًا لحربهم، وعلِمْتَ أنت عداءَ الكفّار لهم، هل يليقُ بك كمسلم ألّا تحبَّهم ولا تقومَ إلى جانبهم؟

ما بالكم يا قوم، أتريدون أن تكونوا كاليهود الذين كانوا يستفتحون برسول الله (ص) على المشركين، فلمّا خرج من العرب وليس من اليهود، أنكروه وجحدوا نبوّته، لا لشيء، إلا لأنه لم يخرج من بينهم؟

---

٢٢٢ كلمةٌ صوتية للشيخ أسامة رحمه الله، بعنوان: السبيل لإحباط المؤامرات. توجد مفرّغة في منبر التوحيد والجهاد بعنوان: السبيل لإحباط المؤامرات.

فكلامٌ إلى الصادقين من المسلمين أقول: إن الدّولة الإسلامية، التي يترأّسها أمير المؤمنين أبو بكر البغدادي القرشيّ، هي الخلافة العظمى بعينها، والبغدادي حفظه الله، هو الوحيد من قيادات المجاهدين، الذي تتوفّر فيه شروط الإمامة العظمى، وقد بويع له بيعة إمامةٍ عُظمى قبل أيِّ أَحَد، في بلدة من بلدان المسلمين، كما بُويع لأبي بكرٍ ولعليّ في المدينة. وأصبحت بيعةُ أهل العراق والشام للبغدادي اليوم، مُلزمةً لجميع المسلمين، كما كانت بيعة أهل المدينة لأبي بكر وعلي، ملزمةً لأهل الشام واليمن ومكّة وغيرهم من المسلمين الذين لم يُستَشَاروا في الأمر.

فاتّقوا الله يا عباد الله؛ ها هي الدّولة التي كنتم تَحْلُمون بها، فدونكم فانصروها! لا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثا. واعلموا يا إخوتي أنّ عَدَاءَ الصليبيين والمرتدّين والمنافقين جميعًا لهذه الدولة، يكفي دلالةً على أنها على الحق بإذن الله، فالأمر كما قيل سابقا: "إذا أردت أن تعرف الحق، فتَتَبَّعْ سِهام الكفار، تجد الحقّ هناك".

لقد بَذَلَ المجاهدون من مختلف البلدان دمائَهم، لتَحْصِيلِ ماذا؟ أليس لتحصيلِ دولةٍ إسلاميّةٍ تحكم بشرع الله؛ فعَلَامَ يَصِيْحُ بعضُ الناس بعد أو وَجَدُوا ما كانوا يَبحَثُون عنه طوال هذه السّنوات، أم أنّ الحلم أفضل عندهم من الحقيقة؟ سبحان الله؛ ما بالكم... كيف تحكمون؟ ومتى تعقلون؟

على كل الأحوال، أودّ أن أقول كلمتين هنا، إحداهما للدولة الإسلامية، والأخرى لعموم المسلمين، بما فيهم كلّ الجماعات المجاهدة، كفروع القاعدة في العالم (مثل حركة الشباب المجاهدين في الصومال)، والإمارة الإسلامية في القوقاز، وغيرهم من الجماعات المجاهدة:

يا أسود التوحيد في الخلافة الإسلامية:

اعلموا أنّ المعركة اليوم ليست كما كانت من قبل، فليس لكم إلا المُضيّ بالأمّة إلى الأمام؛ لقد انتهى وقت التراجع والانسحابات، وليس لكم إلا أن تنتصروا أو تُستشهَدوا وتَقضُوا نحبكم وأنتم على ما عاهدتم الله عليه؛ إن آمال الأمة اليوم معلّقةٌ بالله أولا، ثم بِكُم، ولئن انهزمتُم وتخاذلتُم، ليضِيعَنَّ ما أسكب المجاهدون من أجله كل تلك الدّماء، طِيلة العقود الطِوال الماضية، والسنين العِجاف الفانية... فلا يُأتَيَنّ الإسلام من قِبَلِكم، ولْتنكسِرْ مؤامراتُ العدو عليكم وأنتم واقفون صامدون ثابتون مجاهدون. اعلموا يا أحبّائي في الله، أنّكم اليوم بمكانٍ عظيم منّا، فسُدّوا ثغركم...

لا أقول لكم إلا ما قاله الأسد المجاهد (نحسبه كذلك والله حسيبه) الشيخ أبو محمّد العدناني حفظه الله: (يا جنود الدولة، اعلموا أنكم اليوم دخلتم مرحلة جديدة من مراحل الصراع؛ فقد عُدتم إلى المدن، ومسكتم الأرض، وليُقتَلْ أحدكم ألف مرة قبل أن يفكّر في الرّجوع إلى الوراء؛ إنّ المدن والمناطق التي في قبضتكم، وعلى رأسها الفلّوجة، لن تُحكَم بإذن الله بعد اليوم إلا بشرع الله، ولا مكان فيها للعلمانيين). أ.هـ.[٢٢٣]

يا أسود التوحيد في الخلافة، إنّ الله ناصركم لا محالة، فأنتم تقاتلون لتُحكِّموا شرع الله، وأعدائكم يقاتلون ليُحكِّموا البرلمان وأمم الكفر المتّحدة. إخوتي، أحسنوا الظنّ بربّكم، فوعزّته وجلاله، لن ينصر الله رافضيّا وصليبيا وعلمانيا ملحدا على أهل التوحيد. أخوتي وأحبّتي وتاج رأسي، اثبتوا ثبّتكم الله، فإنما النصر صبر ساعة. إنّ أعدائكم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون. اثبتوا أعزّكم الله!

إخوتي، إيّاكم والتبديل، فإن الله قال:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾. [الأنفال: ٥٣]. إنّ طريق الثبات على التوحيد والتمسّك بالجهاد لهو الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى جنّة ربّكم، فكونوا ثابتين على ما عاهدتم الله عليه؛ فوربّ السماء والأرض، إن الله ناصرٌ جنده وأوليائه.

أما أنتم ياءيها المجاهدون الآخرون:

اتقوا الله يا إخواني في مجاهدي الدّولة الإسلامية! والله إنكم تعلمون في قرارة أنفسكم، أنهم على الحق، ولكنّ بعضكم يجحد ويكابر؛ فالله الله في دينكم، والله الله في عقيدتكم؛ لا يأتينّكم الشّيطان من باب الحسد، فإنّه قد أتي منه إلى أقوامٍ هم أقوى وأحسن تديّنا منكم.

بايِعوا الدّولة الإسلامية، فإنها رايةٌ صافية، وفيها جميعُ ما يمكن أن يتمنّاه مجاهد. وَحِّدُوا صُفوف المجاهدين، واطردوا عن قلوبكم وساوس الشّيطان؛ لا تقولوا بأنّكم أحقّ بها، أو أنّ الدّولة كذا، فذلك ما يريده الشيطان؛ أما ربُّ العزّة، فيريد منكم الوحدة تحت راية التوحيد:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾.

---

٢٢٣ كلمة صوتية للشيخ العدناني، أصدرته مؤسسة الفرقان بعنوان: وليمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم.

[الصف: ٤]. لقد أُعلِنَت الخلافةُ وانتهى الأمر، ولا مكان للتراجع الآن... إنّكم ترون تحالف الكفار وتجمّعهم ضد هؤلاء المجاهدين، فلا تُمضُوا الوقت تبكون على اللبن المسكوب....

ونصيحتي إلى الشيخ أيمن الظواهري هداه الله خاصة، أقول: لقد أقامت الدّولةُ الخلافةَ ولم يكن في الدّنيا خليفةٌ من قبل أبي بكر البغداد؛ فهو الخليفة... اتقّ الله، فإنك أمام مسئول، فأعدّ للسؤال جوابه. بايِع الدولة الدولة الأسلامية، فإنما هي كلمةٌ واحدة تقولها، عسى الله أن يحفظ بها دماءً كثيرة قد يضيّعها المسلمون على أنفسهم.

اعلموا أن لو هَزَم الكفارُ دولةَ الخلافة—لا سمح الله—، فإنّ فكرةَ الخلافة ستَزُول من قلوب الناس بالمرة، وسيَرجِع الناس إلى ما قبل العشرات من السّنين، وسيضيع ما سُكب من أجله كلّ تلك الدّماء الطاهرة؛ سيضيع ما كافح من أجله عبد الله عزام، وأسامة ابن لادن، وأبو مصعب الزرقاوي، وأبو يحي الليبي، وعطيّة الله الليبي، وأبو عمر البغدادي، وأبو حمزة المهاجر، وأنور العولقي، ومختار أبو الزبير، وآدم عيروا، وغيرهم الكثير.

الدّولة الإسلامية كانت كيانا مجاهدا مستقلّا من أقوى الكيانات الجهاديّة في السّاحة، ثمّ قامت—بفضل الله— بتوحيد صفوف المجاهدين (وعامة المسلمين معا) تحت رايةٍ واحدة، حيث كانوا من قبل ذلك جماعات متنوعة (تنظيم القاعدة وأفرُعه، وهو تحت الإمارة الإسلامية في أفغانستان، والإمارة الإسلامية في القوقاز، وأنصار الشريعة في ليبيا، و، و)؛ فالواجب على جميع المسلمين اليوم، أن يُساعدوا إخوانهم في الدولة على توحيد الصف تحت راية الخلافة، وألا يبيتوا ليلة واحدة قبل أن يبايعوها، لأنّ توحيد صفّ المسلمين تحت راية التوحيد هو واجب شرعيّ حتميّ لا نزاع فيه، ويأثم مَن ترَكَه. وإنّي لأعجب من أن تكون بعضُ الجماعات المجاهدة تتثاقلُ من هذا الواجب! كيف يصنعون هذا وهم أحرى الناس بالسّعي إليه واحتضانه عند أول وجوده؟! سبحان الله!

لا تُردِّدُوا ما يأتي على ألسن بعض الناس، من "أنّ الدّولة كانت تحت قيادة القاعدة، وهي التي تشُقّ الصف"؛ فإنّ ذلك باطلٌ وقبيح! الدّولة الإسلامية ليست (ولم تكن يوما منذ تأَسُّسِها عام ٢٠٠٦م) تابعةً للقاعدة، بل كانت دولةً مستقّلة بايَعَها فرعُ القاعدة. فالتصوّر الصحيح للواقع هو: دولةٌ إسلاميّة مستقلّة، تُحاول أن تجمع الجماعات المجاهدة المتفرّقة، تحت رايتها؛ فأي بأسٍ في هذا يا إخوة؟ اتّقوا الله الذي من أجله جاهدتم، ولا تُفسِدُوا جهادكم.

وختاما، إلى عامّة المسلمين أقول:

ياءيّها المسلمون، اعلموا أنّ الحرب اليوم فاصلة، وأن المجاهدين، وعلى رأسهم الدّولة الإسلامية أعزّها الله، هم السدّ الأول لهذه الأمة، ولو كُسِروا —لا قدّر الله— لتموتُن غرقًا بسيول الكفار الجارفة، فلا تخذلوا المجاهدين فتخذلوا أنفسكم... الجهاد متَعيّن، والبيعة واجبة، فكونوا من السابقين إلى الخيرات؛ وتذكّروا حديث النبي صلّى الله عليه وسلّم: (لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ).[٢٢٤] [٢٢٥]

---

٢٢٤ صحيح مسلم، ص ١\٣٢٥، ح رقم ٤٣٨.

٢٢٥ مع أنّ هذا الحديث جاء في سياق التأخر عن الصفّ الأول في الصلاة، إلا أنّ معناه شامل لكلّ الخيرات الواجبة، والله أعلم.

الخطوة الرابعة: إذكاء روح الجهاد في كلّ مكان، وتحطيم حدود الذل، حدودِ سايكس-بيكوا

صحيحٌ أنّ الأعداء قد أحكموا قبضتهم على بلاد المسلمين، وقسّموها إلى قِطَعٍ صغيرة تفصل بينها حدود سايكس-بيكو الوهميّة، لكنّ الحقيقة تقول بأنّ بلاد المسلمين جميعا واحدة، وأنّ العدوّ الصائل على البلد المسلم في أقصى الشرق، قد صال أيضا على المسلم في أقصى الغرب؛ فلذلك، أصبح الجهاد اليوم بحرٌ يمتدّ ساحله، فلا تستمعْ إلى وساوس الشيطان يا أخي، واعلم أنك الآن بأرض الجهاد.

العالَمُ الإسلاميّ اليوم ينقسم إلى ثلاثة أقسام لا رابع لهن: (١) قسمٌ دخلت فيه جيوش الكفر الغازية، تحارب المسلمين، وتفتن الناس عن دينهم وتوحيدهم؛ (٢) وقسم يحكمها عملاء للكفار، وينوبون عنهم في مهمّتهم؛ (٣) وقسم يحكمه المجاهدون (ومن بين هذا القسم، المساحات التي تحكمها الدّولة الإسلامية).

فبالنسبة لك أيها المسلم الطالب للجهاد، اعلم أن الجهاد متعيّنٌ في كلٍّ من القسمين الأوليين؛ فأما الأرض التي دخل إليها الجيش الكافر واحتلّها، فإنّ تَعيُّنِ الجهاد فيها لا يختلف فيه اثنان من أهل العلم، وقد بينّا حكم هذا فيما سبق؛ فإن كنت في هذا النوع من بلاد المسلمين، فابدأ الجهاد حيث أنت، ولا تذهبْ بعيدا، حتى يخرج الكافرُ، وتُحكَمَ البلادُ على كتاب الله.

وأما الجهاد في البلاد الأخرى، من أراضي المسلمين التي يحكمها الطواغيت المجرمون، فإنه أيضا متعيّن في زماننا هذا، حتى يَحكُمَ كتابُ الله، ويرجع الناسُ إلى توحيد الله، ويكفروا بالطواغيت (من ديموقراطية، وشيوعيّة، وعلمانية، وحكّامٍ مرتدّين، وغير ذلك من النُظُم المحايدة لشرع الله، أو الهيئات والأشخاص الذين يريدون أن يلبسوا لباس الأرباب).

لقد كان هؤلاء الحكام المرتدّون، يقبعون على صدر الأمة لعقودٍ من الزمان، أفسدوا فيها الأمة، وفرّقوا فيها الكلمة، وشتتوا الأمة تحت حدود وهميّة، وأطلقوا يد العدو يفعل بنا ما يشاء، وكيفما يشاء؛ لقد والو أعداء الدّين، وطاردوا خيار المسلمين ممن يرفعون راية التوحيد والجهاد؛ ثم هم من يحرسون اليهود في بطن المسلمين، بإغلاق الحدود في وجوه شباب الأمّة وشيوخها، فلا يقف أحدٌ لنصرة المستضعفين، إلا ويُتّهَم ب "الإرهاب"، ويُقذَف في السّجن مدحورا. أصبحَت بلادُ المسلمين سجنا طويلا للصّادقين، ومَرتَعًا كبيرا للكافرين، يتماشون فيها ويأكلون كيفما يشاؤون.

ها هي بلاد الحرمين اليوم، مولدُ الرّسول صلى الله عليه وسلم ومكان بعثته ودعوته، أصبحَت مطارات توقُّفٍ تَقلَع منه الطائراتُ الحربيّة للصليبيين، لتقصف منه المسلمين في العراق واليمن وسوريا؛ وهناك الكويت واليمن وقطر والبحرين والإمارات، وغيرهم من دول الجزيرة العربية، أضف إليهم العديد من أراضي المسلمين في أفريقيا (مثل جيبوتي) وشرق ووسط آسيا (مثل أفغانستان وباكستان)، كلهم يحتضنون الجيوش الأمريكية الكافرة (من طائراتٍ، أو أساطيلَ أو غيرهما). بل تجاوز العملاء ذلك، فقصفوا المجاهدين بطائراتهم هم، وقدّموا الأمّة على طبقٍ من أشلاء، لأميرهم في البيت الأسود الأمريكي (لعنة الله عليه). يَقصِفُ الأمريكانُ المجاهدين في هذه اللحظة، في الشام والعراق واليمن، فمِن أين تتوقّعون أنّ هذه الطائرات قد أقْلعَت؟ أمِنْ نيويورك؟ أم مِنْ لوس أنجلس؟ أم مِنْ قاعدة فورت هود؟! لا يا أخي؛ لقد أقلعت من وسط بلاد المسلمين، من قواعدها في الخليج.

ثم تَجاوز هؤلاء الحثالة كلّ معايير الرذالة، فسجنوا المؤمنات الطّاهرات، واعتدوا على أعراضهن. تقول إحدى الأخوات المسجونات في سجون آل سعود المجرمين، اختطفوها بتهمة "الإرهاب": (هل أحسستم بقلب أمٍّ خُطِف ابنها الشاب، ورُوّع أطفالها، وكُسِر بيتها ودُوْهِم، ثم يقولون عنا: "الإرهابيون"؛ يدعمون أمريكا بأموالنا، ويصنعون قواعدَ في جنوب الجزيرة وشمالها، لقصف القبائل الآمنة في اليمن، بأموالنا؛ يقولون إنها سياسة دُوَل، وأيّ سياسة تلك التي تُهدر دماء المسلمين؛ بل هي العمالة لأعداء الله، وموالاة الكافرين على المسلمين). أ.هـ.[٢٢٦]

أكُـرّارٌ على قومي كُـمـاةٌ   وفي عينِ المصيبةِ كالبناتِ؟

إنّ حال الأمة اليوم، يُذَكّرنا بحال المسلمين عند غزو المغول على بلاد المسلمين في القرن السابع الهجري؛ فقد كانت جيوشهم تصول وتجول، يمينا وشمالا، في بلادٍ شاسعةٍ يعيشُ فيها الملايين من المسلمين؛ كانوا بعيدين جدّا عن عاصمة دولتهم وخطوط إمدادهم، وغالبا ما كانوا يسيرون بفِرقٍ ليست بالجرّارة، في وسط جحافل الشّعوب من المسلمين؛ لكنّ الرعب كان قد سيطر على قلوب المسلمين، فلم يستطيعوا أن يحرّكوا بَنَانا واحدا، وقد كانوا قادرين.

---

٢٢٦ مؤسسة الملاحم، بعنوان: غزوة الثأر للأسيرات.

ملاحظة هامة: روابط الفيديوهات التي أصدرها المؤسسات التابعة لتنظيم القاعدة أو الدولة الإسلامية، معرّضة للحذف في أي وقت.

إن الحقيقة هي أنه لا يمكن لهذه الأمة أن تتقدّم شبرا واحدا إلى الله، حتى تَفْصِدَ من جسدها هذا الدّم الفاسد الخبيث. ليس على رقبة المسلمين من هؤلاء الحكام حقٌّ واحد، فقد كفروا بالله حين حكموا بغير شريعته، حين اعتنقوا نُظُمًا محايدةً لشرع الله (كالديموقراطية والعلمانية)، وامتنعوا عن معظم أحكام الله بالشّوكة والقوّة (كامتناعهم عن الجهاد، وتنفيذ الحدود، وامتناعهم عن منْعِ الربا والزنا والخمر والفجور)؛ وكفروا بالله أيضا حين والو أعدائه على أوليائه، فأطلقوا أيادي الكفار في ديار المسلمين، يطاردون أهل الخير من المجاهدين وغيرهم، ويموّلهم هؤلاء المرتدون من خزائن المسلمين وأموالهم، وذلك تحت غطاءٍ عسكري واستخباراتي كامل يوفّرونه للكفار.

وليس هذا البحثُ محلّا لتفصيل المكفّرات التي وقع فيها هؤلاء، فإنها كثيرة، وكثيرة جدا؛ فمن أراد التّفصيل، فليرجع إلى كتب ورسائل المجاهدين، فهم من سلّط الضّوء على شيطنة هؤلاء وخُبثِهِم، ووضّحوا للأمة خيانتهم للدّين والأمة.

إنّ خَلْع هؤلاء الحكّام، والإتيان برجالٍ ربانيين، يعرفون الحق من الباطل، والهُدَى من الضّلالة، لهو مِن أَوجبِ الواجبات في هذا العصر؛ فإنّه من المعلوم، أنه ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب؛ فإذا كانت نُصرَةُ المسلمين في البلادِ المنكوبة واجبة، فاعلم أنّ إيجاد الطّريق إلى وصولهم يكون واجبًا أيضا.

كيف الوصول إلى فلسطين والمسجد الأقصى، وهي مُحاطة بدُوَلِ الخليج إحاطةَ السِّوار بالمِعصم، ولا يمكن لأحدٍ أن يجتاز هذه الحدود إلا بصعوبةٍ بالغة، ولو اكتُشِف، فإنه يُودعَ في السّجن ويُعذَّب بتهمة الإرهاب؟ كيف الوصول إلى العراق، وأفغانستان وتركمانستان والشيشان؟ كيف الوصول إلى بورما، وإفريقيا الوسطى؟ كيف الوصول إلى الصّومال والجزائر ومالي؟ لا يُوصَل إليهم إلا عبر هذه الحدود الوهميّة المغلَقة من قِبَل هؤلاء الطغاة المجرمين؛ وهذا يجعل الطريق إلى أراضي الجهاد، يمرّ على أشلائهم وجَمَاجِمِهم... فلْنَفهم هذا جيدا.

لن تُحرَّر بلادُ المسلمين، ولن يُحرَّر بيتُ المقدس، إلا بعد تحطيم حدود الذُّل والمهانة، حدودِ سايكس-بيكو؛ لن يَستَرجِع المسلمون حقّهم إلا بعد أن يقطفوا رؤوس هؤلاء الطواغيت، حماةِ الصليب وسدنة اليهود؛ الجهادُ في الشّيشان يبدأ من السّعودية والإمارات وقطر والصّومال، والجهادُ في العراق يبدأ من مصر وتونس واليمن، والجهاد في أفغانستان يبدأ من البحرين والكويت؛ بخلاصة، الجهاد في أي مكان من بلدان المسلمين، يبدأ من مكانك هذا!

الأمر يجب أن يأتي من الدولة الإسلامية

الحرب يجني أرواح الآلاف ويُشرّدُ الملايين، ومثل ذلك يحتاج إلى تدبّرٍ وإمعان نظرٍ من أهل الحلّ والعقد. وبما أنّ الخلافة الإسلامية قد انعقدت لنا اليوم—ولله الحمد—، يجبُ أن نتركَ التدبّر في مثل هذه الأمور للخليفةِ ومجلس شورته، فهم أُناسٌ مُأهّلون للإجتهاد (نحسبهم كذلك والله حسيبهم)، ولهم من العلم بالواقع كثير. وقد أمر الخليفةُ بإشعال الأرض براكينَ تحت عروش الطغاة، حُماةِ الصليب وسَدَنَةِ اليهود؛ فلذلك، توكّل على الله يا أخ الإسلام، وقم بأمر الله، واعلم أنّك الآن بأرض الجهاد.

مَا مَحَا ذُلُّ النَّوَاصِي غَيرَ زَخَّاتِ الرَّصَاص *** فَاقتُلُوا أَهلَ العَمَالَةِ لَيسَ مِن هَذَا مَنَاص

أَهْلُ صُنـدُوقِ الدِّيَاثَةِ أَرتَجُوا فِيهِ الخَلَاص *** بِالخِيَانَةِ والتَّحَاصُصِ وَالأَمَانِيِّ الرّخَاص

إن كنتَ في أرضٍ امتدّت إليها الخلافة، فتوكّل على الله وجاهد تحت لوائهم؛ وإن كنت في أرضٍ لم تمتدّ إليها الدولة الإسلامية، فساعد أقربَ الناس فيها إلى الجهاد، وانضمَّ تحت أيّةِ جماعةٍ تقاتل من أجل أن يَحكُمَ كتابُ الله في الأرض، حتى ولو كانت ترتكب بعضَ الأخطاء الشّرعية (وسنتكلّم عن هذا الأمر في المبحث السادس من هذا البحث بإذن الله تعالى)؛ لا تقل "وحدي"، فإن الله مع الجماعة، ولا يأكل الذئب من الغنم إلا القاصية.

تجنّبِ الوطنيّين والعلمانيين، ولا تُشارِكْهُم في شيء، حتى ولو كان ذاك الشيء يخدم الهدف العام (كإسقاط النظام)، فإنّ دعوة الجهاد اليوم لا يجوز أن يشوبها أيُّ شيء يُخَلخِلُ في نظافتها؛ لا يَسَعُ المجاهدين اليوم إلا المفاصلة التامّة بين المسلمين والكفار (جميع الكفار، وخصوصا هؤلاء المرتدون من بني جلدتنا)، ولا يجوز لهم أن يداهنوا أو يتنازلوا عن حرفٍ واحد من عقيدتهم[٢٢٧]... يجب أن تكون سورة الكافرون هي لسان حال المجاهدين اليوم:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ... ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾. [الكافرون: ١-٦].

***

٢٢٧ لا تجوز المداهنة في العقيدة حتى في مراحل القوة، إلا أنها في هذه المرحلة أشد وأعظم.

الْمَبْحَثُ الخَامِس: مَا هُوَ دَوْرُك؟

من السّهل جدّا أن يقول المرء كلاما حسنا جميلا، لكنّ الفعل هو ما يميّز الصادقَ من الكاذب، والمنافقَ من المؤمن. فبالنسبة للجهاد، من السهل أن يتكلّم الشخص عنه على أساس أنه نظريّةٌ فقط لا واقع لها في الحياة، ويأتي التمييز الحقيقي حين يُطبّقُ بعضُ الناس كلامَ ربّهم ويحوّلوا النظرية إلى حقيقةٍ واقعةٍ في الحياة، ويُهمِلَ بعضُ الناس أوامرَ ربهم؛ عندها تأتي الحقيقة، فيضطربُ المنافقون الكاذبون فيُحجِمُون، ويستبسلُ المؤمنون الصادقون فيُقدِمُون.

ما هو دورك فيما كنّا نُأَصِّل له من بداية هذا البحث إلى مكاننا هذا؟ هل الجهاد أمرٌ يقوم به غيرُك، أم أنت المخاطَب بالأوامر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؟ ما مكانك في كلّ هذا؟ ما هي الأمور الواقعيّة التي يمكنك أن تساعد بها المجاهدين؟

الحق هو، أنّ الله عندما أمر بالجهاد، ونادى بذلك المؤمنين، فإنّ الخطاب يقع لكلّ من يتّصف بالإيمان، فيجب عليه أن يقوم بأمر الله حالا من دون تأخير؛ لكنّ الناس مختلفون في قدراتهم ومؤهّلاتهم، فلا يمكن لجميعهم أن يقوموا بشيء واحد (القتال)؛ بل يكون للرجل مكانه في الجهاد، وللمرأة مكانها؛ لقويّ البنية مكانه، وللضّعيف أيضا مكانه؛ للمهندس مكانه، وللمعلّم مكانه؛ للبصير مكانه، وللضرير مكانه.

إنّ الجهاد إذا تعيّن على قوم، فهو على جميعهم، لكن كلٌّ بحسب قدرته وقوّته، ولا يكلّف الله نفسًا إلا وسعها. ويُروَى عن الزهري رحمه الله أنه قال: (خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنّي الحرب، كثّرت السّواد وحفظت المتاع). أ.هـ.[٢٢٨]

---

٢٢٨ تفسير القرطبي، ص ٨\١٥١، تفسير سورة التوبة.

دور الرّجل المسلم في هذه الخطوات

الدور الأول: العزم على الجهاد وتخليص النية

أول ما يجب أن تفعله، هو أن تعزم على تنفيذ أمر الله، وتَعقِد بذلك النية، صادقا مع الله مخلصا له؛ فبالنية يُثَابُ الإنسان، وبالقصد يُرفَعُ الميزان. أنت عندما سمعت بالآيات الآمرة بالجهاد، وعلمتَ أنّ الجهاد فرضٌ عينيٌّ على الأمة في هذا الزمان، فإنه ليس لك إلا الانصياع لأمر الله؛ وأول ما تبدأ به، هو أن تَعقِد النية الصادقة على الجهاد.

فعن عمر ابن الخطّاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).[٢٢٩]

وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: (مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ، يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ؛ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ، لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ، فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ؛ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ؛ وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ عِلْمًا، وَلَا مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا، عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ، فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ).[٢٣٠]

فلا تُأخّرِ النية، وتوكّلْ على الله اليوم، واعزم على النّفير إلى الجهاد؛ فإذا مِتَّ قبل أن تنفر إلى الجهاد، ولكنّك كنتَ عازما عليه، عسى أن يحمِلك الله على نيتك، ويجزيك جزاء المجاهدين.

أخي المسلم، إن كان ما سبق من الأدلّة في هذا البحث قد أقنعك على وجوب الجهاد، فليس أمامك إلا أن تأخذ بأمر الله، ولا تستهن بالقضيّة، فإنها مصيرك (مصيرك الحقيقي الأبَديّ). وإن كان ما سبق، لم يُقنعك على وجوب الجهادِ وتعيّنه، فراجِعْ دينك، فأنت على خطر عظيم.

---

٢٢٩ صحيح البخاري، ص ٦\١، ح رقم ١.

٢٣٠ سنن ابن ماجه، ص ١٤١٣\٢، ح رقم ٤٢٢٨.

الدور الثاني؛ الالتحاق بقافلة الجهاد، ودعم المجاهدين بالنّفس والمال

يقول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. [التوبة: ٣٨-٣٩].

إسأَلْ نفسَك سؤلة واحدة: هل تتصف بالإيمان؟ فإن أجبت بنعم، فقم وأجب داعي الله، لأن الله نادى الذين آمنوا، ثم أَعقَبَ النّداء بأمره، فكان هذا الأمرُ واقعا لكلّ من يدخل في وصف "الذين آمنوا".

يا أخي، لا تُدوِّر على الأعذار، ولا تستخرج الدلالات الواهيات، كل ذلك، فرارا من الجهاد؛ خذها من الله يا أخي: " انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ "؛ وماذا يحصل إذا لم تنفر؟ الجواب: "يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ".

الأسباب المانعة من الجهاد، وطُرُق التخلّص منها

تدبّر معي يا أخي: ما الذي يمنعك من الجهاد، وكن صادقا مع نفسك في جوابك؟ أيمنعك الخوف من القتل أو الجرح أو الأسر؟ أيمنعك عطفك على أولادك؟ أيمنعك حبك لزوجتك؟ أيمنعك الخوف على تجارتك الرابحة؟ أيمنعك أهلك؟ ماذا يمنعك من النفير؟

الحقّ أن جميع الأشياء التي يمكن أن يمنعنا حبّنا لها عن الجهاد في سبيل الله (بعد أنفسنا)، تقع تحت صنف من أصنافٍ ثمانية، وكلها مذكورة في قول الله:﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾. [التوبة: ٢٤].

فإن كنت قد أحجمت عن الجهاد من أجل الخوف على نفسك من القتل أو الجرح أو الأسر، فاعلم أن لكلّ شيء أجلا، لا يسبقه لحظةً ولا يتأخر لحظة؛ واسمع إلى ربّ العالمين وهو يقول:﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٩]، ويقول تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]؛ وإن احتاجتْ نفسك إلى المزيد، فاستمع إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يقول:

(وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ).[٢٣١]

وتذكّرْ فضلَ الشهيد والجريح اللذان يتأذّيان في سبيل الله؛ تذكّر أنّ الشهيد لا يُحِسّ بألم القتل إلا كما يحس بالقرصة، وتذكّر أنه لا يُفتَنُ في قبره، وأنه يَأمن من الفزع الأكبر، وأنه... وأنه... فهل تُفَضِّلُ الموت الذي تذوق فيه السّكَرات، ثم تُفتَنُ في القبر بعده، ثم تَرى الفزعَ الأكبر يوم القيامة بعده، ثم... ثم... هل تفضّل هذه المِيتة على الشهادة؟!

وإن كنت تُحجِم خوفا على زوجتك الحبيبة، أو ولدك الصغير، أو والدتك الحنون، فتذكّر أن أمر الله لا يفوقه شيء، وأن الله سيعوّضك بالجنّة، وما أدراك ما الجنة؟! وتذكّر أيضا، أن الله لن يُضيّع أهلك من بعدك أبدا؛ فإن كنت ترعى والديك، أو زجتك، أو أبنائك، ثم تركتَهم من أجل الله وحده، فكنْ على يقين أنّ الله لن يتخلّى عنهم!

ألم ترى كيف رعى الله اليتيمين المذكورين في سورة الكهف، فقط لصَلاح جدهما؛ قال الله تعالى:﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾. [الكهف: ٨٢]؛ وقد رَوَى بعضُ أهل العلم، أن هذا الأب، كان جدّهما السابع.

واعلم يا أخي، أنك لستَ أنت من يُنفِقُ على أهلك، بل الله من ينفق عليهم؛ هو الذي جعلك تحمِل هذا الرزق إليهم، ولولا ذلك، لما أعطيتَهم حبّة واحدة؛ فإذا كان الأمر كذلك، فما الذي يُقلِقُك؟ أليس الربّ الذي رزقك في بطن أمك، ثم تكفّل بك، ثم زوّجك بزوجتك، فجعلك تُنفِق عليها على رغم أنفك، أليس ذلك الرب حيا؟

وإن كنت تحجم عن الجهاد من أجل حبّك للدنيا (من تجارة رابحة، أو مال كثير، أو مساكن طيّبة)، فتذكّر الجنة! الجنّة يا رجل! ألا تعرف ما الجنّة؟! يقول الله تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾. [آل عمران: ١٤-١٥].

---

٢٣١ مسند أحمد، ص ٤١٠\٤، ح رقم ٢٦٦٩.
سنن الترمذي، ص ٦٦٧\٤، ح رقم ٢٥١٦.

من أين أبدأ المسير؟

إن كان في أرضك التي تقيم فيها مَن يُجاهد في سبيل الله، ويُقاتل لأجل راية التوحيد وإعادة حكم الله إلى الأرض، فتوكّل على الله، وكن لهم عونا وأزرا، وقاتِلْ إلى جوارهم، وارفعْ راية التوحيد تحت لوائهم؛ وإذا صدر منهم خطأٌ شرعيّ، فانصحْهم في السرّ ولا تفضحْهم؛ واعلم أنّ نُصحَكَ يجب ألا يكون على المنابر والتليفزيونات، فإنّ النّصيحة على الملإ فضيحة، وإنك بفعلك ذاك، تُشمِتُ بهم الكفار، فتكونُ قد أفسدْتَ أكثر مما كنت تريد أن تُصلِح.

واعلم أن الدّعاء لمن تحبّ، هي من أنجح العلاجات على الإطلاق؛ فإذا رأيت مِن أحد المجاهدين ما تُنكر، فادع له في الرّبع الأخير من الليل (حين ينزل الله إلى السّماء الدّنيا)؛ ادع له بالهداية والتوفيق، وعسى الله أن يجيب لك.

اعلم أنّ الحرب ضدّ الكفر العالمي اليوم، ليست إلا معركة واحدة، ولكن بثغور متعدّدة، والانتصار في ساحة من ساحات الجهاد اليوم، يعني انتصارا في السّاحات الأخرى؛ فلذلك، التحق بأقرب المجاهدين إلى الحق، وأنقاهم رايةً، ولا تخشَ من الأخطاء التي قد يرتكبها بعضهم.[٢٣٢] فالأخطاء لا تأثّر في صحة الجهاد ما دامت دون الكفر، وما دام الهدف العام باقيا على مسلكه الصحيح. (سنتكلّم عن هذا في المبحث الأخير).

اعلم يا أخي أنّ الدولة الإسلامية اليوم، هي أنقى المجاهدين رايةً وكلمة (أسأل الله أن يُعزّهم ويمكّن لهم في الأرض، ويُدخِلهم مدخلا كريما في الدنيا والآخرة). فإن كنت في مكانٍ امتدّ إليها حكم الدّولة الإسلامية (كالعراق أو الشام أو مصر أو ليبيا أو نيجيريا أو اليمن أو الجزائر أو أفغانستان أو باكستان)، فلا تُشاور أحدا، والتحق بأشاوس دولة الإسلام الكِرام. وإن كنت في أرض لم تبلغها الدّولة الإسلامية (كالصّومال)، فالتحقْ بأقرب المجاهدين فيها إلى الحق؛ فإن كنت في الصّومال مثلا، فالتحق بحركة الشّباب المجاهدين الأبطال؛ وهكذا.

وخذ منّي هذه النصيحة يا أخي: لا تقل أبدا "سأنفع الإسلام والمسلمين لوحدي"، فإنّ الشّيطان يأتي إليك من هذا الطريق، وهي من أساليبه الناجحة لإيقاف وإضلال مَن هَمَّ بالجهاد؛ قل له "كلّا"، واعصه في أمره، وتوكّلْ على الله، وجاهِدْ تحت راية الجماعات المجاهدة، فذاك أنفع وأنجح.

---

٢٣٢ طبعا هذا ما دام الهدف هو "لتكون كلمة الله هي العليا". أما إذا تغيّر الهدف، فإن حكم المعاونة عليه يتغير أيضا. فالقتال لتحقيق هدف كفري يكون كفرا، والقتال لتحقيق حرام، يكون محرّما؛ وهكذا.

هذا إذا استطعت أن تجد طريقا إلى الجهاد؛ أما إن كنتَ قد عزمت على الجهاد، ولكنّك لا تجد طريقًا إليه، وترى طُرُق الجهاد قد وُئِدت، والمسالكَ إليهِ قد سُدَّت، فاعلم أنّ الله سيجد لك مخرجا، وسيُسَهِّل لك الطريق إلى الجهاد في سبيله، فلا تتباطأ حينها، وكن على استعدادٍ تامّ من اليوم، لكيلا يكون الخروج عليك صعبا عند بزوغ الفرصة.

قد يَندَلِعُ الجهادُ في أرضك التي تقيم عليها (وقد تكلمنا في الصفحات السابقة كيف أنّ أراضي المسلمين واحدة، وأنّ الإطاحة بالحكام المرتدين واجبٌ شرعي)، فمن يدري، عسى الله أن يُسهّل لثلّة من الرّجال، فينقضّوا على الحاكم اللئيم، وتعلوا النفوس بأصوات التكبير عند رايات التوحيد؛ فحين تسمع ذلك، فاعلم أنها فرصتك، ولا تضيعها.

سدِّدْ ديونك من الآن، واقتصِدْ في معيشتك، واقرأ كتبَ التوحيد، وتفقّهْ في مسائل الجهاد، وشاهِدْ إصدارات المجاهدين، واقرأ كتب الجهاد للعلماء المعاصرين (كالشيخ أبي يحيى الليبي رحمه الله وأكرمه وأدخله فسيح جنّاته).

إن وجدتَ طريقًا إلى الهجرة لأيّ بلد من بلدان الجهاد، كالعراق أو الشام، فلا تتردَدْ لحظة، وتوكّل على الله، فلا أظنّ الجهاد سيتوقّف بعد اليوم بإذن الواحد الأحد.

ساعِدِ المجاهدين بالمال، فإنّ ذلك من أعظم الجهاد؛ فإذا وجدْتَ طريقةً يمكن لك فيها أن تتبرَّع للمجاهدين ولو بِدِرهم، أو وجدت بعضَ أهالي المجاهدين في حاجة، بعد خروج رجالهم إلى الجهاد، فلا تتردّد، وقَدِّم ما ينفعك إلى دارٍ هي دارُ بقائك، ولا تُمسِك المال، فيمسك الله عنك.

وإن كنتَ تعيش في أرض من أراضي الكفار (كأمريكا)، فهاجر عنها إلى ديارٍ ترى فيها شعارات الإسلام، وتسمعُ النداء للصلوات؛ فمع أنّ بلاد المسلمين اليوم (ما عدا الأراضي التي يحكمها المجاهدون) يعلوا عليها حكم الكفر، وهي بذلك ليست أرضَ إسلامٍ، إلا أنّ الشّعوب فيها مسلمون، وهم في طريقهم بإذن الله إلى العز والجهاد؛ وأنت بمخالطتك للمسلمين، ورؤيتِك لأهل الخير، يَحيَا قلبُك، وتَرتَفِعُ معنوياتُك، وتكون بذلك أقربَ إلى النفير والخروج إلى الجهاد في سبيل الله؛ فلا تبق في ديار الكفّار أبدا، فإن لذلك من الأخطار على دينك ما لا يخفى؛ أضف إلى ذلك ما تتعرّض له من حبس وإيذاء، إذا اكتشفوا أنك تحبّ الجهاد، وتدعمه بمالك، أو حتى بلسانك.

يَكفِي الحديث، فدَعُونَا نعمل

قد سمعتَ استصراخ المسلمات بك يا أخي، وإنّ الله قادرٌ على نجدتهنّ بكلمة "كن"، إلا أنّه يمتحِننا، وقد جعل لهذا الكون سننا لن تجد لها تغييرا؛ فمن ذا الذي تنتظره غيرك، ليفرج عن أخواتك المنكوبات؟ إن قلتَ أنتَ "غيري"، وقال غيرك "غيري"، فمن ذا "الغير" الذي سيقوم؟

تقول مِيَ الطَلَق، أخت من الأخوات السجينات في سجون آل سلول، في رسالة بعثتها إلى رجال الأمّة وأسودها: (أنا أُخاطب أهل الدين؛ أين أسود التوحيد؟ هُتِكت ستر أخواتك وأنت تتفرّج؟ فأقولها للعالم أجمع: أنّي في رقبتكم، فاتقوا الله فيني؛ أخاطب كلّ حرّ غيور... أخاطب كلّ حرّ غيور... متى ستتحرك؟).[٢٣٣] قالت هذا، وهي تبكي!!

هَــذِي فَــتَــاةُ الطُّهرِ تَــبـعَــثُ صَـوتَــهَا *** تَــشـكُـوا إِلَـيـنـَا مِـن عَـلَى الـجُـدرَانِ
هَـتَـلكَ الـعَــدُوُّ عَــفَــافَـهَـا وَإِبَـائَــهَــا *** فَـبَـكَـت دُمُــوعـاً تُـغـلِ كَـالـنِّـيـرَانِ
لَـكِــنَّ قَــومِــيَ لَـم يُـجِـيُـبـوا دَمــعَــهَــا *** فَـشَـكَـت مِــنَ الـخِـذلَانِ لِلـرَّحـمَـانِ

بماذا سَتُجِيبُ ربَّك غدًا حين يسألُك: ماذا صنعت لأخَواتِك؟ هل فكّرت يوما في تلك اللحظة العصيبة، التي سيقوم فيها الخلائق كلّهم بين يدي ربّ العالمين، ويسألهم عن كلّ صغيرة وكبيرة؛ سيسألهم عن المريض المسلم الذي لم يزوروه، فما بالك بمسلمةٍ هُتِك عِرضها وشرفها في وسط ديار المسلمين، وجميع الناس ساكتون لا يتحرّكون.

---

٢٣٣ مؤسسة الملاحم، بعنوان: غزوة الثأر للأسيرات.

الدور الثالث؛ تزيين صورة المجاهدين بكلّ الوسائل، من مقالات وخطب وإعلام وغير ذلك

إن الكفار اليوم يبذلون الملايين من الدّولارات لتشويه سُمعة المجاهدين، وذلك بتزييف الحقائق، واستعمال علماء السوء لإثارة الشبهات؛ إذاعةٌ هنا وتلفزيونٌ هناك، كلّهم يحاولون جاهدين، ليصدّوا الناس عن سبيل الله، ويَئِدُوا الجهاد في مهده، ويقصموا ظهر المجاهدين.

اعلم أنّ أهمية الإعلام في الجهاد عظيمة، وعظيمةٌ جدا!؛ فما الحرب بالقلم واللسان، بأقلّ أهميةً من الحرب بالسيف والسِنَان، بل قد تكون أكثر أهمية. يقول صلى الله عليه وسلّم: (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ).[٢٣٤] ولقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعراءٌ (كعبد الله ابن رواحة وحسّان ابن ثابت)، وكانوا يسبّون الكفار، ويُشجّعهم النّبي صلى الله عليه وسلّم على ذلك، وذلك لتقديره أهميةَ الإعلام في النّفوس؛ فانتبِهْ إلى هذا يا أخا الإسلام.

كم من شبابِ المسلمين ضاعوا اليوم، من أجل ما يسمعونه من إذاعات الكفّار والمرتدين، وكم منهم انغمسوا في الشّهوات من أجل ما يرونه على شاشات التلفاز من الفتن والمنكرات؛ كم من صورةٍ للمجاهدين شُوِّهَتْ على قنوات الأخبار، وكم من حقيقةٍ زُيِّفَت عبر الفضائيات؛ كم من ألمٍ للمسلمين أُخفِيَ، من أجل تبعيّةِ الإعلام للكفّار؛ كم من صورٍ مؤلمةٍ تحمل الحقيقة للناس حُذِفَت من اليوتيوب؟

الإعلام (بكلّ أنواعه) هو من أشدّ الأسلحة فتكًا بالعدوّ، وهذه حقيقة ثابتة! وإني أعتقد أنّ هذا هو ما تفطّن إليه الإخوة في الدّولة الإسلاميّة، فقد استعملوا وسائل الإعلام للجهاد بطريقةٍ فريدة، لم يستعملها المجاهدون من قبل؛ حصلت الدّولة الإسلامية على أحدث آلات التّصوير، فحملوا الحقائق إلى الناس تِبَاعا، ووجّهوا الرّسائل المهمّة إلى الأمّة، واحدة تلو الأخرى؛ فهم يخوضون اليوم حروبا كثيرة من أهمها هذه: الحرب عبر وسائل الإعلام.

ويكفي دلالةً على مدى فهمِهم لأهمية هذا السلاح، التسجيل المسمى ب "صليل الصوارم ٤"؛ فهذا التّسجيل، وبشهادةٍ مباشرة من صُحُف الغرب، أصبح مصدرَ قلقٍ عند جيش الرافضة، فلم يستطيعوا الصّمود أمام ليوث الدّولة

---

٢٣٤ مسند أحمد، ص ٢١\٢٣٢، ح رقم ١٣٦٣٨.
سنن أبي داود، ص ٣\١٠، ح رقم ٢٥٠٤.

عند اقتحامهم مدينة الموصل في العراق، وذلك خوفًا من أن يكون مصيرهم مثل مصير من رأوه في التّسجيلات.
طبعًا، نحن ننسب النصر إلى الله، ونقول بأن الله هو الذي ألقى الرّعب في قلوبهم، لكنّهم يعترفون بقوّة ذلك الإصدار المزلزل المرعب، وهو في الحقيقة كذلك.

أما بالنّسبة إليك، يا أيها المسلم الطّالبُ للجهاد، إنّك تستطيع أن تُسَاهِم في الجهاد بهذا السلاح، وإنّ الطريق إليه مفتوحٌ، (بخلاف الجهاد بالنفس، فربما كانت الحدود مُغلَقة عليك)، وتستطيع أن تُسهِم في تحسين صورة المجاهدين عند المسلمين، ونشر الرّعب والهلع في صدور أعداء الدّين، وسيكون ذلك بإذن الله في ميزان حسناتك يوم القيامة.

هناك طرقٌ عدّة تستطيع أن تستعمل بها وسائل الإعلام، لتخدم بها مصالح المجاهدين، وإليك بعضا منها:

أ: استعمل جميع المنابر الإعلامية للصّدع بالحق، ونصرة الجهاد والمجاهدين في سبيل الله؛ ويقع هذا لِعَددٍ كبيرٍ من المسلمين، منهم خطباء المساجد، والمرموقون من العلماء، والصّحفيون، ومراسلو القنوات المشهورة، وغيرهم ممن يمتلكون القدرة على إيصال كلمتهم إلى أعداد كبيرة من المستمعين.

ب: استفد من الإنترنت ومواقع التّواصل الاجتماعيّة، كالفيس بوك، والتّويتر، واليوتيوب، وغيرهم؛ استعمل عددا من الإيميلات المختلفة، وسجّل نفسك في حسابات كثيرة، ثم بُثَّ أخبار المجاهدين على واحدة فقط من هذه الحسابات، واترك الحسابات الأخرى للاحتياط عند غلق الحساب الرئيسي (وسيُغلَق لا محالة). ألقِ محاضرات على البالتوك (Paltalk)، وأعلِمِ الناس عن المحاضرة عن طريق حساباتك في مواقع التواصل. ولك في الإخوة الداعين إلى الله في بريطانيا، كالشيخين أنجم جودهري وأبو البراء حفظهم الله، قدوة في هذا المجال؛ فهم بحمد الله يستعملون كلّ المنابر الإعلامية لإيصال الحقّ إلى الناس، ولا يخشون في الله لومة لائم؛ فجزاهم الله عن المسلمين كلّ الخير.

ج: لا تَبُثَّ أبدًا مواقع المجاهدين وتحرّكاتهم قبل أن يعلنوا عنها بأنفسهم، فإنّ هذا يفيد العدوّ أكثر مما يفيد المجاهدين؛ يَتَتَبَّعُ الكفارُ جميع الحسابات المختلفة التي تَبُثّ رسائل الجهاد، فإذا بَثَثْت أنت مواقع المجاهدين، فإنّهم سيلتقطون كلامك، وسيقصفون مواقع المجاهدين بعد التجسّس عليها من قِبَلِ الطّائرات بدون الطّيار؛ فانتبه، ولا تدلّ على عورات المجاهدين من حيث أردت مساعدتهم!

د: اصنع المَقاطِع المحمِّسة مع الأناشيد الجهادية، ثم بُثَّهَا على حِسابَاتِك في اليُوتيوب، وأخبِر متابِعِيك عن رابط الفيديو؛ لا تستهن بقوّة مثل هذه المقاطع يا أخي، فإنها تحيي القلوب أكثر مما يمكن أن تتصوره.

بعض النصائح الأمنية

هـ: يقول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾، فلا تكن غِرّا تُعرّضُ نفسك للحبس في بلاد الكفر؛ فإن كنت مُقِيمًا في بلادٍ غيرِ أراضي الجهاد (كأمريكا أو الإمارات/السعودية أو كندا)، فاصنع ما يلي:

– اكتب //:https قبل الموقع الذي تريد أن تزوره؛ فمثلا إذا أردت أن تَزُور قناة اليوتيوب، اكتب https://www.youtube.com/، وليس http://www.youtube.com/. والفائدة من هذا هي، أنّ الشّركة التي أعطتك خدمات الإنترنت، ستُسجِّلُ المواقع التي زُرتَهَا، ومُحتَوى ما فعلتَ في تِلك المواقع؛ وإذا استعملت https بدلًا من http، فسيكون المحتوى مُشَفَّرا، ولن يستطيعوا أن يَروه إلّا بجهد كبير (ولا يمكن أن يبذلوا كل تلك الطاقات على كل النّاس)؛ فاستعمال https، سيشدّد عليهم الأمر؛ فهم سيعرفون أنك زُرتَ اليوتيوب مثلا (وهذا ليس ذنبًا عندهم)، ولكنّهم لن يعرفوا ماذا شاهدت، وعن ماذا بحثت، وغير ذلك من الأمور التي يمكن أن تُعَرّضَك للمحاكمة بتهمة "الإرهاب". واعلم أنك إذا لم تَكتبْ https يدويّا في شريط العنوان، فإنّ المستعمل تلقائيّا سيكون غير المحمي (http).

يُفِيدُك هذا فقط إذا كان الموقع الذي تريد زيارته ليس محظورا لذاته؛ فإن كان الكفّار يراقبون الموقع أو المنتدى مثلا، فإن استعمال ال https لا يُفيد شيئا، وذلك لأنّه لا يقوم بتشفير عنوانك وعنوان الموقع الذي تريد زيارته. فلإخفاء عنوانك، يجب أن تستعمل ما يسمى البروكسي (تابع للمزيد).

– إذا أردت أن تفتح حساباتك، فلا تفعل ذلك إلا بعد استعمال البروكسي (proxy)؛[٢٣٥] ويُفِيدُك هذا في أنّه يُوهِم الموقع الذي زُرتَه أنك جئت من ال IP المسجّل للبروكسي، وليس المسجّل لك؛ فإذا سجّلَ الموقعُ ال IP الذي فتح حساب كذا في ساعة كذا، فإنهم لا يجدون ما يدلّ عليك. واعلم أنّ الشَّرِكات كثيرًا ما تُسجّل مثل هذه المعلومات،

---

٢٣٥ للحصول على قائمة للبروكسيات، قم بزيارة proxylist.hidemyass.com.
للحصول على إرشادات حول كيفية تكوين البروكسي على المتصفح الخاص بك، قم بزيارة www.wikihow.com/Change-Proxy-Settings

ويمكن للشُّرطة أن تُطَالِب الموقع بتلك المعلومات؛ فإذا وجدوا ال IP المسجّل لِبَيتِكَ مثلا أو لِعَمِلِك، فإنهم سيأتُون إليك ويتفقّدون!

– قد تستعمل متصفح تور (The Tor Browser). هذا المتصفّح يستعمل نظاما يُمَكِّنُ مُستخدميه من الاتصال دون الكشف عن هويتهم على شبكة الإنترنت. **وانتبه: قد يكون تور نفسه جاسوسا**، علما بأن ٦٠% من دخله يأتي من وزارتي الدفاع والخارجية الأمريكيتين؛ لكن إن كان الأمر كما يقولون، فهم يأخذون الدعم ولا يعطون الحكومة أي معلومات عن المستخدمين؛ المدير التنفيذي لتور، أندرو ليومان (Andrew Lewman) كتب: (لا تفترض أنّ 'الحكومة' كيان واحد متماسك بعقلية واحدة).[٢٣٦] يقولون بإنّ الكود الأصلي للبرنامج متاح للعامة لفحص أيّ مبرمج. وطريقة عمل المتصفح كما يقولون هو أنه يصلك بشبكة من كمبيوتراتٍ لآلاف المتطوعين، تتردّد رسائلك بينهم ثم تخرج إلى الغاية من أحدهم، فيظنّ الناس أنك أرسلك رسالتك من لندن إلى الصين حين كنت تتصفّح موقعا في أمريكا من أستراليا مثلا. هذا ما يقولونه، ولكنّي لست مبرمجا إلى هذا الحد، ولا أعرف صدقية هذا البرنامج.

– هناك أمورٌ أخرى يمكن أن تَصنعها، لتَستعمِل الإنترنت من دون أن يعرفك الكفّار، أو يعرفوا ما صنعت، فابحث في الغوغل، واسأل أصحاب الاختصاص—إن كان ممكنا.

و: مع أنك تأخذُ الحذر، إلا أنّ الكفار يعرفون هذه التكنولوجيا كثيرا، فلا تستهن بهم أبدا، وخذ أكبر قدرٍ من الحذر، حتى عندما لا تصنع أمرًا مهما، فذلك أجدرُ بأن تتعلّمَ الطريقة المثلى للتّعامل مع مثل هذه الأمور؛ واعلم أنّ الحذر والكتمان خيرٌ في كلّ الأمور، الجهاديّة وغير الجهاديّة.

توكّل على الله في كلّ وقت

ز: البند الأهم والأقوى: توكّل على الله فيما تصنع، واعمل بإخلاص؛ وإذا قضى الله بأمر، فارضَ بقضائه، ولا تجزع؛ لا تثنينّك المصاعبُ عن الحق، واعلم أن الله يحبّ الصابرين؛ خُذِ الحذر، وابذُلِ الجهد، ثم اترك الباقي لله؛ واعلم أنّ الكفّار لن يؤذوك بشيء إلا قد كتبه الله عليك، وسيزيدك الله بها رفعة في الجنة بإذنه، فتذكّر!

---

٢٣٦ واشنطن بوست (Washington Post) بعنوان:
The feds pay for 60 percent of Tor's development. Can users trust it?

الدور الرّابع؛ التضرّع إلى الله بالدّعاء الخالص

يقول الله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾. [البقرة: ١٨٦]. وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾. [غافر: ٦٠].

اعلم يا أخ الإسلام أنّ أقوى سلاحٍ يُمكن أن يمتلكه الشخصُ المؤمن، هو الدعاء، وهو سلاحٌ لا يملكه إلا المؤمن، لأن الله وعد الله المؤمنين بالإجابة إذا سألوه النّصر، ولا يقوى أحدٌ على قتال الله العلي العظيم؛ فالمسلمُ إذا رأى كافرا مُدرّعا بدباته، مُخيفا بطائراته وصواريخه، يجب أن يتذكَّرُ عظمةَ الله وقوته، فيتعلّقُ بالعظيم القوي ويتضرع له، والله كريم (كما قال الرّسول صلى الله عليه وسلم)، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردّهما صفرا.[٢٣٧]

بعض الأسباب لقبول الدعاء

اعلم أنّ الله لا يقبل دعاء العبد المسلم إذا لم يكن طيّب المطعم، فلا تأكل حراما أو تلبسه أو تسكنه، فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ)[٢٣٨]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم (ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟).[٢٣٩]

اعلم أنّ الدعاء يكون أقرب إلى الإجابة إذا استوفيتَ فيه أمورا عدة:

---

٢٣٧ سنن ابن ماجه، ص ٢\١٢٧١، ح رقم ٣٨٦٥.
مسند البزار، ص ٦\٤٧٨، ح رقم ٢٥١١.

٢٣٨ المعجم الأوسط للطبراني، ص ٦\٣١٠، ح رقم ٦٤٩٥.

٢٣٩ صحيح مسلم، ص ٢\٧٠٣، ح رقم ١٠١٥.
مسند أحمد، ص ١٤\٩٠، ح رقم ٨٣٤٨.

أولا: أحضر قلبك عند الدعاء، وادعُ الله وأنت مُوقن بالإجابة، فإن النبي قال: (إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ)[٢٤٠]؛ ثانيا: اعزِم المسألة، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المسْأَلَةَ، وَلاَ يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ)[٢٤١]؛ ثالثا: لا تستعجل الإجابة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يُسْتَجابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجبْ لِي)[٢٤٢]؛ رابعا: أَلِحَّ على الله بالدّعاء، وكرّر المسألة؛ خامسا: توسّل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ سادسا: تحرَّ بدعائك الثلثَ الأخير من الليل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ينْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟)[٢٤٣]؛ سابعا: ابدأْ دعائك بحمد الله والثناء عليه، ثم صلّ وسّلِم على رسول الله صلى الله وسلم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لْيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ)[٢٤٤].

ادع لإخوانك وتضرّع إلى الله

قم من سريرك في الجوف من الليل، فتوضّأْ وأَسبِغِ الوضوء، ثم صلِّ ما يَسَّر الله لك؛ فإذا كنت في السُّجود، ابدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم صلِّ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ثم ابدأ بالدعاء؛ ابكِي أمام الله، وتضرّع إليه وابتهل، وكن على يقين في أنّ الله لن يردّك خائبا.

---

٢٤٠ سنن الترمذي، ص ٥\٥١٧، ح رقم ٣٤٧٩. وأخرجه أحمد في المسند (١١\٢٣٥).

٢٤١ صحيح البخاري، ص ٨\٧٤، ح رقم ٦٣٣٨.

٢٤٢ صحيح مسلم، ص ٤\٢٠٩٥، ح رقم ٢٧٣٥.
صحيح البخاري، ص ٨\٧٤، ح رقم ٦٣٤٠.

٢٤٣ صحيح البخاري، ص ٩\١٤٣، ح رقم ٧٤٩٤.
صحيح مسلم، ص ١\٥٢١، ح رقم ٧٥٨.

٢٤٤ سنن الترمذي، ص ٥\٥١٧، ح رقم ٣٤٧٧.
مسند أحمد، ص ٣٩\٣٦٣، ح رقم ٢٣٩٣٧.

أَكثِرِ الدعاء لإخوانك المجاهدين في كلّ الدّنيا، وادع الله أن ينصرهم ويُعينهم على عدوّهم؛ خصّص دعاءا لمجاهدي الدولة الإسلامية، فإنهم يتعرّضون لغزوٍ يماثل غزو الأحزاب؛ ادعُ على أمريكا وحُلفائها من الصليبيين، وكذلك المرتدين من بني جلدتنا؛ ادع اللهَ أن يكون للمجاهدين عونا وسندا.

لا تُتعِبْ نفسَك بالسَّجعِ في الدعاء، واسألِ الله بما تيسّر لك من كلمات، فإنه سبحانه سميعٌ، يعلم ما في القلوب:

اللهم مُنزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب، اللهمّ إني أسألك أن تنصر المجاهدين في سبيلك في كلّ مكان، اللهم انصرهم في العراق والشام؛ اللهم انصر عبادك في الدولة الإسلامية؛ اللهم إن الكفّار لم يحسبوا لك حسابا، وظنّوا أنهم مانعتهم حصونهم منك؛ اللهم اتهم من حيث لا يحتسبون، وألقِ في قلوبهم الرُّعب، ويسِّرْ للمجاهدين أن يُقيموا صرحًا لدينك، ودولةً لعبادك الموحّدين.

اللهم ثبِّتْ المجاهدين على الحق والتوحيد، واجمع كلمتهم على ذلك، وأَفهِمْهُم يا ربّ أنّ نصرك لا يأتي إلا إذا اتّقُوك وأطاعُوك؛ اللهم جنّبهم عما يأخّر نصرك، اللهم جنّبهم عن الشّرك الأكبر وعن المعاصي (الكبائر منها والصغائر)؛ اللهم جنّبهم عن الظلم؛ اللهم جنّبهم عن قتل نفسٍ محرّمة بغير حق؛ اللهم اجعلهم يتّبعوا سنة نبيك شبرًا بشبر.

اللهم مزّق أمريكا تمزيقًا؛ إنهم قد طغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، فصبّ عليهم يا ربُ سوط عذاب، وكن لهم يا قويّ بالمرصاد؛ اللهم إنك تراهم وقد جاءوا بخيلائهم وفخرهم، ولم يأتوا إلا ليصدّوا الناس عن سبيلك، ويوقفوهم عن الحكم بشريعتك، اللهم فلا تتركهم يصنعوا هذا يا كريم، وأَرِنَا فيهم عجائب قدرتك يا قوي يا عزيز. اللهم إنّ أمريكا جاهرتك بالعداء، فمزّقها يا عظيم إرَبًا، واحصها عددًا، ولا تغادر منها أحدًا؛ اجعل كيدها في نحرها، واجعل بأسها من بينها، وأرسل عليها جنودك من الملائكة والرعب وغيرهم. اللهم أَوهِنْ عزمهم، واكشِفْ عورتهم على أعدائهم، وافضح مخطّطاتهم، وسلّط بعضهم على بعض.

اللهم عليك بالمنافقين المتآمرين على المجاهدين؛ اللهم إنّك تعلم مَن هُم، فخذهم يا عزيزُ واحدًا واحدًا، وحطِّمْهم بعد أن تفضحهم على النّاس جميعا.

اللهم نصرَك الذي وعدت... اللهم نصرك الذي وعدت... اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم، فلن تُعبد بعد؛ اللهم إنّ الكلمات قد عجزت، وإنك تعلم بما في الصّدور، فأعطنا بذلك يا كريم.

دور المرأة المسلمة في هذه الخطوات

لقد كانت النّساء أيام السّلف يشتقْن إلى الجهاد في سبيل الله، ربما أكثر من اشتياق الرجال إليه، وذلك لِما علمْنَ من فضلٍ للجهاد في سبيل الله، وما فهمْنَه من عِظَم أجر المجاهدين والشهداء عند الله سبحانه وتعالى.

فها هي أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تهفوا نفسها شوقا إلى النّفير في سبيل الله، فتسألُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستأذنه: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَخْرُجُ نُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ قَالَ: «لَا، جِهَادُكُنَّ الْحَجُّ الْمَبْرُورُ، هُوَ لَكُنَّ جِهَادٌ»).[٢٤٥]

وجاء في ترجمة أمّ عمارة في سِير أعلام النبلاء أنَّها: (شَهِدَتْ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، وَشَهِدَتْ أُحُداً وَالحُدَيْبِيَةَ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ وَيَوْمَ اليَمَامَةِ، وَجَاهَدَتْ وَفَعَلَتِ الأَفَاعِيْل، وَقُطِعَتْ يَدُهَا فِي الجِهَادِ؛ وَقَالَ الوَاقِدِيُّ: شَهِدَتْ أُحُداً مَعَ زَوْجِهَا وَمَعَ وَلَدَيْهَا، خَرَجَتْ تَسْقِي وَمَعَهَا شَنٌّ، وَقَاتَلَتْ وَأَبْلَتْ بَلاَءً حَسَناً، وَجُرِحَتِ اثْنَيْ عَشَرَ جُرْحاً). أ.هـ.[٢٤٦]

أختي الكريمة، انظري إلى السّميراء بنت قيس رضي الله عنها فيما رواه أصحاب السِّيَر أيضا: (مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُحُدٍ؛ فَلَمَّا نعوا لَهَا، قَالَتْ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: خَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ؛ قَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إلَيْهِ؟ قَالَ: فَأُشِيرَ لَهَا إلَيْهِ، حَتَّى إذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ يَا رَسُولَ اللهِ بَعدَكَ جَلَلٌ).[٢٤٧]

تفكّري يا أختي كيف كانت الصحابيات يتفانَينَ في الجهاد في سبيل الله، ولسان حالهنّ يقول: "لستم أكثرَ طلبا منا للجنّة"؛ فتلكم أمّ عمارة، يُجرَحُ ولدُها، وبدلا من أن تحزن له وتتأ لّم، تعصِب جراحّه، وتُعِيدُه للقتال؛ أما السُّميراء، فما أعظم شأنها؟! تفقِد ولدها (فلذة كبدها) وزوجها (حبيبها وشريكها في حياتها) وأباها (أُنسَ قلبها)، فيُنعَى لها كلّ هؤلاء، فلا تَلتفِتُ إلى خبر مقتلهم، وتسأل عن شخصٍ واحد... تسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم...

---

٢٤٥ صحيح البخاري، ص ٤\٣٢، ح ٢٨٧٥.
مسند أحمد، ص ٤٠\٤٨٤، ح رقم ٢٤٤٢٣.

٢٤٦ سير أعلام النبلاء للذهبي، ص ٢\٢٧٨.

٢٤٧ البداية والنهاية، ص ٤\٤٧. كذلك جاء في تاريخ الطبري، ص ٢\٥٣٣.

وأمثال السّميراء وأم عمارة كثير في النّساء المؤمنات في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلّم؛ ولم يكن هذا خاصّا بعهد النبيّ صلى الله عليه وسلّم؛ فها هي الخنساء رضي الله عنها، تُعِدُّ أولادها الأربع يوم القادسيّة للجهاد في سبيل الله، فيذهبون ويُستَشهدُون، ثم مِن فَرَحِها لخبر استشهاد أولادها تقول: (الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته)؛[٢٤٨] انظري يا أختي، يفرحْنَ بالمصائب بدل أن يحزنّ، لماذا؟! لأنّهنَّ يعلمْنَ أن هذه المصيبة إنّما هي في سبيل الله، وهي لأجل إرضاء الله سبحانه وتعالى، ولو كانت في غيرها، لكانت الفاجعة الكبرى؛ علمَتِ المؤمنات بأن ثمن الجنّة باهظ، وأنّ الطريق إلى النعيم محفوف بالمكاره والأشواك، فكنّ لها، واللهُ أكبر!

وفي هذه الأيام، ونحن نرى من آلام المسلمين وأحزانهم ما نرى، لا يمكنُ لأختٍ مسلمةٍ تُحبّ الله والجهادَ في سبيله، أن تجلس مكتوفة الأيدي، تُشاهدُ أحزانَ المسلمين عن بُعد، وتَعقِدُ أملها على رجالٍ لا وجود لهم (إلا من رحم الله)؛ يأبَى قلبُها أن تجلس وتتركَ أحلام الأمّة تنغمس في بِرَكٍ من الأحزان والآلام المتراكمة؛ ولكن كيف تصنع؟ ماذا يمكن للأخت المسلمة أن تُقدِّم للجهاد في سبيل الله، وللمجاهدين المستضعفين في هذا الليل المعتِم المظلم؟

---

٢٤٨ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٨\٤٤٣.

الدور الأوّل؛ معاونة الأقارب (من الأزواج والأبناء والآباء) على الخروج، وعدم تثبيطهم عن الجهاد في سبيل الله

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾. [النساء: ٧٢].

أُختاه، أترضين أن يفوز الناس جميعا، ويخسر أحبُّ الناس إليك فقط؟ ألم يقل الله تعالى عن الجهاد:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. [١٠-١٢].

فما بالُكِ تقفين عائقةً بين زوجكِ وبين هذه النعمة العظيمة؟ ما بالُكِ تحُولين بين بنيك وأبيك، وبين جنّة الرحمن الواسعة؟ هل تريدين حقّا أن يفوز النّاس جميعا بجنّة ربّ العالمين ورِضاه، ويخفق زوجُكِ وأبوكِ وابنكِ وأخوكِ فقط؟! في الحقيقة، أنا لا أعتقد ذلك، ولكنّي أظنّ أن كثيرًا من أخواتي لم يفهمن حقيقة الأمر، ولذلك منعْنَ أهاليهنّ.

أختي في الله، اعلمي أنّ الأمر ليس هيّنا؛ إنّه ربّ العالمين، وقد أمر الرّجالَ بالنفير والجهاد في سبيل الله؛ فإن اختاروكِ على الله، عذّبهم في الدّنيا والأخرة، وليس هذا من كلامي يا أختي، إنما هو من كلام الله، وقد سطّر ذلك في كتابه.

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾. [التوبة: ٢٤]. ويقول سبحانه وتعالى أيضا:﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. [التوبة: ٣٩].

هل تخافين من قتلهم؟ إن كان كذلك، فاعلمي أن الله قد حدّد لكلّ نفسا أجلا، ولن تموت نفس حتى تستكمل وقتها المحدّد. هل تخافين من مصيركِ ومصير أولادكِ لو حدث شيء لزوجِك؟ إن كان كذلك يا أختاه، فاعلمي أنّ زوجكِ لم يكن هو من كان يرزقكِ في بطن أمكِ حين كنتِ جنينا؛ ولم يكن هو من جعل الرحمة في قلب أبويكِ ليعتنوا بكِ، ولم يكن هو من تكفّل برزقكِ من يوم ولادتكِ إلى أن كَبرتِ؛ كيف تَنْسَيْنَ كلَّ هذا، وتُعَلّقين كلّ آمالكِ على إنسانٍ واحد؟ أليس هذا ظلمٌ منك لربّ العالمين؟ أختاه، إن الربّ الذي رعاكِ قبل زواجكِ، سَيَرعاكِ بعد فراقكِ لزوجكِ، فتوكّلي على الله، ولا تخافي من مصيرٍ لا يملكه أحدٌ إلا الذي بيده ملكوت كلّ شيء.

أختاه، استمعي إلى قول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾. [التغابن: ١٤]؛ ففي هذه الآية يقول ابن عبّاس رضي الله عنهما: (هَؤُلَاءِ رِجَالٌ أَسْلَمُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَبَى أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ أَنْ يَدَعُوهُمْ أَنْ يَأْتُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأَوْا النَّاسَ قَدْ فَقِهُوا فِي الدِّينِ، فَهَمُّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ"، الآية).[٢٤٩]

أختي في الله، لا تكوني سببًا لهلاك أهلك من حيث ظننت أنّكِ تنقذينهم من الموت؛ واعلمي أنّكِ بتثبيطِكِ هذا، تكونين عدوّا لمن تحبّين من دون أن تعلمي؛ أختي، لا تتركي النّاس جميعًا يفوزوا بالجنّة ونعيمها، ويَخسرَ أقاربُكِ فقط، فإنّ ذلك سيكون عليكِ ألما شديدا وحزنا يوم القيامة (وإنّي أعيذكِ بالله من ذلك).

اعلَمي يا أخت الإسلام أنّنا جميعا ميّتون، وأنّ زوجك ميّتٌ يوما هو الآخَر (لا محالة)، سواء أمات على سريره أم مات في ساحات القتال؛ إنكِ مفارِقَةٌ له يوما ما، ولا مناص من ذلك؛ فإذا كان الأمر كذلك، أفلا يجدر بكِ أن تقولي لزوجِك وأقاربك جميعا: أَنْ "قوموا إلى جنّة عرضها السماوات والأرض"، وتأمُريهم بأن يقولوا كما قال الشاعر:

أَوَلَيسَ مَوتِي فِي حَيَاتِي مَرَّةً *** لِمَ لَا يَكُونُ خِتَامُهَا استِشهَادِيَا
لَمَّا سَمَت نَفسُ الشَّهِيدِ مَطَالِبًا *** أَعْلَى الإِلَهُ لَهُ المَكَانَةَ عَالِيًا

يقول الحق جلّ في علاه:﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾. [النساء: ٧٨]. ويقول النبي عليه الصّلاة والسّلام: (اعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ؛ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ؛ رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ).[٢٥٠]

---

٢٤٩ سنن الترمذي، ص ٥\٤١٩، ح رقم ٣٣١٧.

٢٥٠ سنن الترمذي، ص ٤\٦٦٧، ح رقم ٢٥١٦.

الدور الثاني؛ تربية أولادها على الجهاد وحبّ التّضحية في سبيل الله

إن صلاح كلّ شيء مرهونٌ بصلاح بُنْيَتِهِ الأساسيّة ولَبِنَتِهِ التّحتيّة؛ فالشّجرُ لا يَصمُد للعواصف، إلا إذا كان قويّ الأساس عريض الجذور، والجدارُ لا يصمد للسُّيول والرّياح، إلا إذا كان مَنْ بَناه قد شدَّ أساسه؛ **وكذلك المجتمع!**

لقد مرّ على الأمّة المسلمة قرنٌ من الزمان تركوا فيه الجهاد، ونسوا فيه معاني القوة والعزّة، وأهملوا فيه حياة الرّجولة والكرامة؛ انغمس الناسُ في زماننا هذا في حياة ترفٍ ورفاهية، وزالت عن الآفاق تعابيرُ الجهاد والبطولة، فتغيّرت مطالبُ الناس، وتدانت هممهم، وتضاءلت قِواهم، وانهزمت أرواحهم؛ وأصبح الواحد منهم لا يفكّر إلا بشهواته.

فلِكي نخرج من هذه الأزمة، نحتاج إلى تقوية أساسنا وبنيتنا التحتيّة؛ نحتاج إلى رجالٍ جُدُد ليقودوا الأمّة إلى مجدها من جديد، ويُعِيدوا الأمور إلى نصابها، ويُخرجوا المسلمين من حياة الذلّ إلى حياة العزّة والكرامة، ويُزيلُوا عن قلوبهم معاني الاستسلام والانبطاح، فيستبدلوها بروح الجهاد وطلب الشّهادة في سبيل الله؛ نحتاج إلى جيلٍ لم تُفسِده الحياة الرديئة، ولم تُدنّس معنوياته ما عاش فيه من ذلٍّ وإهانة... **وهنا يأتي دور المرأة المسلمة.**

أُختي في الله، إنّكِ مصنع الرّجال، ومنبع الصناديد والأبطال، وإنّ للجهاد والمجاهدين عليكِ حقٌّ عظيمٌ في هذا المجال، فقومي بهذه المهمّة على أكمل وجه، ولا تدَعي الإسلام يُؤتَى من قِبَلكِ.

إنَ لكِ في نساء السّلف أسوة وقدوة، فانظري إلى الخنساء مثلا ترى العجب العجاب؛ انظري إليها وهي تُعِدّ أولادها، أفلاذ كبدها، وحُلم مستقبلها، ونور أيامها؛ أعدّت الخنساء رضي الله عنها أولادها الأربع للجهاد قبل يوم الجهاد، فأنشأتهم على حبّ الجهاد والاستشهاد، ودرّبتهم على الرجولة والفروسية والشَّجاعة؛ فلمّا أتى اليوم الذي كانت تُعِدّهم له، أرسلتهم إليه، وهي راضيةٌ تمام الرضى (بل راغبةٌ ومشجّعة)، وقالت حين تلقّت خبر مقتلهم: (الحمد لله الّذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقرّ رحمته).[٢٥١]

---

٢٥١ الإصابة في تمييز الصحابة، ص ١١٢\٨.
الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ١٨٢٩\٤.

وتلكم نسيبة بنت كعب الأنصارية (أمّ عمارة)، تذهب مع ولديها وزوجها يوم أحد، فيضرب أَحَدُ أعداءِ الله ابنَها ضربةً قاسية مبرّحة، ثم بَدَلَ أن تبكي على ابنها وتنسَحَبَ به عن القتال، تَضمِدُ جرحه، ثم تَأمُره بالرجوع إلى ساحة القتال؛ فعن عبد الله ابن زيد رضي الله عنه، قال: (جُرِحْت يَوْمَئِذٍ جُرْحًا فِي عضدي اليسرى؛ ضربني رجل كأنه الرّقل، وَلَمْ يَعْرُجْ عَلَيّ وَمَضَى عَنّي، وَجَعَلَ الدّمُ لَا يَرْقَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: «اعْصِبْ جُرْحَك»؛ فَتَقْبِلُ أُمّي إلَيّ وَمَعَهَا عَصَائِبُ فِي حَقْوَيْهَا قَدْ أَعَدّتْهَا لِلْجِرَاحِ، فَرَبَطَتْ جُرْحِي، وَالنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَاقِفٌ يَنْظُرُ، ثُمّ قَالَتْ: انْهَضْ يَا بُنَيّ فَضَارِب الْقَوْمَ؛ فَجَعَلَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ: «وَمَنْ يُطِيقُ مَا تُطِيقِينَ يَا أُمّ عُمَارَةَ؟»). أ.هـ.[٢٥٢] قوّةُ قلبٍ لا تكاد توجد في عصرنا إلا في قليل من النّاس.

انظري إلى أطفال المسلمين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم... انظري إلى قوّة عزمهم، وصلابة رأيهم، وحبّهم للجهاد، وما ذاك إلى بتربية أمّهم لهم؛ طبعا كانت بيئة الصحابة غير بيئتنا هذه، لكنّ القسم الأعظم لتربية هؤلاء الأطفال كان يعود إلى ما تلقّوه في بيوتهم؛ يعود الفضل بَعدَ الله إلى أمّهاتهم؛ وإليكِ بعض الأمثلة لرَجَاحَة عقول أطفال الصّحابة رضوان الله عليهم، ونُورِد هذه الأمثلة لكِ، لكي تتأسَي بهنّ، وتُربّي أولادكِ كما ربَّيْنهم.

ها هو معاذ ابن عفراء مع أخيه (معوّذ)، قد حضرا معركة بدر الكبرى وهما صغيرا السنّ؛ يقول عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه: (إِنّي لَفِي الصّفّ يَوْمَ بَدْرٍ إِذِ التَفَتُّ، فَإِذَا عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السِّنّ، فَكَأَنّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا، إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ: يَا عَمّ أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ؛ فَقُلْتُ: يَا ابْنَ أَخِي، وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: عَاهَدْتُ اللّهَ إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ، فَقَالَ لِي الآخَرُ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ؛ قَالَ: فَمَا سَرَّنِي أَنّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا؛ فَأَشَرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ، فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ، حَتَّى ضَرَبَاهُ، وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ).[٢٥٣]

وليس هذا بالمشهد الوحيد، بل يتكرّر هذا، ولا تكاد تنظر إلى حياة الصحابة، إلا وترى مثله أو أفضل؛ فانظر مثلا إلى رافع ابن خديج وسمرة ابن جندب، فإنّهما رافقا رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى أُحُد وهم أبناء خمس عشر؛ قال ابن هشام رحمه الله: (وَأَجَازَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَئِذٍ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ الْفَزَارِيَّ، وَرَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ،

٢٥٢ الطبقات الكبرى لابن سعد، ص ٨\٣٠٤.

٢٥٣ صحيح البخاري، ص ٤\٧٨، ح رقم ٣٩٨٨.

أَخَا بَنِي حَارِثَةَ، وَهُمَا ابْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ قَدْ رَدَّهُمَا، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إنَّ رَافِعًا رَامٍ، فَأَجَازَهُ، فَلَمَّا أَجَازَ رَافِعًا، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ سَمُرَةَ يَصْرَعُ رَافِعًا، فَأَجَازَهُ). أ.هـ.[٢٥٤]

فتَشَبَّهِي إن لَم تَكُونِي مِثلَهُنْ *** إنَّ التَّشَبُّهَ بِالكِرَامِ فَلَاحُ[٢٥٥]

الدور الثالث؛ الجهاد بالمال

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾. [التوبة: ١١١]. وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. [الصف: ١٠-١١].

وقال:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾. [التوبة: ٢٠]. وقال تعالي:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾. [الحجرات: ١٥].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ).[٢٥٦]

لقد قرن الله سبحانه وتعالى في كل الآيات والأحاديث الآمرة بالجهاد، بين الجهاد بالنفس والجهاد بالمال، ويكفي ذلك دليلا على أهمية هذا النّوع من الجهاد، ويكفي كذلك دليلا على كِبَرِ فضله وعِظَمِ أجره؛ فهو إذن، من أفضل أنواع الجهاد، ومن لم يستطع الوُصول إلى الجهاد بالنفس، أو وصل ولكنّه لم يقدر على القتال، فلْيَعْلَمْ أنّ الجهاد بالمال، هو من أسرع الطُّرق إلى إدراك من سبقه بالفضل والأجر؛ وليعلم بإنّ الله يعلم بعذره، ويقبل منه ما استطاع من عمل، ثم يضاعف له ذلك بكرمه ورحمته.

---

٢٥٤ سيرة ابن هشام، ص ٢\٦٦.

٢٥٥ أرجو من صاحب الشعر أن يصفح عنّي، فالأصل قوله: فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم.

٢٥٦ مسند أحمد، ص ١٩\٢٧٢، ح رقم ١٢٢٤٦.
سنن أبي داود، ص ٣\١٠، ح رقم ٢٥٠٤.

فاعلمي يا أختي في الله، أن الله قد جعل لكِ هذا الطريق لتستدرِكي به من فاتكِ، وتسبقي به من بعدَكِ؛ فاجتهدي فيه وجاهدي، عسى الله أن يُبلِغَكِ به مقاما عاليا في جنّات النعيم؛ فإذا كان لك من المال ما تستطيعين أن تُساعدي به المجاهدين، فلا تبخلي، وتوكّلي على الله وابذلي؛ وإذا رأيت بعض العوائل من الذين ذهب أهلهم إلى الجهاد، فاجعليهم أولى أولياتكِ، وقفي إلى جانبهم بكلّ ما تستطيعين؛ يقول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ غَزَا)[٢٥٧]. تذكّري يا أختي حديث النبيّ صلى الله عليه وسلّم: (تصدَّقنَ ولوْ من حُلِيّكُنَّ)[٢٥٨]، وليس فيما يُبذَل فيه من وجوه الخير، وجهٌ أفضل وأعظم من الجهاد في سبيل الله.

الدور الرّابع؛ معاونة الرجال في الحروب، إذا سهُل لكِ الخروج مع المحرم إلى الجهاد

كانت بعض النساء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرجن مع الرّجال في غزواتهم، فكنّ يسقين الجيش ويخدمنه، ويداوين الجرحى، وإذا حمي الوطيس واحتاج الحرب إليهن، كنّ يقاتلن بالسيوف؛ وقد مررنا بقصّة أمّ عمارة، وكيف شاركت في القتال في أحد، ولم تكن هي الوحيدة.

فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا، فَيَسْقِينَ الْمَاءَ، وَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى).[٢٥٩] وعن الربيع بنت معوذ، قالت: (كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَسْقِي القَوْمَ، وَنَخْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ الجَرْحَى وَالقَتْلَى إِلَى المدِينَةِ).[٢٦٠]

وعن أم عطيّة الأنصارية رضي الله عنها، قالت: (غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ، وَأُدَاوِي الْجَرْحَى، وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى).[٢٦١] وتاريخ الصّحابة حافلٌ بمثل هذه الوقائع التي يشارك فيها النساء مع الرجال في الحروب.

---

٢٥٧ صحيح مسلم، ص ٣\١٥٠٦، ح رقم ١٨٩٥.

٢٥٨ صحيح البخاري، ص ٢\١٢١، ح رقم ١٤٦٦. كذلك في صحيح مسلم، ص ٢\٦٩٥، ح رقم ١٠٠٠.

٢٥٩ صحيح مسلم، ص ٣\١٤٤٣، ح رقم ١٨١٠.

٢٦٠ صحيح البخاري، ص ٤\٣٤، ح رقم ٢٨٨٣.
السنن الكبرى للنسائي، ص ٨\١٤٦، ح رقم ٨٨٣٠.

فإذا كان الجهاد واجباً وجوباً كفائياً، فإنّ الخروج إلى الغزوات لا يجب على المرأة، فإن خرجت، جاز لها ذلك وتُثَاب عليه، ويكون دورها هو القيام بخدمة المجاهدين، وصُنْعِ الطّعام لهم، ومداواة مريضهم، وإسعاف جريحهم ونحو ذلك.

أما إذا أصبح الجهاد فرضًا عينياً (وهو كذلك في الديار التي هاجمها الكفار، كالعراق والشام وأفغانستان والصومال، أو الديار التي هاجم كُفّارها على مسلميها، كبورما وإفريقيا الوسطى)، [٢٦٢] فإنه يجب على كلّ أحد، ويجب على المرأة المشاركة بما تستطيعه، ولا يقتصر دورها فيه على شيء معيّن؛ وكذلك، لا تتوقف مشاركتها فيه على إذن الزّوج، لأنّ فروض الأعيان –مثل الصلاة المفروضة وصيام رمضان–لا يملك الزّوج منع الزوجة منها، والجهاد العينيّ من ذلك.

فهاكِ ما تصنعين: إن كنتِ في أراضي القتال، فشاركي بما استطعت من نفس ومال ولسان، وإن كنتِ في غيرها من الأراضي التي ليس فيها قتال الآن، فساعدي المجاهدين بمالك ولسانك، وإذا استطعت أن تهاجري مع زوجِك فافعلي؛ ولا تخرُجي وحيدة إلى أراضي الجهاد، فإنّ هذا يعرّضُكِ للخطر ولا يُفِيدُ كثيرا.

الدور الخامس: الصبر والاحتساب عند فقدان بعض الأحبّة في سبيل الله

إنّ لكِ في أمّ حكيم رضي الله عنها مثلا؛ جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد، قال: (شَهِدَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ فَتْحَ أَجْنَادِينَ وَفِحْلٍ وَمَرْجِ الصُّفَّرِ، وَكَانَتْ أُمُّ الْحَكِيمِ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ تَحْتَ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، فَقُتِلَ عَنْهَا بِأَجْنَادِينَ، فَأَعْدَتْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا؛ وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ يَخْطُبُهَا، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ يُرْسِلُ إِلَيْهَا فِي عِدَّتِهَا يَتَعَرَّضُ لِلْخِطْبَةِ، فَحَطَّتْ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، فَتَزَوَّجَهَا عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ؛ فَلَمَّا نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ مَرْجَ الصُّفَّرِ، أَرَادَ خَالِدٌ أَنْ يُعَرِّسَ بِأُمِّ حَكِيمٍ، فَجَعَلَتْ تَقُولُ: لَوْ أَخَّرْتَ الدُّخُولَ حَتَّى يَفُضَّ اللَّهُ هَذِهِ الْجُمُوعَ؛ فَقَالَ خَالِدٌ: إِنَّ نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنِّي أُصَابُ فِي جُمُوعِهِمْ؛ قَالَتْ: فَدُونَكَ، فَأَعْرَسَ بِهَا عِنْدَ الْقَنْطَرَةِ الَّتِي بِالصُّفَّرِ، فَبِهَا سُمِّيَتْ قَنْطَرَةَ أُمِّ حَكِيمٍ. وَأَوْلَمَ عَلَيْهَا فِي صُبْحِ مُدْخَلِهِ، فَدَعَا أَصْحَابَهُ عَلَى طَعَامٍ، فَمَا فَرَغُوا مِنَ الطَّعَامِ حَتَّى صَفَّتِ الرُّومُ صُفُوفَهَا صُفُوفًا خَلْفَ صُفُوفٍ، وَبَرَزَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مُعَلَّمٌ يَدْعُو إِلَى الْبِرَازِ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الْعَامِرِيُّ، فَنَهَاهُ أَبُو

---

٢٦١ صحيح مسلم، ص ٣\١٤٤٧، ح رقم ١٨١٢.
مسند أحمد، ص ٤٥\٢٨٢، ح رقم ٢٧٣٠٠.

٢٦٢ هذه ليست قائمة إحصائية، وإنما أخذت هذه الأوطان كأمثلة فقط.

عُبَيْدَةَ، فَبَرَزَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَقَتَلَهُ حَبِيبٌ، وَرَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ، وَبَرَزَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ فَقَاتَلَ فَقُتِلَ؛ وَشَدَّتْ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، وَعَدَتْ وَإِنَّ عَلَيْهَا لَدِرْعَ الْخَلُوقِ فِي وَجْهِهَا؛ فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ الْقِتَالِ عَلَى النَّهَرِ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا، وَأَخَذتِ السُّيُوفُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَلا يُرْمَى بِسَهْمٍ، وَلا يُطْعَنُ بِرُمْحٍ، وَلا يُرْمَى بِحَجَرٍ، وَلا يُسْمَعُ إِلا وَقْعُ السُّيُوفِ عَلَى الْحَدِيدِ وَهَامَ الرِّجَالُ وَأَبْدَانُهُمْ؛ وَقَتَلَتْ أُمُّ حَكِيمٍ يَوْمَئِذٍ سَبْعَةً بِعَمُودِ الْفُسْطَاطِ الَّذِي بَاتَ فِيهِ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ مُعَرِّسًا بِهَا). أ.هـ.[٢٦٣]

تدبّري معي هذا يا أختي: قُتِل زوجها عِكرمة رضي الله عنه، ثمّ ما لبثت أن خرجت من عدّتها حتى تزوّجت، ثم قتل عنها زوجها الثاني في نفس يوم العرس، فلم تقضِ أم حكيم مع زوجها يوما وليلة؛ ثم مع كلّ هذه المصائب (كما تبدوا) المتتالية، قاتلَتْ رضي الله عنها في معركة مرج الصّفر قتالا شرسا، وقتلت من الكفّار سبعةً من علوجهم؛ لم تصرخ أم حكيم بنياحة، ولكنّها صبَرت واحتسبت زوجها سعيد ابن زيد، كما احتسبت زوجها الأول عكرمة؛ وقد سبق أن تكلّمنا عن أمّ عمارة (نسيبة بنت كعب) والخنساء، وأمثالهن في الصحابيات كثير، رضي الله عنهن أجمعين.

ويروى عن جميلة بنت عبد الله ابن أبيّ رضي الله عنها (وكانت زوجة حنظلة ابن أبي عامر، غسيل الملائكة)، أنها رأت في المنام وكأن السّماء قد فُتحت، فدخل منها حنظلة، ثم أُغلِقَت، فأوّلت الرؤيا بأنه سيُتشهد غدا؛ فلمّا رجع حنظلةُ من صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم، دخل بها، حتى إذا ما سمع صيحة الجهاد، لبّى النّداء، ولم يغتسل من الجنابة. والمقصود من القصّة، هو أن نرى كيف كان إيمان هذه الصحابية: عرّست برجل يغلب في ظنّها أنه سيُقتَلُ غدا! فما ضرّها لو أنها لم تتزوّجه، أو أنها لم تدخل به لتحافظ على بكارتها، ولتتفادى صعوبة تربية أيتام مات أبوهم؟ لكنّ الصّحابة، كانوا يفكّرون بغير فكرنا أصلا؛ كانوا أهل الآخرة الحقيقيين.

وها هي صفيّة بنت عبد المطلب (عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم)، يُقتَل حمزة يوم أحد، فانظروا إلى قصّتها؛ يقول ابن إسحاق: (وَقَدْ أَقْبَلَتْ فِيمَا بَلَغَنِي، صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِتَنْظُرَ إلَيْهِ—أي حمزة—، وَكَانَ أَخَاهَا لِأَبِيهَا وَأُمِّهَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِهَا الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ: الْقَهَا فَأَرْجِعْهَا، لَا تَرَى مَا بِأَخِيهَا؛ فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّهُ، إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَرْجِعِي؛ قَالَتْ: وَلِمَ؟ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنْ قَدْ مُثِّلَ بِأَخِي، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ،

---

٢٦٣ الطبقات الكبرى لابن سعد، ص ٤\٧٤.

فَمَا أَرْضَانَا بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ! لَأَحْتَسِبَنَّ وَلَأَصْبِرَنَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ فَلَمَّا جَاءَ الزُّبَيْرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: خَلِّ سَبِيلَهَا؛ فَأَتَتْهُ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ، فَصَلَّتْ عَلَيْهِ، وَاسْتَرْجَعَتْ، وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ). أ.هـ.[٢٦٤]

وانظري إلى قصّة الصحابية حمنة بنت جحش رضي الله عنها في يوم أُحُد، حيث استشهد ثلاثة من أقاربها في يوم واحد؛ يقول ابن إسحاق رحمه الله: (ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَة، فَلَقِيَتْهُ حمنة بِنْتُ جَحْشٍ، كَمَا ذُكِرَ لِي؛ فَلَمَّا لَقِيت النَّاسَ، نُعِيَ إِلَيْهَا أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نُعِيَ لَهَا خَالُهَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نُعِيَ لَهَا زَوْجُهَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، فَصَاحَتْ وَوَلْوَلَتْ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لَبِمَكَانٍ). أ.هـ.[٢٦٥]

أما أمّ حارثة، فقصّتها عجيبة هي الأخرى؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ—وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ—فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ؛ قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى»).[٢٦٦]

وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم حافلٌ بمثل هؤلاء الصّحابيات، ولا يتوقّف هذا على الصّحابيات فقط، بل نجد مثل هذه الأمثلة في جميع تاريخ المسلمين على مدى القرون؛ علمْن هذه النّسوة، أنّ الله قد أعطى في البداية، ثم هو الذي أخذ، وسيُعوّض الصّابرين خيرا في الدّنيا والآخرة؛ وعلمْن أيضا أنّه كان لا بدّ من يومٍ يفارق الحبيب فيه حبيبته، فاجتهَدن بأن يفارقوا أحبّائهن إلى الجنّة وليس إلى النار، ليجمع الله بينهم في نعيم لا ينقطع، في مقعد صدق عند مليك مقتدر. أختي في الله: أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ. [الأنعام: ٩٠].

---

٢٦٤ سيرة ابن هشام، ص ٢\٩٧.

٢٦٥ البداية والنهاية، ص ٤\٤٦.
الكامل في التاريخ، ص ٢\٥١.

٢٦٦ صحيح البخاري، ص ٤\٢٠، ح رقم ٢٨٠٩.

الدور السّادس؛ التضرّع إلى الله بالدّعاء الخالص[٢٦٧]

لقد تكلّمنا عن هذا عند الكلام عن دور الرّجال في الجهاد في سبيل الله، وينطبق على المرأة المسلمة مثل ما ينطبق على الرّجل؛ لا فضل لرجل على امرأة، ولا لامرأة على رجل، إلا بتقوى الله؛ فتضرّعي إلى الله بالدعاء يا أختي، واسأليه الفردوس، ثم ادعي للمجاهدين في سبيل الله؛ تحرّي بدعائك الرّبع الأخير من الليل، فإن الله ينزل عندها إلى السّماء الدنيا، ويُرسِل منادي ينادي: من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له، من يسألني فأُعطيه؛ فسليه ما شِئتِ، وأكثري من الدّعاء للمجاهدين، واعلمي أنّ ملَكا عندك يدعوا لكِ بمثل ما دعوتِ لإخوتِكِ.

أسأل الله بأسمائه الحسنى، أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه؛ وأسأله أن يُقِرّ أعيننا بانتصارات المسلمين على الكافرين؛ وأسأله أن يجعل حياتنا للجهاد في سبيله، ثم يختمَ لنا عملنا بشهادةٍ مقبولةٍ من عنده، بعد حجّ مقبول مبرور، ونحن حافظون لكتابه متّبعون له، فيمحوا عنا الذنوب، ويرفعنا إلى أعلى درجات الفردوس؛ آمين!

***

٢٦٧ للتفصيل، راجعي ما قلته في السابق عند الكلام عن التضرع بالدعاء في أدوار الرجال.

الْمَبْحَثُ السَّادِس: أَسئِلَةٌ مُهِمَّة حَولَ الجِهَادِ وَالمُجَاهِدِينَ فِي هَذَا العَصر

هل نقاتل مع قوم يرتكبون أخطاءً شرعيّة؟

نعم، لأنّ الجهاد فرضٌ شرعي، وإذا تعيّن، فإنه يكون كالفروض الأخرى، لا تُترَك لخطأِ شخص أو جماعة.

الإسلام دينٌ واقعيّ، وليس دينا خياليّا يضرب للنّاس مثاليات لا مكان لها في الواقع؛ ومن واقعيّة هذا الدّين، أنه علم أنّ الآدميّ خطّاء، فلذلك لم يربط أمور الدّين بشخصية (إلا النبي عليه الصلاة والسلام)؛ فلا يُترَكُ واجبٌ لخطأ فلان، كما لا يُقْدَم عليه لصحّة فلان؛ لا يَترُك الناسُ الصلاةَ مثلا إذا أخطأ بعض المسلمين في أدائها، كما لا يتركون الصّوم أو الحج أو الزكاة من أجل خطأ بعض الناس؛ وكذلك إذن، لا يتركون الجهاد في سبيل الله، لكون بعض المسلمين تهاونوا في أداء هذا الواجب على الوجه الأكمل.

إذا أصبح الجهاد فرضا عينيا، فإنّك تقوم به ولو لوحدك. يقول الله تعالى:﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾. [النساء: ٨٤]. يقول القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (وَلِهَذَا يَنْبَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُجَاهِدَ وَلَوْ وَحْدَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّهُم حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي"، وَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ وَقْتَ الرِّدَّةِ: "وَلَوْ خَالَفَتْنِي يَمِينِي لَجَاهَدْتُهَا بِشِمَالِي"). أ.هـ.[٢٦٨]

لكن بما أنّ الجهاد يُثمِرُ أكثر إذا أقمتَه مع جماعة، كان من أصول أهل السنّة أنّه يمضي مع البر والفاجر. للمُذنب ذنبه وعقابه، ولك أجرك بإذن الله. هذا ما إذا كانتِ الذنوبُ لا تصل إلى حدّ الكفر؛ وكذلك إذا لم تكن أنت مشاركا في فعلها، أو آمرا لها، أو مناصرا لفعلها راضيا بها.

لم يأتِ على المسلمين يومٌ خَلو فيه من جميع الأخطاء الشرعيّة، وهذا في كامل تاريخهم، من أيام الصحابة إلى يومنا هذا (وسنأتي ببعض الأمثلة لهذا في الأسطر المقبلة)؛ ولم يتوقّف الجهاد في حقبة من هذه الحُقَب، بل كان يمضي رغم فساد الأمراء والخلفاء، ورغم الاقتتال الذي كان يحصل بين المسلمين من حينٍ لآخر؛ أصبح من أصول أهل السنّة، أنّ الضّرر الأعظم يُزَال بالضّرر الأخف، وبما أنّ الجهاد يحمي للناس توحيدهم ودينهم، فإنّ تركه أعظمُ ضررا على

٢٦٨ تفسير القرطبي، ص ٥\٢٩٣، تفسير سورة النّساء.

المسلمين من القتال إلى جانبِ أمراءٍ جائرين ظالمين (طبعا هذا ما أقاموا الدّين، فإن تركوه، فضررُهم على المجتمع يكون أشدّ من ضرر العدو الخارجي الغازي على المسلمين، وقتالهم يكون واجبا).

يقول الإمام البخاري رحمه الله: (بابٌ الجهادُ ماضٍ مع البَرّ والفاجِرِ، لقولِ النبيّ صلى الله عليه وسلم: "الخيلُ مَعقود في نواصيها الخيرُ إلى يومِ القيامةِ"). أ.هـ.[٢٦٩]

وجاء في سنن أبي داود عن أبي هريرة بسند ضعيف، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: (الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَيْكُمْ خَلْفَ كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ، وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ).[٢٧٠]

الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، لا يخدشه جور جائر أو فسق فاسق. روى جابر ابن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).[٢٧١] فالذي عليه أهل السنة، هو أنّ الغزو يكون مع كلّ مسلم، برّا كان أو فاجرا؛ تَنهَى أنتَ عن الظّلم إذا رأيتَه، وتجاهدُ العدوّ إذا لقيتَه، ولا يكون الذّنبَ عليك إلا مِنَ الذي اقترفتَه، أو أمرت به، أو رضيت به وناصرته.

ونورد هنا كلاما قيّما لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول فيه: (وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، الْغَزْوُ مَعَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ، وَبِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُ إذَا لَمْ يَتَّفِقِ الْغَزْوُ إلَّا مَعَ الْأُمَرَاءِ الْفُجَّارِ أَوْ مَعَ عَسْكَرٍ كَثِيرِ الْفُجُورِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إمَّا تَرْكُ الْغَزْوِ مَعَهُمْ، فَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِيلَاءُ الْآخَرِينَ، الَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ ضَرَرًا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَإِمَّا الْغَزْوُ مَعَ الْأَمِيرِ الْفَاجِرِ، فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ دَفْعُ الْأَفْجَرِينَ، وَإِقَامَةُ أَكْثَرِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ إقَامَةُ جَمِيعِهَا). أ.هـ.[٢٧٢]

---

٢٦٩ صحيح البخاري، ص ٤\٢٨.

٢٧٠ سنن أبي داود، ص ٣\١٨، ح رقم ٢٥٣٣.

٢٧١ صحيح مسلم، ص ١\١٣٧، ح رقم ١٥٦.
مسند أحمد، ص ٢٣\٦٣، ح رقم ١٤٧٢٠.

٢٧٢ مجموع الفتاوى، ص ٢٨\٥٠٦.

ولقد كان كثيرٌ من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الرّاشدين، يكون مع خلفاءٍ فجرة، أو ولاة ظلمة، ولم ينكر أحدٌ من المسلمين ذلك؛ فمثلا، مُعظم الفتوحات التي حصلت في عهد بني أمية، كان يصاحبها ظلمٌ كبير من الولاة والخلفاء؛ كان الحجّاج ابن يوسف يقصف مكّة المكرّمة (أشرف بلاد الله وأعظمها حرمة) بالمنجنيق، ويقتل فيها الصّحابي الجليل عبد الله ابن الزّبير رضي الله عنه، ولم يكن هذا يُوقِف جهاد المسلمين مع الرّومان أبدا، بل كان القتال معهم قائما، ولم يُنكِر أحدٌ من أهل السّنة ذلك، بل كان أهل الخير يبتعدون عن شرّ الولاة وظلمهم وفساد الناس، إلى ثغور الجهاد والرباط؛ وكانوا يُبيّنون الحقّ.

كذلك كان الأمر في عهد بني العباس؛ فقد قامت دولة بني العبّاس على جماجم بني أميّة، كانوا يَقتُلون الأمويّين من دون تفريق، ويُعملون فيهم السيف كما يُصنَع بالعدُوّ؛ فكان الصّالحون من المسلمين الذين كانوا يعيشون في هذه الأزمنة، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وما سمعنا أحدا منهم قال بعدم صحّة جهاد الكفّار في تلك الحقبة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى: (فَإِذَا أَحَاطَ الْمَرْءُ عِلْمًا بِمَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْجِهَادِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الْأُمَرَاءُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَبِمَا نَهَى عَنْهُ مِنْ إعَانَةِ الظَّلَمَةِ عَلَى ظُلْمِهِمْ، عَلِمَ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الْوُسْطَى —الَّتِي هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الْمَحْضِ— جِهَادُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْجِهَادَ، كَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمَسْئُولِ عَنْهُمْ (يعني التتار)، مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ وَطَائِفَةٍ هِيَ أَوْلَى بِالْإِسْلَامِ مِنْهُمْ، إذَا لَمْ يُمْكِنْ جِهَادُهُمْ إلَّا كَذَلِكَ، وَاجْتِنَابُ إعَانَةِ الطَّائِفَةِ الَّتِي يَغْزُو مَعَهَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ؛ بَلْ يُطِيعُهُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَلَا يُطِيعُهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إذْ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ؛ وَهَذِهِ طَرِيقَةُ خِيَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ، وَهِيَ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ طَرِيقِ الحرورية وَأَمْثَالِهِمْ، مِمَّنْ يسلك مَسْلَكَ الْوَرِعِ الْفَاسِدِ النَّاشِئِ عَنْ قِلَّةِ الْعِلْمِ، وَبَيْنَ طَرِيقَةِ الْمُرْجِئَةِ وَأَمْثَالِهِمْ، مِمَّنْ يَسْلُكُ مَسْلَكَ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ مُطْلَقًا، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَبْرَارًا). أ.هـ.[٢٧٣]

أخي، لقد بيّنّا أنّ الجهاد في سبيل الله أصبحَ في زمننا هذا فرضًا عينيّا على كلِّ مكلّف، وهو في هذا المعنى كالصّلاة والصّيام؛ فإن كنت لا تقول بأنّ الصّلاة تُترَكُ لخطأِ فلان، أو أن الصّيام يُـترَكُ لتهاون علّان، فكيف تَفصِل الجهاد، وتقول بأنه يُترَك لخطأِ بعض الناس؛ كيف تقول هذا وقد علمت أنّ الله أوجب الجهاد بنفس الصيغة التي استعملها

٢٧٣ مجموع الفتاوى، ص ٢٨\٥٠٨.

لإيجاب الصيام؛ قال تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾، وقال:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾؛ فعلى أيّ أساسٍ تُخرج الجهاد وحده من هذا؟ هذا ليس صحيحًا أبدا؛ بل تُجاهِد في سبيل الله مع كلّ مسلمٍ، برًّا كان أم فاجرًا، ولا تُعِينُه على ظلمه وفسقه، وتنهى عن المنكرات ما استطعت وكيف استطعت؛ ثم إذا ارتكبَ بعضُهم إثما، فإن الإثم سيكون عليهم وعلى من أمَرهم بفعله فقط، وسيكون لك أجرُ جهادِك كاملًا بإذنِ الله الواحد الأحد.

يقول ابن تيمية رحمه الله: (التَّعَاوُنَ نَوْعَانِ: الْأَوَّلُ؛ تَعَاوُنٌ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، مِنْ الْجِهَادِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَاسْتِيفَاءِ الْحُقُوقِ، وَإِعْطَاءِ الْمُسْتَحِقِّينَ؛ فَهَذَا مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ؛ وَمَنْ أَمْسَكَ عَنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْوَانِ الظَّلَمَةِ، فَقَدْ تَرَكَ فَرْضًا عَلَى الْأَعْيَانِ، أَوْ عَلَى الْكِفَايَةِ، مُتَوَهِّمًا أَنَّهُ مُتَوَرِّعٌ؛ وَمَا أَكْثَرَ مَا يَشْتَبِهُ الْجُبْنُ وَالْفَشَلُ، بِالْوَرَعِ، إذْ كُلٌّ مِنْهُمَا كَفٌّ وَإِمْسَاكٌ. وَالثَّانِي؛ تَعَاوُنٌ عَلَى الإِثم وَالْعُدْوَانِ، كَالْإِعَانَةِ عَلَى دَمٍ مَعْصُومٍ، أَوْ أَخْذِ مَالِ مَعْصُومٍ، أَوْ ضَرْبِ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الضَّرْبَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ فَهَذَا الذي حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ). أ.هـ.[٢٧٤]

هل نقاتل وليس للمسلمين أمير؟

من قال بأنه ليس للمسلمين أمير؟ أمير المؤمنين هو الخليفة أبو بكر إبراهيم البغدادي حفظه الله ونصره. لكن إن أصررت على أن تقول بأنه ليس هو الخليفة، فالجواب على سؤالك هو: نعم؛ نقاتل وليس للمسلمين أمير واحد، لأنّ الجهاد إذا تعيّن، فإنه يكون كالصلاة، تُأَدَّي ولو لم يكن الإمام موجودا.

يقول ابن قدامة المقدسي رحمه الله: (فَإِنْ عُدِمَ الْإِمَامُ، لَمْ يُؤَخَّرِ الْجِهَادُ؛ لِأَنَّ مَصْلَحَتَهُ تَفُوتُ بِتَأْخِيرِهِ). أ.هـ.[٢٧٥]

يقول الدكتور عبد الله عزّام رحمه الله: (ولم يقل أحدٌ أنّ عدم اتحاد المسلمين على أمير، يُسقِط فرضيّة الجهاد؛ بل لقد رأينا المسلمين أيّام الحروب الصليبيّة والتتار يقاتِلون، مع أنّ أمراءهم مختلفون، وفي كلّ بلد أمير أو عدّة أمراء؛ ففي حلب أمير، وفي دمشق أمير، وفي مصر أكثر من أمير، وبعضهم يستنجد بالصليبيين على إخوانهم الأمراء، كما حصل من شاور، الذي استعان بالصليبيين على أمير آخر في مصر، ضرغام). أ.هـ.[٢٧٦]

٢٧٤ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص ١\٤٠.

٢٧٥ المغني لابن قدامة، ص ٢٠٢\٩.

٢٧٦ الدفاع عن أراضي المسلمين أهمّ فروض الأعيان، ص٣٠.

فلا يجوز ترك الجهاد في سبيل الله إذا عُدِم الإمامُ العام للمسلمين، وخاصّة إذا كان الجهاد قد تعيّن على المسلمين، لأنّ الجهاد في هذه الحالة، يجب على كلّ فرد من المسلمين، ويلزم علينا عندها، أن نصنع ما استطعنا، وكيف استطعنا؛ ولن يَسقُطَ عنّا الفرض، ولو كنا لِوَحدنا، كما في الآية السابقة. أخرج الطبري في تفسيره عن أنّ رجلًا سأل البراء: (أحْمل على المشركين وَحدي فيقتلوني، أكنت ألقيتُ بيدي إلى التهلكة؟ فقال: لا إنما التهلكة في النفقة. بعثَ الله رسوله، فقال: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إلا نَفْسَكَ ﴾). أ.هـ.[٢٧٧]

كيف نُوجِد الأمير؟

هل تعتقد حقًّا أن الخليفة المسلم الذي يقود الأمّة الإسلامية في الجهاد، هل تظنّ أنّه سيأتي عبر صناديق الإقتراع؟ أم هل تتوهّم أنّ مشايخ السّلطان الذين هم من يمنع الشباب عن الجهاد في سبيل الله ونصر المستضعفين، هل تظنّ أنهم سيجتمعون يوما على طاولةٍ عريضة، ثم سينتخبون الإمام العامّ للمسلمين (الذي سيهدم في أول ما يهدم، عروش الكفار والمرتدين من طواغيت الشرق والغرب)، هل تظنّ أنهم سيفعلون ذلك؟ حقا هل تعتقد ذلك؟

لا تكن ساذجا! لا يأتي الخليفةُ، ولا تعود الخلافةُ لتحكمَ البلادَ بدين الله، إلا عبر الجهاد والتضحية. فإذا جلسنا وتركنا الجهاد ننتظر الخليفة الذي لا يأتي إلا بالجهاد، ألن نبقى في هذا الضياع طوال الحياة؟ تلك هي الحقيقة.

لقد أَوجَدَ الله لنا الخليفةَ بحمدِه وفضله.

كل ما سبق يكون فقط إذا سلّمنا بأنّ الدّولة الإسلامية (التي قامت في العراق وفي الشام وفي نيجيريا وفي سيناء وفي غير تلك من البلاد الإسلامية) ليست هي الخلافة العظمى، وهي والله كذلك، وأميرها البغداديُّ هو الخليفة. فإن علمتَ ذلك وفقهتَه، فلا عذر لكَ في تَركِ الجهاد البتّة؛ وإن أصررتَ بضلالٍ على عنادك، فإنّ الردّ عليك يكون كما سبق (بأن الجهاد المتعيّن هو كالفروض الأخرى مثل الصّلاة والصّيام، ولا تُترَكُ هذه الفروض لغيابِ إمام). والله أعلم.

---

٢٧٧ تفسير الطبري، ص ٣\٥٨٨، تفسير سورة البقرة.

هل نَخرج بغير إذن الوالدين؟

للجواب عن هذا السؤال، سنُورد كلامًا شافيا للدكتور عبد الله عزّام رحمه الله يقول فيه:

(وتبين لنا أنه لا يُستَأذَنُ أحدٌ في أداء فريضة الجهاد إذا تعيّنتْ؛ فكما أنه لا يُستَأذنُ الوالدُ أو الشّيخ أو السّيد في أداء فريضة الصّبح قبل طلوع الشّمس، كذلك لا يُستأذَنُ أحدٌ في أداء فريضة الجهاد؛ فإذا نام الأب وابنه في مكان واحد، وأراد الابن أن يصلّي الفجرَ وأبوه نائم، فهل يقول أحدٌ بوجوب استئذان الابن لأبيه صلاة الفرض؟! ولْنفْرِض أنّ الأب قد نهى ابنه عن القيام للصّلاة لأيّ سبب في نفس الأب (لِئَلا يُزعِج النائِمين الذين لا يصلّون الفجر، أو لأنّ أباه لا يريد الصّلاة)، فهل يُطيعُ الابن أباه؟!

الجواب واضح: (إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المعْرُوفِ)، (لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ)، (لَا طَاعَةَ لِمَنْ لَمْ يُطِعِ اللَّهَ)، وتَركُ الجهادِ معصية، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق). أ.هـ.[٢٧٨]

هل يحتاج الجهاد إلى رجال، وهل يكفي أن نتبرّع بالمال؟

طبعًا يحتاج إلى رجال، كما يحتاج إلى مالٍ ولسان.

لقد قرّرنا أن الجهاد اليوم، أصبح فرض عين على كلّ مسلم؛ فإذا علمتَ بوجوب الجهاد عليك، فإن هذا يعني أن تصنع ما تستطيع وكيف تستطيع، وهذا يتغيّر بتغيّر الشّخص والمكان؛ فالذين يعيشون اليوم في أماكنِ القتال (كأفغانستان والعراق والشّام والصّومال واليمن ونيجيريا ومصر، وغيرها من الأماكن التي قام فيها الجهاد واندلع)، يختلفون بالقدرة عن الذين يعيشون في الأماكن التي ليس فيها قتال، أو التي يُحاصِرُ حدودَها هؤلاء الطغاةُ المجرمون.

فإن كنتَ صحيح البدنِ معافى، ووجدتَ طريقًا إلى بعض ساحات الجهاد، فإن الجهاد بالنّفس يجب عليك عندها، ولا يكفيك أن تتبرّع بالمال فقط؛ ولكن إذا لم تستطعِ الجهادَ بالنفس، لانعدام الطريقِ إليه، أو لضررٍ فيك يمنعك عن القتال، فإن الجهادَ بالمال يُغني عنك بإذن الله، والله يعلمُ حالَك، وسيُجازيك على قدر نيتك.

---

٢٧٨ الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان، ص ٢٧.

وما يُرَدِّدُه بعضُ النّاس من أنّ ساحات الجهاد لا تحتاج اليوم إلى رجال، بل إلى سلاحٍ ومال فقط، لهو من أكبر وساوس الشيطان، ومن قُيوده التي يستعملها لتثبيط المسلمين عن النّفير؛ كيف يقول أحدٌ بهذا، والمجاهدون في الصّفوف هم من يستنجدون بالمسلمين كلَّ يوم؛ فمَن أَعلَمُ بحال السّاحة، أصحابُ الخنادق، أم أصحابُ الفنادق؟!

يُقاتِلُ المجاهدون اليوم في ساحاتٍ متعددة؛ فهم يقاتلون في أفغانستان، والعراق، والشام، وفلسطين، واليمن، والصّومال، وبورما، وكشمير، وباكستان، وليبيا، ونيجيريا، ومصر، ومالي، ويقاتلون في غير تلك من الأماكن التي لا أتذكّرها الآن؛ وفي كلّ هذه الأمكنة، يواجهون جُيوشا دوليّة جرّارة، ويفوق الكفّارُ عليهم بالعدد والعدّة؛ فالذي يقول بعد هذا كلّه، بأنّ المجاهدين لا يحتاجون إلى رجال، إنما هو جاهلٌ بالواقع، أو منافقٌ يخادع الله ورسوله؛ فلا تستمعْ إلى تثبيط المثبّطين، وإرجافِ المنافقين المجرمين، فقد صنعوا هذا من قبل برسول الله وجيوشه، فأنزل الله فيهم:﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾. [آل عمران: ١٦٧].

ثلاث أسئلة حول منهج المجاهدين في هذا العصر

كثيرٌ من الناس لا يقتنعون بثلاثة أمور في منهج المجاهدين المعاصرين: (١) العمليات الإستشهادية، (٢) قتلُ ما يسمّى ب"المدنيين" من الكفّار، و (٣) وتكفير عوام الرافضة. سأمرّ سريعًا على الأدلة الشرعية لهذه الأمور، وسأُشِير بإذن الله إلى بعضِ الكتب التي قد تشفي الغليل فيهنّ. وليس ما سأكتبُه هنا بحثًا لهذه الأمور، بل تلخيصًا للأدلّة، وذلك لكي يسهُلَ على المسلم الأمرُ. أسأل الله أن يوفّقني إلى السّديد من القول، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

ما حكم العمليات الإستشهاديّة؟

لقد جاءتِ الأدلّةُ من القرآن والسّنّة على جوازِ تسبُّبِ الشّخص بقتْلِ نفسِه إذا كان ذلك في سبيلِ الله، ومعلومٌ أنّ التسبّبَ بالقتل لا يختلفُ في الحكم عن المباشرةِ بالقتل، سواءٌ أكان ذلك قتلًا لنفسه أو لغيره. فعُلمَ من ذلك أن الأمرَ منوطٌ بالنّية والقصد من القتل؛ فالذي أراد قتلَ نفسِه يأسًا من رحمةِ الله، يكون منتحرًا، سواءٌ أباشَر قَتْلَ نفسِه أم تسبّب في قتلها؛ والذي أراد قَتْلَ نفسِه إرضاءً لله تعالى، يكون شهيدًا، سواءٌ أباشرَ قَتْلَ نفسِه أم تسبّب في قتلها.

لا فرق بين المباشرة بالقتل وبين التسبب بها، سواء في المعنى أو في الحكم الشرعي

شخصٌ أراد الخلاص، فوضَعَ نفسَه أمام القطار، فدهَسَهُ، فمات؛ أو قَبَضَ على أسلاكِ الكهرباء ليدخُلَ شخصٌ فيضغطَ على زرّ التشغيل، فكان ذلك، فمات؛ أو أمرَ طفلًا صغيرا بإشارةِ مُسدّسٍ مُعبّإٍ إليه والقبضِ على الزّناد، ففعل الصبيُّ ذلك، فمات؛ أو ألقى نفسَه في وادٍ من السّباع المفترسة ليأكلوه، فأكلوه ومات؛ أو أقرّ على نفسه بالقتل كذبا ليُقتَلَ، فقُتِل قصاصا بإقراره الكاذب... هل هذا الشخص يُعدُّ منتحرا أم لا؟

الجواب: نعم هو منتحر. في كلّ هذه الأمثلة، يكون الشّخص مُنتحرًا قاتلًا لنفسِه، ولو لم يكن قد باشر قَتْلَ نفسِه. لماذا؟ لأنّ النّية هي ما يجعل الأمر انتحارا، لا المباشرة بالقتل؛ فلا يمكِن أن يقولَ عالمٌ بأنّ من تسبّب في قَتْلِ نفسِه يأسًا وقنوطا من رحمة الله (كالأمثلة السابقة) لا يكون منتحرا.. لا يقول بهذا أحدٌ يعرف دينَ الله، وذلك لأن الأحكام تدور مع علَلِها وجودًا وعدما؛ فمن تسبّب بإزهاق نفسه المعصومة بدون وجه حق، يكون منتحرا، سواءٌ أباشر القتل أم لم يباشِر.

ومثل الأمثلة السابقة ما إذا تسبّب بقتلِ غيرِه ممن عُصِم دمُه، كأن يُكرِهَ صبيَّه مَثلًا على قَتْلِ مسلِم، أو يشهدَ اثنان على مسلمٍ ظُلمًا ثم اعترفا بعد قتلِه؛ فلا شكّ أنّ على الإثنين القصاص، ولا خلاف في ذلك. يقول ابن قُدامَة المقدسي رحمه الله: (النَّوْعُ السَّابِعُ: أَنْ يَتَسَبَّبَ إلَى قَتْلِهِ بِمَا يَقْتُلُ غَالِبًا، وَذَلِكَ أَرْبَعَةُ أَضْرُبٍ: أَحَدُهَا، أَنْ يُكْرِهَ رَجُلًا عَلَى قَتْلِ آخَرَ، فَيَقْتُلَهُ، فَيَجِبُ الْقِصَاصُ عَلَى الْمُكْرِهِ وَالْمُكْرَهِ جَمِيعًا). أ.هـ.[٢٧٩] وقتل عمر ابن الخطّاب سبعة لتَمَالُئهم على قتل مسلم، وقال: (لَوْ تَمَالَأَ عَلَيْهِ أَهْلُ صَنْعَاءَ لَقَتَلْتُهُمْ جَمِيعًا)[٢٨٠]، وجاء في البخاري أنّ (رَجُلَيْنِ شَهِدَا عَلَى رَجُلٍ أَنَّهُ سَرَقَ، فَقَطَعَهُ عَلِيٌّ؛ ثُمَّ جاءا بآخَرَ، وَقالا: أخطَأْنا؛ فأبْطَلَ شَهادَتَهُما، وَأُخِذَا بِدِيَةِ الأوَّلِ؛ وَقالَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا تَعَمَّدْتُمَا لَقَطعْتُكُمَا).[٢٨١] وهكذا يكون، وإلا فحتى الذي يَدُسُّ السّمَّ لغيره، لا يكون مُباشِرا بالقتل، بل الآكل هو من يُباشِر بقتل نفسه، لكنّنا نعلم بالضرورة أنّ الذي دسّ السّمّ هم القاتل، ولا شكّ في ذلك.

---

٢٧٩ المغني لابن قدامة، ص ٨\٢٦٦.

٢٨٠ صحيح البخاري، ص ٨\٩، ح رقم ٦٨٩٦.

٢٨١ صحيح البخاري، ص ٨\٩، ح رقم ٦٨٩٦.

بعضٌ من الأدلّة على جوازِ التسبّب بقَتْلِ نفسِه والتغرير بها، إن كان ذلك في سبيل الله

(١) قصّة الغلام الذي دلّ على الطريقة الوحيدة لقتله، فكان هو السبب المباشر لقتله.

جاء في قصّة الغلامِ وأصحابِ الأخدود أنّ الغلامَ قال للملك: (إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ؛ قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي؛ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ، فَمَاتَ؛ فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ).[٢٨٢]

في هذا الحديث، لا شكّ في أنّ الغلام المؤمن قد تسبّب بقَتْلِ نفسِه، لأنّه عَلّمَ عدوَّه الطريقةَ الوحيدةَ لِقَتلِه، ولو لم يفعل ذلك، لما استطاعَ الكافرُ أن يقتله أبدا؛ لكنّ تسبُّبَهُ بقتل نفسه أصبحَ جائزًا هنا لأنّه لمصلحة الدّين، وهو لإرضاء الله سبحانه وتعالى. في حالة مرتكبِ الانتحار الذي قتل نفسه قُنوطًا من رحمة الله، إذا كان المتسبِّبُ بقتل نفسِه قد سَاوى القاتلَ المباشرَ في الذنب والعقوبة، لأنهم يتساوون في النية والهدف، يمكننا استخلاص العكس من ذلك، وهو أنّه في حالة الجهاد، يكون المتسبب بقتل نفسه مساويًا للقاتل المباشر من حيث الأجر، إذا كان الفعل في سبيل الله، لأنهم يتساوون في النية والهدف. والله أعلم بكلّ شيء.

(٢) جواز حمل المسلم الواحد على الآلاف من جحافل الكفر بدون أيّ درعٍ، وإن تيقّن الهلكة.

يجوز التّغريرُ بالنّفس، وحملُ الواحدِ على جحافل الكفّار بدون درعٍ على صدره، واقتحامُ المخاطرِ التي يغلبُ على الظنّ فيها الهلاك، وكلّ هذا إذا كان في سبيل الله.

---

٢٨٢ صحيح مسلم، ص ٤\٢٢٩٩، ح رقم ٣٠٠٥.
مسند أحمد، ص ٣٩\٣٥١، ح رقم ٢٣٩٣١.

عن أسلم رضي الله عنه قال: (كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِثْلُهُ أَوْ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ، وَقَالُوا: "سُبْحَانَ اللَّهِ تُلْقِي بِيَدِكَ إِلَى التَّهْلُكَةِ"؛ فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ؛ إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؛ إِنَّا لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَثَّرَ نَاصِرِيهِ، قُلْنَا بَعْضُنَا لِبَعْضٍ، سِرًّا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَكَثَّرَ نَاصِرِيهِ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا، فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنَّا"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾. [البقرة: ١٩٥]، فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةَ فِي أَمْوَالِنَا، وَإِصْلَاحَهَا، وَتَرْكَنَا الْغَزْوَ؛ قَالَ: "وَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ").[٢٨٣]

وعن معاذ ابن عفراء رضي الله عنه أنّه قال: (يَا رَسُولَ اللَّهِ , مَا يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عَبْدِهِ؟ قَالَ: «غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا» قَالَ: وَأَلْقَى دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ).[٢٨٤]

ومِن أَوضحِ الأدلّة في هذا الأمر ما فَعَلهُ البراء بن مالك في معركة اليمامة، حين حمله أصحابُه على تُرسٍ فوق الرّماح فطرحوه داخل حديقة الموت على العدوّ، فقاتلهم حتى فَتَحَ البابَ وعليه بضعٌ وثمانون جراحة من بين رميةٍ بسهم وضربةٍ بسيف، فحُمِل إلى رحله يُدَاوَي، وأقام عليه خالد شهرا.[٢٨٥]

وحَمَلَ كلٌ مِن سلمة ابن الأكوع والأخرم الأسدي وأبي قتادة رضي الله عنهم لِوَحْدِهِم على جيشٍ يقوده عيينة بن حصن في موقعة ذي قرد، وكان الجيش كثيرا لقول سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه: (يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْقَوْمَ عِطَاشٌ،

---

٢٨٣ السنن الكبرى للنسائي، ص ١٠\٢٨، ح رقم ١٠٩٦٢.
المستدرك على الصحيحين، ص ٢\٣٠٢، ح رقم ٣٠٨٨.
صحيح ابن حبان، ص ١١\٩، ح رقم ٤٧١١.

٢٨٤ مصنّف ابن أبي شيبة ص ٤\٢٢٣، ح رقم ١٩٤٩٩.
السنن الكبرى للبيهقي، ص ٩\١٦٩، ح رقم ١٨١٩٨. وجعل البيهقي اسم الصحابي "عَوْفُ ابْنُ عَفْرَاءَ بْنِ الْحَارِثِ" وليس "مُعاذ ابْنُ عَفْرَاءَ " ابن حجر في الإصابة، عند ترجمة عوف بن الحارث، وهو عوف ابن عفراء، ص ٤\٦١٤.

٢٨٥ الإصابة في تمييز الصحابة، ص ١\٤١٣، ترجمة البراء ابن مالك.

وَإِنِّي أَعْجَلْتُهُمْ أَنْ يَشْرَبُوا سِقْيَهُمْ، فَخَلِّنِي أَنْتَخِبُ مِنْ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَتَّبِعَ الْقَوْمَ، فلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ)؛ فما كان سلمةُ لِيطلبَ مائةً من الرجالِ منتخَبين إلا لكثرةِ العدوّ. ولقد أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم لما صنعوه، فقال : «خَيْرُ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ، وَخَيْرُ فُرْسَانِنَا أَبُو قَتَادَةَ».[٢٨٦]

قال ابن النحاس رحمه الله: (وفي الحديث الصحيح الثابت أدلّ دليلٍ على جواز حمل الواحد على الجمع الكثير من العدو وحده، وإن غلب على ظنّه أنه يُقتَل، وإذا كان مخلصا في طلب الشهادة كما فعل الأخرم الأسدي رضي الله عنه؛ ولم يعب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عليه، ولم ينه الصحابة عن مثل فعله، بل في الحديث دليلٌ على استحباب هذا الفعل و فضله، فإن النبي صلى الله عليه وسلم مدح أبا قتادة وسلمة على فعلهما كما تقدم، مع أن كلاً منهما قد حمل على العدو وحده ولم يتأنّ إلى أن يلحق به المسلمون). أ.هـ.[٢٨٧]

ويقول النوويّ رحمه الله: (وَقَدِ اتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِ التَّغْرِيرِ بِالنَّفْسِ فِي الْجِهَادِ فِي الْمُبَارَزَةِ وَنَحْوِهَا). أ.هـ.[٢٨٨] ويقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله: (وَأَمَّا مَسْأَلَةُ حَمْلِ الْوَاحِدِ عَلَى الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنَ الْعَدُوِّ فَصَرَّحَ الْجُمْهُورُ بِأَنَّهُ إِنْ كَانَ لِفَرْطِ شَجَاعَتِهِ وَظَنِّهِ أَنَّهُ يُرْهِبُ الْعَدُوَّ بِذَلِكَ أَوْ يُجَرِّئُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ، فَهُوَ حَسَنٌ). أ.هـ.[٢٨٩] ويقول ابن تيمية رحمه الله: (وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قِصَّةَ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ، وَفِيهَا أَنَّ الْغُلَامَ أَمَرَ بِقَتْلِ نَفْسِهِ لِأَجْلِ مَصْلَحَةِ ظُهُورِ الدِّينِ؛ وَلِهَذَا جَوَّزَ الْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ أَنْ يَنْغَمِسَ الْمُسْلِمُ فِي صَفِّ الْكُفَّارِ، وَإِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَهُ، إذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ). أ.هـ.[٢٩٠]

فخلاصة المسألة هي

---

٢٨٦ صحيح مسلم، ص ٣\١٤٣٣، ح رقم ١٨٠٧.

٢٨٧ مشارع الأشواق لابن النحاس، ص ١\٥٤٠.

٢٨٨ شرح النووي على صحيح مسلم، ص ١٢\١٨٧.

٢٨٩ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ص ٨\١٨٥.

٢٩٠ مجموع الفتاوى، ص ٣\٥٥٤.

مع أنّ التغرير بالنفس ليس مباشرةً بالقتل، إلا أنّه سببٌ مباشرٌ للقتل، وقد علِمنا مما سبق أنّ الأمران سواءٌ، في الحكم وفي المعنى. فإذا كان الذي نوى الإنتحارَ وجلس أمام القطار ليدعسه فمات، إذا كان قد أخذ حُكمَ المباشِر بقتل نفسه، وجبَ علينا من ذلك أن نُثبِت العكس فنقول، إنّ الذي نَوى الجهاد والشّهادة ثم باشر بقتل نفسه لينكأ بأعداء الله، يأخذُ حُكمَ المغرِّر بنفسِه والمتسبّب بقتلها في سبيل الله، وقد ثبت لنا جوازُ فعله (أعني التغرير بالنفس والتسبب بقتلها في الجهاد)، بل وفضلُه العظيم عند الله، وأنّ الله يضحك إليه لفِعلَتِه تلك. هذا والله أعلم بكلّ شيء.

ما حكم قتل من يسمَّون ب "المدنيين" من الكفّار؟

لا عصمةَ لأحدٍ من النّاس إلا بإيمانٍ أو بأمان؛ فكلّ كافرٍ لم يُؤمِّنْـهُ أهلُ الإسلام بعهدٍ (من ذمّة، أو هدنة، أو أمان)، لا تثبتُ له عصمة، لا في دمٍ ولا في مال، ويُقتَل من قدَر على الحربِ منهم. هذا لعموم الأدلّة الآمرةِ بقتلِ وقتال الكافرين، ويُستَثنَى من هذا العموم ما نصّ الشّرعُ على تحريم قصدِهم بالقتل ممن هم ليسوا أهلا للحرب، من النساء والصبيان والشيوخ ومَن على شاكلتهم.

لا يوجد في الإسلام مسمّى "المدنيين"، ويعنون بهذا اليوم: كلَّ شخصٍ لا يعمل عسكريًّا في الجيوش. إنّ دماء جميع الكافرين مباحة بكفرهم، فيُستهدفون جميعا بذلك، إلا من هم في عهدٍ مع المسلمين. ولا يُستَهدف بالقتل ما استثناه الشرع، ممن هم لا يقدرون على الحروب، وليس ذلك لعِصمَةِ دمائهم في الأصل، فلو كان كذلك، لودّى النبي صلى الله عليه وسلّم من يُقتَلُونَ في الغارات الليلية (التبييت) من نساء وأطفال الكفار، ونعلم أنّه لم يفعل، بل قال أنهم "منهم".[٢٩١] فالشّرع هو من أباح دم الكافرين ابتداءً، ثم هو من منع واستثنى غير القادرين على الحروب، والله أعلم.

<u>الأدلة على جواز قتل الكافر، إذا قَدَرَ على الحرب، ولم يكن عنده عهدٌ من المسلمين</u>

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾. [البقرة: ١٩٣]. فجعلَ اللهُ سببَ القتالِ المبيحِ للقتلِ هو الكفرُ، كما يقوله القرطبيّ رحمه الله: (فَدَلَّتِ الْآيَةُ وَالْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ سَبَبَ الْقِتَالِ هُوَ الْكُفْرُ،

٢٩١ عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الذَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يُبَيَّتُونَ فَيُصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، فَقَالَ: «هُمْ مِنْهُمْ». [صحيح مسلم، ص ٣\١٣٦٤، ح رقم ١٧٤٥].

لِأَنَّهُ قَالَ: "حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ" أَيْ كُفْرٌ؛ فَجَعَلَ الْغَايَةَ عَدَمَ الْكُفْرِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ). أ.هـ.[٢٩٢] [٢٩٣] ويقول ابن العربي رحمه الله: (الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ سَبَبَ الْقَتْلِ هُوَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ:﴿ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾؛ فَجَعَلَ الْغَايَةَ عَدَمَ الْكُفْرِ نَصًّا، وَأَبَانَ فِيهَا أَنَّ سَبَبَ الْقَتْلِ الْمُبِيحَ لِلْقِتَالِ، الْكُفْرُ. وَقَدْ ضَلَّ أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ عَنْ هَذَا، وَزَعَمُوا أَنَّ سَبَبَ الْقَتْلِ الْمُبِيحَ لِلْقِتَالِ هِيَ الْحِرَابَةُ، وَتَعَلَّقُوا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾؛ وَهَذِهِ الْآيَةُ تَقْضِي عَلَيْهَا الَّتِي بَعْدَهَا، لِأَنَّهُ أَمَرَ أَوَّلًا بِقِتَالِ مَنْ قَاتَلَ، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ سَبَبَ قِتَالِهِ وَقَتْلِهِ، كُفْرُهُ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى الْقِتَالِ، وَأَمَرَ بِقِتَالِهِ مُطْلَقًا، مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ بِابْتِدَاءِ قِتَالٍ مِنْهُ). أ.هـ.[٢٩٤]

ويقول تعالى: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾. [التوبة: ٥]. يقول القرطبي رحمه الله في تفسير الآية: (قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) عَامٌّ فِي كُلِّ مُشْرِكٍ، لَكِنَّ السُّنَّةَ خَصَّتْ مِنْهُ مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنَ امْرَأَةٍ وَرَاهِبٍ وَصَبِيٍّ وَغَيْرِهِمْ). أ.هـ.[٢٩٥]

وقال النبي صلى الله عليه وسلّم: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ)[٢٩٦]، وقال: (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ).[٢٩٧]، وقال: ((بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي).[٢٩٨]

---

٢٩٢ تفسير القرطبي، ص ٢\٣٥٣.

٢٩٣ إنّ إباحة القتالِ تعني إباحة قتْلِ الخصم؛ فإذا جاز لك قتال قوم من الأقوام، يعني ذلك أنّ قتلهم جاز لك أيضا. فمثلا، لا يجوز للمسلم قتال المسلمِ بظلم، لأنّ ذلك يؤدّي إلى قتله بظلم؛ وإن فعل، فإنّه يكون قد استحقّ العقوبة. ولا يُهِمُ إن كان الذي قوتل بظلم، قد دافع عن نفسه أو لم يدافع. وعلى هذا، نعلم أنه لما أباح الله لنا قتال الكافرين حتّى يُسلِموا (أو يدفعوا الجزية في حال أهل الكتاب)، وإن لم يبدؤونا بقتال، لزم من ذلك إباحةُ قتلهم حتّى يسلموا، وإن لم يبدؤونا بقتال. والله أعلم.

٢٩٤ أحكام القرآن لابن العربي، ص ١\١٥٥.

٢٩٥ تفسير القرطبي، ص ٨\٧٢.

٢٩٦ صحيح البخاري، ص ٢\١٠٥، ح رقم ١٣٩٩.
صحيح مسلم، ص ١\٥١، ح رقم ٢٠.

٢٩٧ صحيح مسلم، ص ١\٥٣، ح رقم ٢٣.

ففُهِمُ من الأحاديث السابقة أنّ من لم يَقُلْ لا إله إلا الله، ولم يَكفرْ بما يُعبَدُ من دون الله، لا يحرُمُ دمُه ومالُه.

يقول الإمام الشّافعيّ رحمه الله: (حَقَنَ اللَّهُ الدِّمَاءَ، وَمَنَعَ الْأَمْوَالَ—إلَّا بِحَقِّهَا—بِالْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، أَوْ عَهْدٍ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ (لِأَهْلِ الْكِتَابِ)؛ وَأَبَاحَ دِمَاءَ الْبَالِغِينَ مِنْ الرِّجَالِ، بِالِامْتِنَاعِ مِنْ الْإِيمَانِ، إذَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَهْدٌ؛ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾). أ.هـ.[٢٩٩] ويقول الطّبري رحمه الله: (وكذلك أجمعوا على أن المشرك لو قلَّد عنقه أو ذراعيه لحاء جميع أشجار الحرم، لم يكن ذلك له أمانًا من القتل، إذا لم يكن تقدَّم له عقد ذمة من المسلمين أو أمان). أ.هـ.[٣٠٠]
وكذلك يقول القرطبي رحمه الله: (وَالْمُسْلِمُ إِذَا لَقِيَ الْكَافِرَ وَلَا عَهْدَ لَهُ، جَازَ لَهُ قَتْلُهُ؛ فَإِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَمْ يَجُزْ قَتْلُهُ، لِأَنَّهُ قَدِ اعْتَصَمَ بِعِصَامِ الْإِسْلَامِ الْمَانِعِ مِنْ دَمِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ؛ فَإِنْ قَتَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، قُتِلَ بِهِ). أ.هـ.[٣٠١]

ويقول الشوكاني رحمه الله: (أما الكفار فدماؤهم على الأصل الإباحة كما في آية السيف فكيف إذا نصبوا الحرب فظفر المسلمون بأسير أو جاسوس منهم). أ.هـ.[٣٠٢] ويقول الكاساني رحمه الله: (وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْقِتَالِ يَحِلُّ قَتْلُهُ، سَوَاءٌ قَاتَلَ أَوْ لَمْ يُقَاتِلْ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْقِتَالِ لَا يَحِلُّ قَتْلُهُ إلَّا إذَا قَاتَلَ حَقِيقَةً أَوْ مَعْنًى بِالرَّأْيِ وَالطَّاعَةِ وَالتَّحْرِيضِ). أ.هـ.[٣٠٣]

مسند أحمد، ص ٢٥\٢١٤، ح رقم ١٥٨٧٨.

٢٩٨ مسند أحمد، ص ٩\١٢٦، ح رقم ٥١١٥.
مصنّف ابن أبي شيبة، ص ٤\٢١٢، ح رقم ١٩٤٠١.

٢٩٩ الأم للشافعي، ص ١\٢٩٣.

٣٠٠ تفسير الطبري، ص ٩\٤٧٩، تفسير سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ...).

٣٠١ تفسير القرطبي، ص ٥\٣٣٨، تفسير سورة النساء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا...).

٣٠٢ السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ص ١\٩٤٦.

٣٠٣ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ص ٧\١٠١.

وعلى هذا مضت الأمة، حتى سقطت الخلافة، فأصبح المسلمون يتلقّون المفاهيم من الكفّار، وكان مِن ضِمن ما تلقّوه، مفهوم "المدنية"، وهي تلك التي لا أساس لها في الإسلام إطلاقا. الكافرُ ذليل، وهكذا يبقى. لا عِصمةَ لدمه إلا بكلمة التوحيد، أو بعهدٍ يدخلُه مع المسلمين؛ والكفّارُ اليوم، جاءوا بمفهوم المدنيّة ليجعلوا قيمةً لدمائهم المهدورة.

يقول الشافعي رحمه الله أيضا: (قُلْت: بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَرَّمَ دَمَ الْمُؤْمِنِ وَمَالَهُ إلَّا بِوَاحِدَةٍ أَلْزَمَهُ إيَّاهَا، وَأَبَاحَ دَمَ الْكَافِرِ وَمَالَهُ، إلَّا بِأَنْ يُؤَدِّيَ الْجِزْيَةَ، أَوْ يُسْتَأْمَنَ إلَى مُدَّةٍ). أ.هـ.[٣٠٤] وهكذا، يكون دم الكافر مباحًا، ما لم يكن في عهدٍ من المسلمين، أو كان غير قادرٍ على الحرب وحملِ السّلاح.

شبهة

إن قال قائل، إن كان الكفرُ هو ما يُبيح الدّم، فلماذا تُرِكتِ النساء والأطفال والشيوخ والرهبان المنعزلين في صوامعهم؟ قيل له بأنّ الشّارع مَن أمر بذلك، والتخصيص بعد التعميم معلوم في الشرع، ويكفِي.

أما العلّة في ذلك—والله أعلم—فقد تكون بأنّ هؤلاء الضعفاء سيكونون مالا للمسلمين، وأيضا، هم أقربُ إلى قبولِ الإسلام من القادرين على الحرب. وبما أنّ الكفرُ في الكافرِ الأصلي مبيحٌ للقتل وليس موجبا له[٣٠٥]، وكان في إبقاء هؤلاء الضعفاء زيادةُ احتماليةِ قبولهم للإسلام، وكان في بعضهم فائدةٌ للمسلمين، ولمصالحَ أخرى يعلمها الله، مُنِعَ قتلُهم؛ واعلم أنّ أصل الإباحة لدمهم لم يزل قائما فيهم ما داموا مشركين، فإنه لو كانت دمائهم معصومة، لكان فيمن قُتِلَ منهم عن طريق الخطأ قودٌ أو دية، ولا نعرف هذا (أي دفع الدية عن قتلاهم) حصل في السنّة؛ بل ورد في أحاديث التبييت أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم قال في نسائهم وصبيانهم الذين يُقتَلون في الظلام: (هم منهم).[٣٠٦]

---

٣٠٤ الأم للشافعي، ص ١\٣٠١.

٣٠٥ الكفر في الكافر الأصلي يُبيحُ دمَه، ولكنّه لا يوجب قتله؛ فمثلا، الردّة تُوجِب القتل، ولا يمكِنُ أن نترُكَ المرتدّ حيّا إذا أبى التوبة؛ وهذا خلاف الكافر الأصلي الذي لم يتلبّس ما يوجب قتله (كسبّ الرسول صلى الله عليه وسلّم)، فلا يجب أن نقتُل الأخير إذا أُسِر في الحرب، بل يجوز أن نُفَادِيَهُ بأسارى المسلمين، أو أن نمنّ عليه، أو أن نأخذ منه الفداء، كما يجوز لنا أن نقتله.

٣٠٦ عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الذَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؟ يُبَيَّتُونَ فَيُصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، فَقَالَ: «هُمْ مِنْهُمْ». [صحيح مسلم، ص ٣\١٣٦٤، ح رقم ١٧٤٥].

يقول ابن العربي رحمه الله: (فَإِنْ قِيلَ: لَوْ كَانَ الْمُبِيحُ لِلْقَتْلِ هُوَ الْكُفْرُ، لَقُتِلَ كُلُّ كَافِرٍ، وَأَنْتَ تَتْرُكُ مِنْهُمْ النِّسَاءَ وَالرُّهْبَانَ وَمَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مَعَهُمْ. فَالْجَوَابُ: أَنَّا إنَّمَا تَرَكْنَاهُمْ مَعَ قِيَامِ الْمُبِيحِ بِهِمْ لِأَجْلِ مَا عَارَضَ الْأَمْرَ مِنْ مَنْفَعَةٍ أَوْ مَصْلَحَةٍ؛ أَمَّا الْمَنْفَعَةُ، فَالِاسْتِرْقَاقُ فِيمَنْ يُسْتَرَقُّ؛ فَيَكُونُ مَالًا وَخَدَمًا، وَهِيَ الْغَنِيمَةُ الَّتِي أَحَلَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لَنَا مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ. وَأَمَّا الْمَصْلَحَةُ، فَإِنَّ فِي اسْتِبْقَاءِ الرُّهْبَانِ بَاعِثًا عَلَى تَخَلِّي رِجَالِهِمْ عَنْ الْقِتَالِ، فَيُضْعِفُ حَرْبَهُمْ، وَيُقِلُّ حِزْبَهُمْ، فَيَنْتَشِرُ الِاسْتِيلَاءُ عَلَيْهِمْ). أ.هـ.[٣٠٧] هذا والله أعلم بكلّ شيء.

٣٠٧ أحكام القرآن لابن العربي، ص ١\١٥٥.

يُقتَلُ من مُنِع قتلُه إذا قاتل (حقيقةً أو بالمعنى)

كلُّ ما سبق يكون فقط فيما إذا لم يقاتلوا، حقيقةً أو بالمعنى. فإذا قاتلت المرأة مثلا، أو حرّضت، أو دفعت من مالها لقتال المسلمين، قُتِلت كما يُقتَل الآخرون.

وعلى هذا المفهوم، تكون شعوب الكفر اليوم كلّها محاربة، إلا الأطفال؛ لأنّ الشعوب اليوم، ليسوا مَحكُومِين إلا بقدر ما هم حاكِمين؛ هم من يَنتَخِبُون جميع لِجان الدّولة (التشريعية والتنفيذية والقضائية)، وهم من يُموّلون الدّولة من خلال الضّرائب التي يدفعونها، وهم من يُرَوِّجُون لأفكارها في محاربة الجهاد/الإرهاب وغيره من أحكام الدين، على قنواتهم وفضائياتهم، وهم من يرسلون أولادهم لينخرطوا في المؤسسات العسكرية والإستخباراتية. الشعوب هم أوّل المسؤولين اليوم، فما تَصنَعُ حكوماتهم شيئا مما تصنعه بالمسلمين، إلا بمالهم وأبنائهم؛ ولو أرادوا، لغيّروا.

لقد قُتِل دريد بن الصّمة في حنين وهو عجوز أعمى، ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم قتله. جاء في صحيح البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ).[٣٠٨] لكّنه مع كِبَر سنّه، كان خبيرا مجرّبا؛ يقول ابن هشام رحمه الله: (وَفِي بَنِي جُشَمٍ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ شَيْخٌ كَبِيرٌ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا التَّيَمُّنَ بِرَأْيِهِ وَمُعْرِفَتَهُ بِالْحَرْبِ). أ.هـ.[٣٠٩]؛ ويقول الواقدي أنّه كان ابن مائة وستين سنة حين جاء إلى حنين مع قومه.[٣١٠]

---

٣٠٨ صحيح البخاري، ص ٥\١٥٥، ح رقم ٤٣٢٣.
صحيح مسلم، ص ٤\١٩٤٣، ح رقم ٢٤٩٨.
السيرة النبوية لابن هشام، ٢\٤٥٣، باب "مقتل دريد ابن الصّمة".

٣٠٩ السيرة النبوية لابن هشام، ص ٢\٤٣٧.

٣١٠ مغازي الواقدي، ص ٣\٨٨٦.

وعن رباح بن ربيع رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فرأى الناس مجتمعين على شيء. فبعث رجلا فقال انظر علام اجتمع هؤلاء فجاء، فقال على امرأة قتيل. فقال: ما كانت هذه لتقاتل).[٣١١] فدلّ هذا على أنها لو كانت تقاتل كما يقاتل الأخرون، لقتلت كما يقتل الأخرون.

روى ابن هشام في سرية عمير ابن عدي الخطمي: (أن عصماء بنت مروان كانت تعيب الإسلام وأهله، وكان يردّ عليها شاعر الرسول حسان بن ثابت. فقال رسول الله حين بلغه ذلك، ألا آخذ لي من ابنة مروان. فسمع ذلك من قول رسول الله عمير بن عدي الخطمي، وهو عنده. فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها. ثم أصبح مع رسول الله، فقال: يا رسول الله إني قد قتلتها. فقال نصرت الله ورسوله يا عمير. فقال هل عليّ شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال لا ينتطح فيها عنزان). أ.هـ. [٣١٢]

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (وقال: "لا يجوز قتل صبي ولا امرأة وخنثى وراهب وشيخ فانٍ وزمن وأعمى لا رأي لهم ولم يقاتلوا أو يُحرضوا": هؤلاء سبعة أجناسٍ لا يجوز قتلهم إلا بواحد من أمور ثلاثة: الأول: أن يكون لهم رأي وتدبير، فإن بعض كبار الشيوخ ولو كان شيخاً فانياً لا يستطيع أن يتحرك، فإن عنده من الرأي والتدبير ما ليس عند الشاب المقاتل. الثاني: إذا قاتلوا كما لو اشترك النساء في القتال فإنهن يقتلن. الثالث: إذا حرَّضوا المقاتلين على القتال وصاروا يغروهم بأن افعلوا كذا، اضربوا كذا إلى آخره، فإنهم يقتلون؛ لأن لهم تأثيراً في القتال). أ.هـ.[٣١٣]

---

٣١١ سنن أبي داود، ص ٣\٥٣، ح رقم ٢٦٦٩.
السنن الكبرى للنسائي، ص ٨\٢٧، ح رقم ٨٥٧١.
مسند أحمد، ص ٢٥\٣٧١، ح رقم ١٥٩٩٢.

٣١٢ السيرة النبوية لابن هشام، ص ٢\٦٣٦، غزوة عمير بن عدي الخطمي لقتل عصماء بنت مروان.
سير أعلام النبلاء للذهبي، ص ١\٣٧٠، سرية عمير بن عدي الخطمي.

٣١٣ الشرح الممتع على زاد المستقنع، ص ٨\٢٤.

يُقتَلُ من مُنِع قتلُه إذا صعُب تمييزهم من الرجال

فعن الصعب بن جثامة رضي الله عنه أنّه قال: (سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الذَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؟ يُبَيَّتُونَ فَيُصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ؛ فَقَالَ: «هُمْ مِنْهُمْ»).[٣١٤]

فدلّ هذا الحديث دلالة واضحة، على أنه يجوز قتل النساء والأطفال تبعا—لا قصدا—إذا لم يمكن للمسلمين أن يفرقوا بينهم وبين الرجال.

يقول ابن عثيمين رحمه الله: (إذا دعت الضرورة إلى تبييت المشركين، أي قتالهم ليلا، فلا بأس؛ وحينئذ، يُقتل الصبيان والنساء، لأنه يثبت تبعًا ما لا يثبت استقلالا؛ ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "هم منهم"). أ.هـ.[٣١٥]

واعلم أن الصحابة كانوا يقدرون على أن يغزوا عدوهم بالنهار حين يمكن التمييز، ولكنهم لم يفعلوا ذلك؛ فدلّ هذا على أنّ المناط في تحقيق مصلحة الجهاد؛ فإذا كان هناك وقتٌ أو مكان يتميّز فيه الرجال من النساء والأطفال، لكنّنا لا نستطيع أن نهجم عليهم في ذاك الوقت لحراسةٍ مشدّدةٍ مثلا، يجوز لنا أن نهجم عليهم وهم مختلطون في أهاليهم. فمثلا، غزوات منهاتن نُفّذَت بطائراتٍ يغلب الظنّ أنّ فيها بعض النساء والأطفال، إلا أنّه لا يمكن لنا غير ذلك، فلو بحثنا عن طائرةٍ ليس عليها طفل ولا امرأة، لعددنا الحياة كلّها منتظرين.

---

٣١٤ صحيح البخاري، ص ٤\٦١، ح رقم ٣٠١٢.
صحيح مسلم، ص ٣\١٣٦٤، ح رقم ١٧٤٥.

٣١٥ تعليق الشيخ على صحيح مسلم، الشريط الثاني (باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمّد)

لمحةٌ إلى بعض التطبيقات لهذه المفاهيم في حياة النبي صلى الله عليه وسلّم

لما كانت غزوة الخندق، عزم زعيم بني قريظة، كعب ابن أسد، بالغدر، وتآلب مع قريش في حربهم ضدّ المسلمين؛ فلمّا هزم الله المشركين، عمد النبي صلى الله عليه وسلّم إليهم، فحاصرهم، ثم نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلّم؛ فردّ الحكمَ فيهم إلى سعد ابن معاذ؛ فقضى سعدٌ في جميع رجالهم بالقتل، وذلك من دون تمييزٍ بين من كان راضيًا بفعل الزعيم، وبين من بقي داخل الحصن فقط؛ كلُّهم أُعدِموا.

عن عائشة رضي الله عنها قالت (والحديث طويل): (فَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدٍ؛ قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ وَالنِّسَاءُ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ).[٣١٦] فقُتِل رجالُ قريظةَ جميعا، وكان الصحابة ينظرون إلى شعر العانة فيهم، فيَقتُلون من أنبت، ويتركون غيره. فعن عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ رضي الله عنه قال: (عُرِضْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ قُرَيْظَةَ، فَكَانَ مَنْ أَنْبَتَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ، خُلِّيَ سَبِيلُهُ؛ فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنْبِتْ، فَخُلِّيَ سَبِيلِي).[٣١٧]

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه، قَالَ: (كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِي عُقَيْلٍ، فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي، وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ: «إِعْظَامًا لِذَلِكَ، أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ).[٣١٨]

هؤلاء الكفّار أُخذِوا بجريرتين، أُولاهما كفرُهم، والثانية، بقائهم تحت إمرة أمراءَ يحاربون الدّين. يقول الشّافعيّ رحمه الله: (قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – «أُخِذْت بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكُمْ ثَقِيفٍ»، إنَّمَا هُوَ أَنَّ الْمَأْخُوذَ مُشْرِكٌ، مُبَاحُ الدَّمِ

---

٣١٦ صحيح البخاري، ص ٥\٣٥، ح رقم ٣٨٠٤.
صحيح مسلم، ص ٣\١٣٨٩، ح رقم ١٧٦٩، واللفظ لمسلم.

٣١٧ مسند أحمد، ص ٣١\٦٧، ح رقم ١٨٧٧٦.
سنن الترمذي، ص ٤\١٤٥، ح رقم ١٥٨٤.

٣١٨ صحيح مسلم، ص ٣\١٢٦٢، ح رقم ١٦٤١.

وَالْمَالِ لِشِرْكِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَالْعَفْوُ عَنْهُ مُبَاحٌ). ثم قال: (وَلَمَّا كَانَ حَبْسُ هَذَا حَلَالًا بِغَيْرِ جِنَايَةِ غَيْرِهِ، وَإِرْسَالُهُ مُبَاحًا، كَانَ جَائِزًا أَنْ يُحْبَسَ بِجِنَايَةِ غَيْرِهِ لِاسْتِحْقَاقِهِ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، وَيُخْلَى تَطَوُّعًا إِذَا نَالَ بِهِ بَعْضَ مَا يُحِبُّ حَابِسُهُ).

أ.هـ. [٣١٩]

إنّ الكافر لا حرمة له، لأنّه تجرّأ على ربّه، وارتكب أعظم الجرائم وأشنعها (الكفر)، فذلك ما جعله ذليلا مهانا، وقد أبيح للمسلمين دمه وماله وعرضه، إلا أن يعصمها بالعهد، وذلك بدفع الجزية (وهذا لأهل الكتاب فقط على الأرجح)، أو بعقد هدنةٍ مع المسلمين، أو بأمان يعطيه المسلمون. وما سوى ذلك، فلا عصمة لهم إطلاقا، ويُترَك من لا يقدرون على الحروب، فلا يُقصَدُون بالقتل، طاعةً لله ولرسوله. هذا والله أعلم بكلّ شيء.

كتاب جيد في هذه المسائل، لمن يريد الإطلاع أكثر

من المصادر التي تكلّمت عن العمليات الإستشهادية وعن قتل من يسمّون ب"المدنيين"، كتاب فريدٌ بعنوان: "مسائل في فقه الجهاد"، للشيخ أبي عبد الله المهاجر، أكرمه الله وأنزله فسيح جنّاته.

ما حكم تكفير عوام الرّافضة؟

الرافضةُ طائفة كفرٍ وشرك، ويأتي كفرهم من جهات كثيرة ومتعدّدة؛ إنهم يدعُون غير الله، من أهل البيت والصالحين، ويستغيثون بهم، ويحجّون إلى قبورهم؛ يقولون بنقص القرآن ووقوع التحريف به؛ يرفضون السّنّة النبوية المدوَّنة (من صحاحٍ وسنن وغير ذلك، ويَدِينُون بأكاذيبَ اكتتبوها)؛ يقولون بأنّ الله أعطى أئمتهم من الدّين المتّبَع كمثل الذي أعطى النبيين؛ يُكفّرون الصحابة، ويلعنونهم، ويسبّونهم، خاصّة أبا بكرا وعمر وعثمان وأكثر الصّحابة؛ يعتقدون أنّ أئمتهم يعلمون ما كان وما يكون، ومتى وكيف يموتون، وأنّ الدّنيا كلّها للإمام، وأنّ الله فوّض إليهم الأمور، يحلّون ما شاءوا ويحرّمون؛ وفوق هذه الأمور، إنّهم يوالون أعداء الله في كلّ مكانٍ وزمان.

---

٣١٩ الأم للشافعي، ص ٤\٢٦٧.
تفسير الإمام الشافعي، ص ٣\١٢٩٥.

قد يكون هذا غريبا على سمعِك بعضَ الشيء، ولكن تابع الصفحات التالية، فقد سَهّل الله لي أن آتيَ ببعض ما قالوه في كتبهم المعتبره، كالكافي للكُليني (الذي هو بمنزلة البخاري عندنا)، وبحار الأنوار للمجلسي، وغيرهما.

يقول الإمام البخاري رحمه الله: (مَا أُبَالِي صَلَّيْتُ خَلْفَ الْجَهْمِيِّ الرَّافِضِيِّ، أَمْ صَلَّيْتُ خَلْفَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ وَلَا يُسَلَّمُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُعَادُونَ، وَلَا يُنَاكَحُونَ، وَلَا يَشْهَدُونَ، وَلَا تُؤْكَلُ ذَبَائِحُهُمْ). أ.هـ.[٣٢٠]

يقول ابن تيمية رحمه الله: (والشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء، ولهذا كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد، كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب، كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء، وأعظمهم شركاً، فلا يوجد في أهل الأهواء أكذبَ منهم، ولا أبعدَ عن التوحيد منهم، حتى إنهم يخرّبون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه، فيعطّلونها من الجماعات والجمعات، ويعمرون المشاهد التي على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها). أ.هـ.[٣٢١]

ويقول أيضا: (وَأَصْلُ قَوْلِ الرَّافِضَةِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصَّ عَلَى عَلِيٍّ نَصًّا قَاطِعًا لِلْعُذْرِ؛ وَأَنَّهُ إمَامٌ مَعْصُومٌ وَمَنْ خَالَفَهُ كَفَرَ؛ وَأَنَّ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ كَتَمُوا النَّصَّ وَكَفَرُوا بِالْإِمَامِ الْمَعْصُومِ؛ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَبَدَّلُوا الدِّينَ وَغَيَّرُوا الشَّرِيعَةَ وَظَلَمُوا وَاعْتَدَوْا؛ بَلْ كَفَرُوا إلَّا نَفَرًا قَلِيلًا: بِضْعَةَ عَشَرَ أَوْ أَكْثَرَ ثُمَّ يَقُولُونَ: إنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَنَحْوَهُمَا مَا زَالَا مُنَافِقَيْنِ. وَقَدْ يَقُولُونَ: بَلْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا. وَأَكْثَرُهُمْ يُكَفِّرُ مَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ وَيُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ خَالَفَهُمْ كُفَّارًا وَيَجْعَلُونَ مَدَائِنَ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا تَظْهَرُ فِيهَا أَقْوَالُهُمْ دَارَ رِدَّةٍ أَسْوَأَ حَالًا مِنْ مَدَائِنِ الْمُشْرِكِينَ وَالنَّصَارَى وَلِهَذَا يُوَالُونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ عَلَى بَعْضِ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ). أ.هـ.[٣٢٢]

ولا فرق في هذا الكفر والشرك بين عامّتهم وخاصّتهم؛ فكل المشركين مشركون، عامتهم وقادتهم. فكفارُ مكةَ كانوا تبعًا لأبي جهل، وأبي لهب، فهل عَذَرَهُمُ ذلك؟ لا يُعذَرُ في الشرك أحدٌ بَلَغَهُ القرآن. الرسول صلى الله عليه وسلم قاتَلَ الكفارَ، ولم يُميّز بينهم؛ والصحابةُ كذلك، قاتلوا الرّوم والفرس ولم يُفرّقوا بين العامة وبين الخاصة. لذلك، نعلم أنّ جميع الرافضة مشركون، وجميع المشركين حلالوا الدم والمال، لقول الله تعالى:﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾.

---

٣٢٠ خلق أفعال العباد للبخاري، ص ١\٣٣.

٣٢١ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ص ٢\٢٨١.

٣٢٢ مجموع الفتاوى، ص ٣\٣٥٦.

بعضٌ من العقائد الكفرية للشيعة الإمامية، أو الرافضة، أو الإثني عشرية

القول بتحريف القرآن ونقصانه

يروي الكليني قبحه الله في كتابه الكافي عن أبي عبد الله أنه قال: (وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد). أ.هـ.[٣٢٣]

ويقول محمد باقر المجلسي قبّحه الله: (لا يخفى أنّ هذا الخبر وكثيرٌ من الأخبارِ الصحيحة، صريحةٌ في نقصِ القرآن وتغييره، وعندي أنّ الأخبار في هذا الباب متواترة معنًى). أ.هـ.[٣٢٤]

ويقول سلطان محمد الخراساني: (اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار بوقوع الزيادة والنقيصة والتحريف والتغيير فيه بحيث لا يكاد يقع شك في صدور بعضها منهم). أ.هـ.[٣٢٥]

ويقول شيخهم، ابن النعمان البغدادي، المعروف عندهم بالمفيد: (إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وسلم باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان). أ.هـ.[٣٢٦]

القول بأنّ الله فوّض أمور الخلائق إلى أئمّتهم، وأنّهم يقومون مقامه، يحلّلون ما أرادوا ويحرّمون ما أرادوا.

يروي الكليني عن محمد بن سنان قال: (كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام، فذكرت اختلاف الشيعة فقال: إن الله لم يزل فردا متفردا في وحدانيته، ثم خلق محمدا وعليا وفاطمة، فمكثوا ألف ألف دهر، ثم خلق الاشياء وأشهدهم

٣٢٣ الكافي للكُلَيني، ج١، ص ٢٣٩ (ص ٣٢٣ في ال PDF)

٣٢٤ مرآة العقول للمجلسي، ج ١٢، ص ٥٢٥.

٣٢٥ تفسير بيان السعادة، ج ١، ص ١٩.

٣٢٦ أوائل المقالات، للمفيد، ص ٨٠-٨١، "باب ٥٩-القول في تأليف القرآن وما ذكر قوم من الزيادة فيه والنقصان".

خلقها، وأجرى عليها طاعتهم، وجعل فيهم منه ما شاء، وفوض أمر الاشياء إليهم، فهم قائمون مقامه، يحللون ما شاؤا، ويحرمون ما شاؤا، ولا يفعلون إلا ما شاء الله). أ.هـ.[٣٢٧]

القول بأنّ الدنيا كلّها للإمام، يضعها حيث يشاء

يُبَوِّبُ الكُلَيني (صاحب الكافي) لهذا بابًا بعنوان: (باب أنّ الأرض كلها للإمام)، ثم قال في الباب: (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام، يضعها حيث يشاء، ويدفعها إلى من يشاء، جائزٌ له ذلك من الله). أ.هـ.[٣٢٨]

القول بأن أئمتهم أوتوا كالذي أوتي رسلُ الله، وأنّ أئمتهم أركان الأرض، وأنّهم باب الله الذي لا يُؤتَى إلا منه

يقول الكُليني: (باب أنّ الأئمة هم أركان الأرض)، (عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: ما جاء به عليٌّ عليه السلام آخذُ به وما نهى عنه أنتهي عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله، ولمحمد صلى الله عليه وآله الفضل على جميع من خلق الله عزوجل؛ المتعقّب عليه في شئ من أحكامه، كالمتعقب على الله وعلى رسوله؛ والرادّ عليه في صغيرة أو كبيرة، على حد الشرك بالله)، (كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يُؤتَى إلا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري الأئمةُ الهدَى واحدًا بعد واحد؛ جعلهم الله أركان الارض أن تميد بأهلها، وحجته البالغة على من فوق الارض ومن تحت الثرى)، (وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيرًا ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الاكبر، وأنا صاحب العصا والميسم؛ ولقد أَقرّت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد صلى الله عليه وآله؛ ولقد حملت على مثل حمولته، وهي حمولة الرب؛ وإن رسول الله صلى الله عليه وآله يُدعى فيُكسى، وأُدعَى فأُكسَى، ويُستنطَق وأُستنطَق، فأَنطِقُ على حد منطقه؛ ولقد أُعطيتُ خصالًا ما سبقني إليها أحد قبلي: عُلِّمتُ المنايا والبلايا، والأنساب، وفصل الخطاب، فلم يَفُتني ما سبقني، ولم يَعزُب عنّي ما غاب عني، أُبشّر بإذن الله وأؤدّي عنه، كل ذلك مِن الله، مكنني فيه بعلمه). أ.هـ.[٣٢٩]

---

٣٢٧ أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، "باب مولد النبي ووفاته"، ص ٣٣٤.

٣٢٨ أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، "باب أن الأرض كلها للإمام"، ص ٢٥٧.

٣٢٩ أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، "باب أنّ الأئمة هم أركان الأرض"، ص ١٤١.

القول بأنّ الإمامة أعلى مرتبة من النبوة

يقول الخميني في كتابه "الحكومة الإسلامية": (إنّ للإمام مَقاماً محموداً، ودرجةً سامية، وخلافةً تكوينيةً، تخضع لولايتها وسيطرتها جميعُ ذرّات هذا الكون؛ وإنّ من ضروريات مذهبنا، أنّ لأئمّتنا مَقاماً لا يبلغه مَلَك مقرَّب، ولا نبي مُرسَل). أ.هـ.[٣٣٠] كما يصف الخميني أئمّتهم بقوله: (لا يُتَصوَّر فيهم السهوَ والغفلة). أ.هـ.[٣٣١] ويقول كذلك: (تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن). أ.هـ.[٣٣٢]

القول بتكفير الصحابة جميعِهم، إلا بضعة نفر يروي كبيرهم أنهم ثلاثة

تقوم عقيدتهم على سَبّ الصحابة رضوان الله عليهم، وتكفيرهم وبُغضهم ولَعْنهم واتهامهم بالفسق والضلال، خاصةً الخلفاء الثلاثة، وأمهات المؤمنين عائشة وحفصة، رضوان الله تعالى على الصحابة أجمعين. يزعمون أنّ الصحابة رضوان الله عليهم قد ارتدّوا عن الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، إلا نفراً قليلاً منهم.

يروي الكليني في الكافي: (عن أبي جعفر عليه السلام قال: **كان الناس أهل ردة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) إلا ثلاثة**؛ فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الاسود، وأبوذر الغفاري، و سلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم؛ ثم عَرَفَ اناسٌ بعدَ يسير، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى، وأبوا أن يبايعوا، حتى جاؤوا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرها، فبايع؛ وذلك قول الله تعالى: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين"). أ.هـ.[٣٣٣]

---

٣٣٠ الحكومة الإسلامية للخميني، ص ٥٢ (الولاية التكوينية).

٣٣١ الحكومة الإسلامية للخميني، ص ٩١ (باب "منصب العلماء محفوظٌ دائما).

٣٣٢ الحكومة الإسلامية، للخميني، ص ١١٣.

٣٣٣ فروع الكافي (ج ٨)، كتاب الروضة، ص ١٣٣، "حديث على بن الحسن مع يزيد".

وما يعرفونه بدعاء الصنمين مدوّنٌ في كتبهم، فيقولون: (اللهم صلِّ على محمدٍ وآل محمد، والعن صنمي قريشٍ وجبتَيْهما وطاغوتَيْهما وابنتَيْهما)..[٣٣٤] يقصدون بذلك أبا بكرٍ وعمر وعائشة وحفصة، رضوان الله عليهم.

ويقول نعمة الله الجزائري: (نقول: إنّ الربّ الذي خليفةُ نبيّه أبو بكرٍ، ليس ربَّنا، ولا ذلك النبيُّ نبيَّنا). أ.هـ.[٣٣٥]

ويقول الخميني: (وجملة الكلام أنه حتى إذا صرح القران بذلك، فإنهم لن يتراجعوا عن هدفهم، ولن يتركوا الرئاسة بسبب كلام الله؛ غاية الأمر أنّ أبا بكر يحلّ المسالة بِوَضْعِ حديثٍ، كما حصل بالنسبة لآيات الإرث؛ أما عمر، فلا يُستَبعَدُ منه أن يقول في أخر الأمر أنّ الله أو جبرئيل أو النبي قد اشتبهوا في هذه الآية، فيتركها؛ والسنة حينئذٍ ستتبعه كما تبعوه في جميع تغييراته التي أوجدها في دين الإسلام، وكان كلامه مقدما على الآيات القرآنية وكلام الرسول).
أ.هـ.[٣٣٦]

جحود السنّة الصحيحة المدوّنة

يعتبرونها مكذوبةً غيرَ صحيحة، لأنّ رُواتها هم من الصحابة الذين يكفِّرونهم، وقد سبق ما يرويه الكُليني في الكافي حيث يقول: (عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) إلا ثلاثة؛ فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الاسود، وأبوذر الغفاري، و سلمان الفارسي). أ.هـ.[٣٣٧] فجلّ الصحابة الذين نروي عنهم في كلّ أحكام الدين، يرون أنهم إما كفرة فجرة، أو ظلمة فسقة، لا يُعتدّ بهم، ولا يؤخذ بحديثهم. كيف لا وهم يلعنون أبا بكرٍ وعمرَ وعائشةَ وحفصةَ، ويرَونَ أبا هريرةَ—الذي نروى عنه أكثر الأحاديث—مِن أكذَبِ الكذّابين؟

---

٣٣٤ "الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية"، لمحب الدين الخطيب، ص ١\٢١. لم أستطع أن أعثر على ما كُتِب في "مفاتيح الجنان" ولا في بحار الأنوار، وذلك لاختلاف ترقيم الطبعات؛ لكن بما أن الاستشهاد بها كثير جدا، علمت أنّ المذكور يوجد في كتبهم.

٣٣٥ الأنوار النعمانية، ج ٢، ص ٢٤٣، "باب نور في حقيقة دين الإمامية وأنه يجب اتباعه دون غيره".

٣٣٦ كشف الأسرار للخميني، ص ١٢٦، "باب مخالفات عمر لكتاب الله".

٣٣٧ فروع الكافي (ج ٨)، كتاب الروضة، ص ١٣٣، "حديث على بن الحسن مع يزيد".

يقول محمد حسن آل كاشف الغطاء: (أما ما يرويه مثل أبي هريرة، وسمرة بن جندب، ومروان بن الحكم، وعمران بن حطان الخارجي، وعمرو بن العاص، ونظائرهم فليس لهم عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة، وأمرهم أشهر من أن يذكر). أ.هـ.[٣٣٨]

ويقول حسين بن عبد الصمد العاملي عند كلامه عن مراتب الحديث: (فصحاح العامّة كلها وجميع ما يروونه غير صحيح). أ.هـ.[٣٣٩، ٣٤٠]

ويَتّهِمُ الخمينيّ أبا بكرٍ الصديق رضي الله عنه في كتابه "كشف الأسرار"، بأنه (يضع الحديث).[٣٤١]

القول بأنّ أهل السنّة نواصبُ كفرة

يعتقدون أنّ أهل السنّة نواصب كافرون، وأنّ كل مَن لا يعتقد بولاية الأئمة الإثنا عشر، يكفر. يروي الكليني: (عن عبدالله بن جندب أنه كتب إليه الرضا عليه السلام: أما بعد)، ثم قال: (وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الاسلام غيرنا وغيرهم). أ.هـ.[٣٤٢]

---

٣٣٨ أصل الشيعة وأصولها، لمحمد حسين ال كاشف الغطاء، ص ١٦٥ (ص ١٦٩ في الإلكتروني).

٣٣٩ وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، لحسين بن عبد الصمد العاملي. الصفحةُ لا تبدوا في الكتاب على هذا الرابط، لكنّك تستطيع أن تبحث بكلمة "فصحاح العامّة كلها"، وتجد الكلام. تصنع البحث ب"CTRL+F".

٣٤٠ يقصد بكلمة "العامّة" أهلَ السنّة، وهو يستخدمها هكذا في كتابه، كقوله: (فلنذكر مَنْ نقلنا عنه أحاديثنا، وأخذنا معالم ديننا، وسبب العدول عمّا تفرّد العامّة بنقله)، وقوله: (وحديثُ الغَدِيْرِ مُتَواتِرٌ عندنا، وحديث «مَنْ كَذِبَ عليَّ مُتعمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من االنار» مُتَواتِرٌ عند العامّة، لأنّه نقله عن النبيّ—صلى الله عليه وآله—الجَمُّ الغَفِيْرُ)، وقوله: (ومَنْ رأينا كلامه من أصحابنا لم يعتبر هذين القيدين، وقد اعتبرهما أكثرُ محدّثي العامّة)، وقوله: (الثالث: الموثّق: وهو من حواصّنا، لأنّ العامّة يُدخلونه في قسم الصحيح)؛ والأمثلة كثيرة؛ فعلى هذا، عرفنا أنّ قصده بالعامّة إنما هو أهل السنة.

٣٤١ كشف الأسرار للخميني، ص ١٢٦، "باب مخالفات عمر لكتاب الله".

٣٤٢ أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، "باب ان الائمة ورثوا علم النبي وجميع الانبياء والاوصياء الذين من قبلهم"، ص ١٦١.

القول بأنّ أئمّتهم يعرفون الغيب

يقول الكليني: (باب أنّ الائمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون، وانه لا يخفى عليهم الشئ، صلوات الله عليهم)، ثم يروي (عن الحارث بن المغيرة، وعدة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبوعبيدة وعبدالله ابن بشر الخثعمي، سمعوا أبا عبدالله عليه السلام يقول: إني لاعلم ما في السماوات وما في الارض، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون). أ.هـ.[٣٤٣] ويروي الكُليني أيضا في نفس الباب: (عن سيف التمار قال: كنا مع أبي عبدالله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر، فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدا فقلنا: ليس علينا عين؛ فقال: ورب الكعبة ورب البنية، ثلاث مرات، لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما، لأنّ موسى والخضر عليهما السلام أُعطِيَا علم ما كان، ولم يُعطَيَا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة). أ.هـ.[٣٤٤]

ويقول أيضا: (باب: أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم، قال أبوعبدالله عليه السلام: أيّ إمام لا يعلم ما يصيبه فليس ذلك بحجةٍ لله على خلقه). أ.هـ.[٣٤٥]

القول بنزول الوحي على فاطمة رضوان الله عليها

يقولون بأنّ مَلَكًا كان يأتي فاطمةَ بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنها، وذلك بعد وفاته، ويقولون بأنّ عليًّا كتب من كلام المَلَكِ مُصحَفًا (وهو مصحف فاطمة).

يقول الكُلينيُّ في الكافي: (إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وسلم، دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل؛ فأرسل الله إليها ملكًا يسلّي غمّها ويحدّثها؛ فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال: إذا أحسستِ بذلك، وسمعتِ الصوت، قولي لي؛ فأعلَمَتْهُ بذلك؛ فجعل أمير المؤمنين رضي الله

---

٣٤٣ أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، " باب أنّ الائمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون"، ص ١٥٥.

٣٤٤ أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، " باب أنّ الائمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون"، ص ١٥٥.

٣٤٥ أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، " باب: أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم"، ص ١٥٣.

عنه يكتبُ كلّ ما سمع حتى أثبتَ من ذلك مصحفًا. ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون). أ.هـ.[٣٤٦]

نكاح المتعة

يروي فتح الله الكاشاني عن جعفر الصادق في كتابه (منهج الصادقين) زاعماً ما يلي: (إنّ المتعة من ديني ودين آبائي، فالذي يعمل بها يعمل بديننا، والذي يُنكرها ينكر ديننا، بل إنه يَدين بغير ديننا، وولدُ المتعة أفضلُ من ولد الزوجة الدائمة، ومُنكِرُ المتعة كافر مرتدّ)!..

بعضٌ من الأعمال الكفرية اليومية للرافضة

دعاء الأموات والإستغاثة بهم

إنّ الشرك في دين الرافضة أساسٌ لا يتجزّأ منه، فمن أراد، فليرَ مظاهر الشرك في حسينياتهم، من دعاءٍ لغير الله، وذبح ونذر لغير الله، وحجٍّ إلى القبور في كربلاء، وغير ذلك. إذا جلسوا، "يا حسين"، وإذا قاموا، "يا علي"، وإذا حاربوا، "يا عباس"، وإذا اشتدّت عليهم البلايا، "يا زينب". إنّ الرافضة يرتكبون شركا لم يرتكبه حتى أسلافهم من مشركي قريش؛ فقريش لم تكن تدعوا غير الله عندما يشتدّ البلاء والخطب، ولم تكن تدّعي أنّ الأولياء يعرفون ما كان وما سيكون، وأنه لا يخفى عليهم الشيء، ولم يكونوا يدّعون بأنّ الله قد فوّض أمور الخلائق إلى أوليائهم، وأن الدنيا كلّها لهم، وغير ذلك من الأمور التي يقولها الروافض في أئمّتهم.

إنّ الروافض مشركون، والشرك مبدأ ثابت في دينهم. كيف لا وعلمائهم من يُأسّس لهم هذا الشرك. أليس المجلسي (وهو من أكبر علمائهم) من يقول—مثلا—في بحار الأنوار: (روى السيد ابن طاووس في كشف المحجّة من كتاب الرسائل لمحمد ابن يعقوب الكليني، عمن سماه، قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام، أنّ الرجل يحبّ أن يفضي إلى إمامه ما يحبّ أن يفضي إلى ربه؛ فكتب: إن كانت لك حاجةٌ، فحرّك شفتيك، فإنّ الجواب يأتيك). أ.هـ.[٣٤٧]

---

٣٤٦ أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، "بابٌ فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة"، ص ١٤٢.

٣٤٧ بحار الأنوار، "باب الإستشفاع بمحمد وآل محمد في الدعاء"، ص ١٩.

ويقول: (استغاثةٌ اخرى: روى المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال إذا كانت لك حاجة إلى الله، وضقت بها ذرعا، فصل ركعتين؛ فإذا سلمت ،كبر الله ثلاثا، وسبح تسبيح فاطمة عليها السلام، ثم اسجد، وقل مائة مرة: "يا مولاتي فاطمة أغيثيني"؛ ثم ضع خدّك الأيمن على الارض، وقل مثل ذلك؛ ثم عد إلى السجود، وقل ذلك مائة مرة وعشر مرّات، واذكر حاجتك فإن الله يقضيها). أ.هـ.[٣٤٨]

ويقول قبّحه الله: (إذا كانت لك حاجة إلى الله عز وجل، فاكتب رقعة على بركة الله، واطرحها على قبر من قبور الأئمة عليهم السلام إن شئت، أو فشدّها، واختمها، واعجن طيناً نظيفاً، واجعلها فيه؛ واطرحها في نهر جار، أو بئر عميقة، أو غدير ماء، فإنها تصل إلى السيّد عليه السلام، وهو يتولى قضاء حاجتك بنفسه، والله بكرمه لا يخيب أملك). أ.هـ.[٣٤٩]

ويقول: (وجدت في بعض مؤلفات أصحابنا هذا الخبر رواه بإسناده عن أبي الوفاء الشيرازي قال: كنت مأسورا بكرمان في يد ابن إلياس مقيداً مغلولاً، فأُخبِرتُ أنّه قد همّ بصلبي، فاستشفعت إلى الله عزّ وجلّ بزين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، فحمَلَتنِي عينيّ، فرأيت في المنام رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم وهو يقول: لا يُتَوَسَّلُ بي ولا بابنتي ولا بابنيّ في شيءٍ من عروض الدنيا، بل للآخرة وما تؤمّل من فضل الله عزّ وجلّ فيها؛ فأمّا أخي أبو الحسن، فإنه ينتقم لك ممَن يظلمك.. فقلت: يا رسول الله، أليس قد ظُلمَت فاطمةُ، فصَبَر، وغُصِبَ هو على إرثك، فَصَبَر؛ فكيف ينتقم لي ممن ظلمني؟... فقال صلى الله عليه وسلّم: ذلك عهدٌ عهدته إليه وأمرته به، ولم يجد بدّاً من القيام به، وقد أَدَّى الحقَ فيه؛ والآن، فالويل لمن يتعرض لمولاه. وأمّا علي بن الحسين فللنجاة من السلاطين ومن مفسدة الشياطين .. وأمّا محمد بن علي وجعفر بن محمد فللآخرة .. وأمّا موسى بن جعفر فالتمس به العافية .. وأمّا علي بن موسى فللنجاة في الأسفار في البر والبحر .. وأمّا محمد بن علي فاستنزل به الرزق من الله تعالى .. وأمّا علي بن محمد فلقضاء النوافل وبر الإخوان .. وأمّا الحسن بن علي فللآخرة .. وأمّا الحجة فإذا بلغ السيف منك المذبح – وأومأ بيده إلى حلقه – فاستغث به، فهو يغيثك، وهو كهفٌ وغياث لمن استغاث به. فقلت: يا مولاي.. يا صاحب

---

٣٤٨ بحار الأنوار، "باب الإستشفاع بمحمد وآل محمد في الدعاء"، ص ٢٥-٢٦.

٣٤٩ بحار الأنوار، "باب الإستشفاع بمحمد وآل محمد في الدعاء"، ص ٢٥.

الزمان.. أنا مستغيثٌ بك؛ فإذا أنا بشخصٍ قد نزل من السماء تحته فرسٌ، وبيده حربةٌ من حديد، فقلت: يا مولاي، اكفني شرّ مَن يؤذيني؛ فقال: قد كفيتُك، فإنني سألت الله عزّ وجلّ فيك وقد استجاب دعوتي). أ.هـ.[٣٥٠]

وما هذا إلا اليسير، وإلا فإنّ جميع دينهم مبنيٌّ على الكذب والغلوّ في الصالحين ورفعهم إلى درجة الألوهية، فيُدعَون ويُستغاثُون، ويُنذَر لهم، ويُحَجُّ إلى قبورهم، كما جاء في الكافي وغيره: (إنّ زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجّة، وأفضل من عشرين عمرة وحجّة)[٣٥١]... اللهم إنّا نعوذ بك من الضلال.

مولاة الكافرين على المسلمين

إنّ التاريخ لم يسجِّل للشيعة جهادًا واحدا ضدّ الكفار؛ بل العكس، فهم دائمًا ما يتحالفون مع أعداء الله جلّ جلاله، ويُنكّلون بالمسلمين. وهذه الصفة دائمةٌ وملازمة لهم، وهي توضّح للناس حقيقتهم، وتهتك سترهم، وتفضحهم؛ ذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه:﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۞ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾. فجعل الله للأمة علامةً يعرفون بها الضالّين المنافقين، ألا وهي موالاة المشركين على أهل الملّة والدين. فإذا ادّعت طائفةٌ من الطوائف أنّها على الحقّ، فانظر إليها: هل تجاهدُ أعداء الله؟ ما موقفها من الكفّار، أعداءِ الله ورسولِه والمؤمنين؟

لم يغزُ علينا عدوٌّ جرّار طوال تاريخ أمتنا، إلا وكان الروافض حلفائه ومسانديه؛ فمن تحالف الفاطميين في مصر مع الفرنجة ضدّ السلاجقة ثم الزنكيين ثم صلاح الدين، مرورا بمؤيد الدين ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي، وتحالفهما مع التتار عند غزوهم المسلمين، إلى رافضة اليوم في العراق، المتحالفين مع الأمريكان وجميع أصناف الكفر والزندقة. وما هذا إلا اليسير، وإلا فإن هذه الطائفة المجرمة لا تعرف لها دينا إلا الكذب والشرك وموالاة الأعداء. إنّهم خنجر مسموم في خاصرة المسلمين؛ أسأل الله أن يذلّهم ويزيلهم عن خارطة الدنيا.

---

٣٥٠ بحار الأنوار، "باب الإستشفاع بمحمد وآل محمد في الدعاء"، ص ٢٩.

٣٥١ الكافي للكُليني (الفروع)، "باب فضل أبي عبد الله الحسين"، ص ٣٣٤.

***

الْمَبْحَثُ السَّابِعُ: الخَاتِمَة

لا حَلّ إلا في الجهاد في سبيل الله

لو كان هناك طريقٌ إلى العزّة غيرَ التضحيةِ والفداءِ وبَذْلِ المُهَج رخيصةً في سبيل الله، لكان الله قد أعطاه لأحبِّ خلقه إليه، رسولِه محمد، عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم. لقد عاش النبي صلى الله عليه وسلّم في مكّة ثلاثَ عشرةَ سنة، لاقى فيها (هو وأصحابُه) من الكفّار كلَّ أصنافِ العذاب؛ ثم انتقل عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، فقضي وقتَه فيها إمّا في غزوٍ أو في تجهيز. لقد مكث النبي صلى الله عليه وسلّم في المدينة عشرَ سنواتٍ، غزا فيها بنفسِه تسعَ عشرةَ مرّة، وأرسل من السّرايا ما يبلغ تعدادُه من أربعين إلى المائة مرّة (باختلافٍ في الروايات).

فقل لي بربّك، لماذا كان هذا الطريق الشاقّ هو ما سلكه نبي الله صلّى الله عليه وسلم؟ الجواب: لأنّه هو الطريق الوحيد. لقد اقتضت سنّة الله التي لا تتبدّل، أن يكون الكافرون على حربٍ مع دين الله، يحاولون إزهاقهُ وهو في المهد، ولا يمكن أبدًا أن يتركوا أهل هذا الدّين ليعبدوا الله ويتّبعوا أوامره؛ إنهم يرون في الدّين تهديدا لعروشهم. فاعلم أخي المسلم، أنّ الله كما أنزل إلى الناس الكتب، أنزل معها الحديد (السيف)، وهو ما يكفّ الله به بأس الذين كفروا.

اليوم، لقد جرّبنا كلّ الحلول، وأخذنا من كلّ ما يُدَّعَى أنّه دواء (إلا الحلّ الشرعي)، ولم نجد لأمّتنا إلا زيادةً في القهر والظلم والبطش الذين يأتينا من قِبَلِ أعداءنا، أعداءِ الله ورسوله. لقد جرّبنا الشيوعية، والديموقراطية، والعلمانية، والزندقة، وكلّ ما بين ذلك، فلم يزدننا إلا إلحادا وكفرا وتعدّيا على حقوق ربّنا، من جهة، وقهرا وظلما وتقتيلا وبطشا لا يُعطينا فرصةً للنفس، من الجهة الأخرى. فما الحلّ إذن؟

الحلّ ليس في صناديق الإقتراع، فلقد رأينا بأعيننا ما حصل لضُلّال "الإخوان" وكيف أذلّهم الله حين تركوا دينه واستبدلوه بدين الديموقراطية والقومية؛ وكذلك رأينا ما حصل ويحصل للصّحوات في العراق، الذين باعوا دينهم بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة، وحاولوا أن ينخرطوا في الدّولة المرتدة، فلم يرو من دولتهم المزعومة إلا الإهانة والتنكيل؛ أذلّهم ذلّا بليغا، ليكونوا عبرةً لمن يعتبر من أهل القلوب والأبصار.

الحلّ في دين الله. يجب أن يرجعَ المسلمون إلى الجهاد في سبيل الله وإلى الحكم بكتاب الله، كاملا لا يتركون منه حرفا واحدا. هذا هو الحل، ولا حلّ غيره لرفع الذلّ، لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ).[٣٥٢]

هَذَا السَّبِيلُ وَإِن بَدَا *** مِن صَاحِبِ النَّظَرِ الكَلِيل
دربًا طَوِيلاً شَائِكًا *** أَو شِبهَ دَربٍ مُستَحِيل
لاَ دَرْبَ يُوصِلُ غَيرَهُ *** مَعَ أَنّهُ دَرْبٌ طَوِيل

الحلّ في السيف والقتال، لأنّ الطواغيت لا يفهمون غير لغة السّيف، وهكذا كانوا منذ أيامهم الأولى؛ لقد أنزل الله تعالى في كتابه قولَه:﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾؛ لم يأمرنا الله بملاطفة الأعداء لكفّ بأسهم، بل القتال هو ما يَكُفّ اللهُ به بأس الكفّار. هكذا كانوا، وهكذا يكونون حيثما كانوا... لن ينفع معهم إلا السيف.

وَنَكْتُبُ حُلْمَ قَرْيَتِنَا *** بِحِبرٍ لَونُهُ أَحْمَرْ
وَوَهْجِ النَارِ مُضْرَمَةً *** وَحَدِّ الرُّمْحِ وَالخِنْجَرْ
وَنَكْتُبُ أَلْفَ مَلْحَمَةٍ *** بِسَيْفٍ قَاطِعٍ أَبْتَرْ
فَلَيْسَ اليَوْمَ مِنْ لُغَةٍ *** تَسُوْدُ زَمَانَنَا الأَسْعَرْ
سِوَى الصَمْصَامِ ثَرْثَارًا *** وَعَصْفِ المَوْتِ إِنْ زَمْجَرْ

٣٥٢ سنن أبي داود، ص ٣\٢٧٤، ح رقم ٣٤٦٢، وصحّحه الألباني.
مسند أحمد، ص ٩\٣٩٦، ح رقم ٥٥٦٢، وفيه ضعف في الإسناد.

كلمة للمسلم الصادق

خير الكلام ما قلّ ودلّ؛ لقد أصبح الجهاد في سبيل الله اليوم من آكد الواجبات، ويجب على كلّ مسلم أن يصنع ما يستطيع، تبرئةً لذمّته أمام الله، ونُصرةً للمستضعفين من المسلمين، الذين ما فتئوا يَدْعُون رجال المسلمين، ويأمَلون فيهم نخوةً قد تثور يومًا ما، فينصرونهم بأمرِ الله، ويُذهِبُون عن صدورهم هذهِ البِحار من الأحزان والآلام المتراكمة.

فإن آثرت السّلامة والراحة، فاعلم أنّ الله سيكون لك بالمرصاد، وسيأتي يومٌ تقرع فيه أصابعَ النّدم؛ سيأتي يومٌ يُجزِلُ الله فيه العطاءَ للذين قاموا بأمره، الذين تركوا ملذّاتِ الدّنيا، استجابةً لأمر الله، وإيثارًا لما عنده على الدّنيا الفانية؛ فحين ترى ذلك من جهة، وترى من الجهة الأخرى، عذابَ الله الشّديد الأليم قد أقبل على الذين أهملوا أوامره، وآثروا ملذّات دنياهم على أخراهم، عندها ستتذكّر، وستندم على ما مضى وأدبر، ولكن هيهات... فلات حين مندم.

يكفيك ما سبق يا أخي وعدا ووعيدا، فاستدرِكْ ما فاتك، وقدّم لنفسك من نفسك، عسى الله بعدها أن يُدخلك في جنّاته جنّات النعيم؛ ولا تبخلْ، فإنّك لن تُمسِك إلا ما قُدِّر لك، وإلى الأجل المحدود الذي قُدِّر لك.

تأمَّلْ في آيات الله، وتذكّر قول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾[التوبة: ٤٦]، فما أدراك يا أخي فيما إذا كان الله قد كَرِهِ انبعاثك أنت، فثبّطك، واستبدلك بغيرك، ممن يحبّهم ويحبّونه؟ ما أدراك؟!

إن كنت تُأمّل في أن تقول لله غدا حين تلقاه: شغلتنا أموالنا وأهلونا، فاسمع إلى قوله أولا:﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾. [الفتح: ١١].

يقول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[التوبة: ٣٨-٣٩]؛ فهلا اكتفيت بهذه الآيات وعدا ووعيدا؟!

نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن ينفعنا جميعًا بما سبق من الآيات والأحاديث؛ ونسأله سبحانه، أن يجعلنا من الذين يحبّهم ويحبّونه، الذين يستجيبون لنداء الجهاد، ويؤثرون الجنة على هذه الدنيا الزائلة الدنيئة؛ ونسأله أن يُقِر أعيننا بنصرٍ دائم من عنده للمجاهدين في سبيله، ثم نسأله أن يختم لنا أعمالنا بشهادةٍ مقبولةٍ من عنده، بعد حجٍّ مباركٍ مبرور، وأن يتوفانا ونحن حافظون لكتابه متبعون له.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين؛ اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب، انصر المجاهدين في سبيلك في كلّ مكان، اللهم انصرهم في العراق والشام؛ اللهم انصر عبادك في الدولة الإسلامية؛ اللهم إنّ الناس قد اجتمعوا عليهم، وجميعُ دُول الكفر قد تكالبت عليهم، فكن لهم يا كريم؛ يا ربّ لم يحسب الكفّار لك حسابا، وظنّوا أنهم مانعتهم حصونهم منك، فاتهم يا عظيمُ من حيث لا يحتسبون، وألق في قلوبهم الرُّعب، ويسّرْ للمجاهدين أن يقيموا صرحًا لدينك، ودولةً لعبادك الموحّدين .

اللهم مزّق أمريكا تمزيقًا؛ اللهم إنك تراهم وقد جاءوا بخيلائهم وفخرهم، ولم يأتوا إلا ليصدّوا الناس عن سبيلك، ويوقفوهم عن الحكم بشريعتك، اللهم فلا تتركهم يصنعوا هذا يا كريم، وأرِنا فيهم عجائب قدرتك يا قوي يا عزيز. اللهم إنّ أمريكا جاهرتك بالعداء، فمزّقها يا عظيم إرَبًا، واحصها عددًا، ولا تغادر منها أحدًا.

وفي الختام، تقبّلوا تحيّات أخيكم، وادعوا لي عند كلّ قراءة لهذا الكتاب؛ لقد بذلت جهدي في هذا البحث، وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت؛ ما أحسنت فمن الله، وما أسئت فمن نفسي والشيطان.

اللهم اجعل عملي هذا في ميزان حسناتي يوم القيامة، ولا تجعلني من الذين يعملون الخير وهم يراءون به الناس، فلا يجدون عملهم عندك؛ اغفر لي ما يخطر في البال من وساوس الشيطان، واصفح عنّي ما بذر منّي من أخطاء، إنك كريم حليم مجيب الدعوات. وصلِّ اللهمّ على الحبيب المصطفى، نبينا محمّد، وعلى آله وصحبه، وسلِّم تسليما كثيرا.

***

(انتهيت من هذا البحث في يوم الخميس، السادس والعشرين من شهر صفر، سنة ١٤٣٦هـ، الموافق للثامن عشر من ديسمبر، سنة ٢٠١٤م. لقد عدّلتُ البحث قليلا، وانتهيت من هذا التعديل في شعبان، سنة ١٤٣٦هـ، الموافق لشهر يونيو، سنة ٢٠١٥م).

السّتينيّة في مآسي الأمة الإسلاميّة

(بقلم: أبو خالد الصّومالي حفظه الله)

١. سَقَطَت مآذن دَولَةِ الإِسلامِ *** وَالمسلِمُونِ غَدَو رُعَاةَ الضَأنِ

٢. سُلِبُوا عَقِيدَتَهُم فَصَارُوا ضَيعَةً *** قَدْ أُشْرِبُوا مِن ذِلَّـةٍ وَهَـوَانِ

٣. لَم يُوجَدَنْ مِن بَينِهِمْ مَن يَقتَدِي *** بِرَسُولِ رَبٍ مَالِكٍ دَيَّـانِ

٤. فَهُنَاكَ أَقصَانَا الحَبِيبُ وَأَهلُهُ *** حُرُمَاتُهُ انتُهِكَت بِأَيدِي الجَانِ

٥. شَهِدَ البِلَادُ بِأَنَّ جِيلَ مُحَمَّدٍ *** لَيسُوا كَمَا كَانُوا مِنَ الإِيمَـانِ

٦. سَمِعُوا صُرَاخَ المسلِمَاتِ وَطِفلَةً *** قُتِلَت أَمَامَ الطِّفلِ وَالطِّفلَانِ

٧. لَكِنَّهُم لَم يَقدِرُوا أَن يَبذُلُوا *** إِلَّا دُمُوعَ الذُّلِّ وَالخِـذلَانِ

٨. وَهُنَاكَ مِيـْنْمَارٌ كَأَنَّ دِمَائَـهُم *** مَاءٌ تَلَوَّثَ فَهْوَ غَيرُ مُصَـانِ

٩. الدُّورُ تُحرَقُ وَالمسَاجِدُ هُدِّمَت *** وَالطِفلُ يُقتَلُ وَهْوَ لَيسَ بِجَانِ

١٠. لَم يَنقِمِ السُّودُ المجُوسُ بِأخوَتِي *** إِلَّا عِبَادَةَ رَبِّنَـا الرَّحمَـانِ

١١. فَاستَـنجَدُوا بِاللهِ ثُمَّ بِأُمَّةٍ *** كَانَت بِيَومٍ قَادَةَ الإِنسَانِ

١٢. وَغَدَو صَبَاحًا يَنظُرُونَ بِشَوقِهِم *** هَل جَاءَ جَيشِي رَادِعُ العُدوَانِ

١٣. لَكِنَّهُم رَجَعُوا إِلَى أَوطَانِهِم *** مِن دُونِ جَيشٍ أَو مُجِبٍّ جِنَانِ

١٤. وَهُنَاكَ أَفغَانُ الأَبِيَّةُ أَهلُهَا *** فِي كُلِّ يَومٍ إِنَّهُـم فِي شَأنِ

١٥. يُسقَونَ مِن فَيضِ القَنَابِلِ والدَّبَا *** بَاتِ الَّتِي قَذَفَت مِنَ النِّيرَانِ

١٦. وَالطَّائِرَاتُ تَحُومُ فَوقَ رُؤُوسِهِم *** تَسقِي الحَمِيمَ المرَّ كَالفَيَضَانِ

١٧. كُـفرُ البِلَادِ أَتَى بِكُلِّ خُيُولِهِ *** لِيَحُولَ بَينَ النّاسِ والإِيمَانِ

١٨. وَهُنَـاكَ أَرضُ الهِجرَتَينِ بِلَادَنَـا *** مَأوَى الصَّحَابَةِ حَامِيَ الإِيمَانِ

١٩. صُومَالُ قَومٌ جَاهَدُوا مِن أَجلِ أَن *** يَعلُوا الكِتَابُ بِقُوَّةٍ وَسِـنَـانِ

٢٠. قَد حَطَّمُوا الكُفرَ الّذِينَ يَلُونَهُم *** وَبِمِثـلِ ذَا صَنَعُوا بِكُفرٍ ثَـانِ

٢١.	ثُمَّ الصَّلِيبُ أَعَانَ قَومًا مِن بَنِي	***	أَجـلَادِنَا لِيُحَـطِّمُوا قُرآنِ
٢٢.	وَهُنَاكَ شِيشَانٌ حَبِيبَةُ مُهجَتِـي	***	أُعطِيكِ مِن رُمحِي كَذَاكَ لِسَانِي
٢٣.	الرُّوسُ قَتَّلَكُم وَأَدمَى جُرحَكُم	***	وَنَزِيفُـكُم لَم يُشفَ حَتَى الأَنِ
٢٤.	خَطَّابُ قَاتَلَ عَنكُمُوا أَعدَاءَكُم	***	فَتَخَبَّطُوا كَتَخَبُّطِ العُـمـيَانِ
٢٥.	لَكِنَّهُ أَفـضَـىٰ إِلَى رَحـمَــانِه	***	فَبَدَت نِيَابُ الضَبعِ وَالأَسنَانِ
٢٦.	عَلِمُوا بِأَنَّ جُيُوشَنَا قَد دُمِّــرَت	***	فَتَأَلَّبُوا كَتَـأَلُّبِ الذِّئــبَانِ
٢٧.	وَهُنَا دِمَشقُ حَضَارَةُ الأَوطَــانِ	***	ثَغرُ الجِهَادِ مُأَدِّبُوا الرُّومـــانِ
٢٨.	إِنَّ الرَّوَافِضَ وَالمجُوسَ أَحِـبَّــةٌ	***	يَتَحَالَفَانِ تَحَالُفَ الـغِـربَانِ
٢٩.	هَذَا يُرِيقِ دَمِي بِأَرضٍ هَـــاهُنَا	***	وَبِبَلدَةٍ أُخرَى يُرِيقُ الــثَّـــانِي
٣٠.	هَذِي فَتَاةُ الطُّهرِ تَبعَثُ صَوتَهَا	***	تَشكُوا إِلَينَا مِن عَلَى الجُدرَانِ
٣١.	هَتَكَ العَدُوُّ عَفَافَهَا وَإِبَائَهَـا	***	فَبَكَت دُمُوعاً تُغلِ كَالنِّيرَانِ
٣٢.	لَكِنَّ قَومِيَ لَم يُجِيبُوا دَمـعَـهَـا	***	فَشَكَت مِنَ الخِذلَانِ لِلرَّحمَانِ
٣٣.	وَهُنَا سَلِيلُ خِلَافَةِ الإِسـلَامِ	***	بَلَدَ العِرَاقِ مُدَرِّبَ الفُرسَانِ
٣٤.	جَاءَ الصَّلِيبُ بِحَدِّهِم وَحَدِيدِهِم	***	لِيُعَبِّدُوا البُلدَانَ لِلشَيطَـانِ
٣٥.	قَتَلُوا الأُلُوفَ مِنَ النِّسَاءِ وَمِثلَهُم	***	أَلـفٌ وَأَلـفُ كُـلُّهم صِبيَانِي
٣٦.	حِمَــمٌ مِنَ النِيرَانِ تُقذَفُ بَينَهُم	***	فَتُقَـطِّعُ الأَشـلَاءَ وَالكِبـدَانِ
٣٧.	فَأَقَامَ رَبِّي ثُلَّةً مِن خَيرِنَا	***	لِيُشَرِّدُوا ضَبُعًا بِلَا رُجعَانِ
٣٨.	هُم فِي النَّهَارِ أُسُودُ حَربٍ ثُمَّ إِن	***	يَأتِي الظَّلَامُ غَدَو مِنَ الرُّهبَانِ
٣٩.	ثَبَتُوا عَلَى الدَّربِ الحَنِيفِ فَمَا وَنَو	***	لَم يُثنِهِم لَـومٌ وَحَبسُ ثَوَانِ
٤٠.	وغَـرابَــةُ الأَيَّــامِ جَـاءَت يَومَ أَن	***	طَـلَـعَت خَلَافَةُ أُمَّـةِ القُرآنِ
٤١.	وَ بِـغَـدرِ بَـرَّاضٍ تَـلَـقَّـوْ طَعْنَةً	***	مِن ظَهرِهِم مِن قَومِهِم مِن وَانِ
٤٢.	طَلَبُوا مَعُونَةَ مُسـلِمٍ وَمُوَحِّدٍ	***	لِقِتَـالِ زِنـدِيقٍ وَذِي بُهتَـانِ
٤٣.	لَكِنَّ قَومِيَ أَصبَحَت عَادَاتُهُم	***	غَدرٌ بِإِخوَتِهِم وَنَصرُ الجَانِي

٤٤. يَا أُمَّتِي يَا خَيرَ جِيلٍ أُخرِجَت *** تَدعُوا الأُنَاسَ إِلَى دُخُولِ جِنَانِ

٤٥. أَفَلَم يَحِن أَن تُطلِقِي صَارُوخَةً *** تَقتَصُّ فِيهَا مِن عَدُوٍّ جَانِ

٤٦. هَذَا إِلَهُ العَالَمِينَ مُنَادِيًا *** كُلَّ النُّفُوسِ إِلَى رِضَى الرَّحمَانِ

٤٧. فَإِلَى مَتَى تَتَثَاقَلِينَ إِلَى الوَرَاءْ *** وَإِلَى مَتَى تَبقَينَ فِي الزِّنزَانِ

٤٨. أَوَلَستِ نُورًا لِلأَنَامِ وَدُرَّةً *** يَعلُوا ضِيَاهَا شُعلَةَ القَمَرَانِ

٤٩. عُودِي فَدُكِّي ظُلمَ لَيلٍ قَد طَغَى *** دُكِّي بِنَايَتَهُ مَعَ الجُدرَانِ

٥٠. وَاستَمسِكِي بِالعُروَةِ الوُثقَى الَّتِي *** تُهدِي إِلَى الجَنَّاتِ وَالرَّحمَانِ

٥١. وَتَضَرَّعِي بِدُعَاءِ لَيلٍ مُظلِمٍ *** تَلقَى الإِلَهَ يُجِيبُ لِلأَكوَانِ

٥٢. وَإِذَا أَبَى بَعضٌ لِئَلَّا يَتعَبُوا *** أَو فَضَّلُوا دُنيًا عَلَى الإِيمَانِ

٥٣. فَليَترُكُوا أَهلَ الجِهَادِ لِشَأنِهِم *** وَلْيَسلَمُوا مِن سِنِّهِم وَسِنَانِ

٥٤. أَهلُ الجِهَادِ أَتَوا لِنُصرَةِ دِينِهِم *** فَعَلَامَ يُؤذِيهِم أَخُوا الإِيمَانِ

٥٥. وَاللهِ إِن لَم تَجهَدُوا وَتُجَاهِدُوا *** وَتُبَذِّلُوا مَالًا بِلَا حُسبَانِ

٥٦. وتُنَاصِرُوا دِينَ الإِلَهِ بِنَفسِكُم *** وَتُخَلِّصُوا أُختًا مِنَ الأَسجَانِ

٥٧. لَيُنَزِّلَنَّ اللهُ مِنهُ مَلَاكَةً *** بِيضُ الوُجُوهِ مِنَ السَّمَاءِ الثَّانِي

٥٨. وَلَيَرفَعَنْ مَن رَخَّصُوا أَروَاحَهُم *** وَلَيُعطِيَنْ مِن عِندِهِ بِجِنَانِ

٥٩. وَلَيَبدِلَنَّ اللهَ أَهلَ تَقَاعُسٍ *** بِمُجَاهِدٍ وَمُنَاصِرٍ سِيَّانِ

٦٠. وَلَيَشفِيَنَّ صُدُورَ أَهلِ مُؤمِنٍ *** بِجُنُودِهِ مِن إِنسِهِ وَالجَانِّ

٦١. قَد أَوجَبَ اللهُ الجِهَادَ عَلَيكُمُوا *** لِيُرَى المُنَافِقَ مِن ذَوِي الإِيمَانِ

٦٢. رَبِّي إِلَهٌ أَمرُهُ مُتَكَامِلٌ *** بِالحَرفِ بَينَ الكَافِ وَالأَنوَانِ

٦٣. فَاستَيقِظُوا مِن قَبلِ أَن تُستَبدَلُوا *** وَتُعَذَّبُوا بِالذُّلِّ وَالنِّيرَانِ

٦٤. وَخِتَامُ قَولِيَ حَمدُ رَبٍّ قَادِرٍ *** وَصَلَاتُه لِنَبِيِّنَا العَدنَانِ

مصادر البحث

هذه قائمة للكتب التي أخذتُ منها في هذا البحث، الإسلامية (بعد القرآن الكريم)، والمصادر الأخرى (من بحوث ومواقع ومجلات، وكتبٍ للرافضة وغير ذلك)؛ وقد رتّبتها حسب الأبجدية العربية:

الكتاب	المؤلّف	النّاشر	الطبعة
أحكام القرآن لابن العربي	أبو بكر بن العربي المالكي	دار الكتب العلمية، بيروت	الثالثة
إرشاد السّاري لشرح صحيح البخاري	أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني	المطبعة الكبرى الأميرية، مصر	السابعة
إصدار مرئي بعنوان "ست سنوات على غزو العراق"	أيمن الظواهري	مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي	
إصدار مرئي بعنوان "نصيحة مشفق"	أيمن الظواهري	مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي	
إصدار مؤسسة الملاحم، بعنوان: غزوة الثأر للأسيرات	مؤسسة الملاحم التابعة لتنظيم القاعدة	مؤسسة الملاحم (الذراع الإعلامي الرّسمي للقاعدة في اليمن)	---
النهاية في غريب الحديث والأثر	ابن الأثير، المبارك بن محمد الشيباني	المكتبة العلمية – بيروت	---
أصل الشيعة وأصولها	محمد الحسين آل كاشف الغطاء	دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان	الأولى
اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم	أحمد بن عبد الحليم بن تيمية	دار عالم الكتب، بيروت، لبنان	السابعة
الأجوبة الشاملة لأسئلة أعضاء شبكة الحسبة الإسلامية	عطية الله الليبي	منبر التوحيد والجهاد	---
الأحكام السّلطانية	الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد	دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان	الثانية
الاستيعاب في معرفة الأصحاب	ابن عبد البرّ، يوسف بن عبد الله القرطبي	دار الجيل، بيروت	الأولى
الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والموارد والاستراتيجيات	مؤسسة راند للبحوث الأمريكية	مؤسسة راند للبحوث الأمريكية	---
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني	دار الكتب العلمية، بيروت	الأولى
الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل	أبو النجا موسى بن أحمد الحجاوي	دار المعرفة، بيروت	---
الأم للشافعي	محمد ابن إدريس الشافعي	دار المعرفة، بيروت	---

الأنوار النعمانية	نعمة الله الجزائري	منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان	الأولى
البحر الرائق شرح كنز الدقائق	ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم المصري	دار الكتاب الإسلامي	الثانية
البداية والنهاية	إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي	دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان	الأولى
الجهاد لابن أبي عاصم	أبو بكر بن أبي عاصم	مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة	الأولى
الحكومة الإسلامية للخميني	(روح الله) الخميني	---	الثالثة
الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية	محب الدين الخطيب	---	---
الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان	عبد الله عزّام	منبر التوحيد والجهاد	---
الديموقراطية الصنم العصري	أبو يحيى، حسن قائد، الليبي	مؤسسة السّحاب، الذراع الإعلامي لتنظيم القاعدة	---
السنن الكبرى للبيهقي	أبو بكر أحمد ابن الحسين البيهقي	دار الكتب العلمية، بيروت	الثالثة
السنن الكبرى للنسائي	أحمد بن شعيب بن علي النسائي	مؤسسة الرسالة، بيروت	الأولى
السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية	أحمد بن عبد الحليم بن تيمية	وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف –السعودية	الأولى
السيرة النبوية (سلسة مسموعة) لراغب السرجاني	راغب السرجاني	دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية	---
الشرح الممتع على زاد المستقنع	محمد ابن صالح العثيمين	دار ابن الجوزي	الأولى
الطبقات الكبرى لابن سعد	محمد بن سعد بن منيع الهاشمي	دار الكتب العلمية –بيروت	الأولى
الفتاوى الكبرى لابن تيمية	أحمد بن عبد الحليم بن تيمية	دار الكتب العلمية	الأولى
الفصل في الملل والأهواء والنحل	ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري	مكتبة الخانجي–القاهرة	---
الفيلم الوثائقي "الفلوجة، المذبحة الخفية"	قناة آر أيه آي (RAI) الإيطالية	قناة آر أيه آي (RAI) الإيطالية	---
الكافي (ج ١)، من قسم الأصول للكافي	محمد بن يعقوب الكُليني	دار الكتب الإسلامية – طهران – ايران	الخامسة

الكافي (ج ١-٢)، أو أصول الكافي	محمد بن يعقوب الكُليني	دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان	الأولى
الكافي (ج ١-٢)، أو أصول الكافي	محمد بن يعقوب الكُليني	منشورات الفجر، بيروت، لبنان	الأولى
الكافي (ج ٤)، من قسم الفروع للكافي	محمد بن يعقوب الكُليني	منشورات الفجر، بيروت، لبنان	الأولى
الكافي (ج ٨) ، أو روضة الكافي	محمد بن يعقوب الكُليني	منشورات الفجر، بيروت، لبنان	الأولى
الكافي في فقه الإمام أحمد	موفق الدين المعروف بابن قدامة المقدسي	دار الكتب العلمية	الأولى
الكافي في فقه أهل المدينة	ابن عبد البرّ، يوسف بن عبد الله القرطبي	مكتبة الرياض الحديثة	الثانية
الكامل في التاريخ	عز الدين ابن الأثير	دار الكتاب العربي، بيروت -لبنان	الأولى
اللقاء الثاني لمؤسسة السحاب مع الشيخ أبي يحيى الليبي رحمه الله	أبو يحيى، حسن قائد، الليبي	مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي	---
اللقاء الرابع لمؤسسة السحاب مع الشيخ أيمن الظواهري بعنوان "قراءة للأحداث"	أيمن الظواهري	مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي	---
اللقاء المفتوح	أيمن الظواهري	مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي (الذراع الإعلامي الرسمي لتنظيم القاعدة)	---
المستدرك على الصحيحين	أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم	دار الكتب العلمية	الأولى
المعجم الأوسط للطبراني	سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني	دار الحرمين، القاهرة	---
المغني لابن قدامة	موفق الدين المعروف بابن قدامة المقدسي	مكتبة القاهرة	---
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام	جواد علي	دار الساقي	الرابعة
المقدمات الممهدات	ابن رشد، محمد بن أحمد القرطبي	دار الغرب الإسلامي	الأولى
أوائل المقالات	محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، المعروف بالشيخ المفيد	المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، مطبعة مهر؛ تحقيق إبراهيم الأنصاري	الأولى
بحار الأنوار	محمد باقر المجلسي	منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان	الأولى
بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع	أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي	دار الكتب العلمية	الثانية

بناء شبكاتٍ للإسلام المعتدل	مؤسسة راند للبحوث الأمريكية	مؤسسة راند الأمريكية	---
بيان الإمارة الإسلامية حول الوضع الجاري في أفغانستان – ٢٠١٢/١/١٢	الملا محمد عمر مجاهد	شبكة الجهاد العالمي (shabakataljahad.com)	---
بيان إمارة أفغانستان الإسلامية حول المجازر المستمرة في مصر – ٢٠١٤\٨\١٥	إمارة أفغانستان الإسلامية	صوت الجهاد – إمارة أفغانستان الإسلامية (shahamat-arabic.com)	
بيان تهنئة أمير المؤمنين بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك لعام ١٤٣٢هـ -٠٤/١١/ ٢٠١١	الملا محمد عمر مجاهد	شبكة الجهاد العالمي (shabakataljahad.com)	---
تحفة الفقهاء	أبو بكر علاء الدين السمرقندي	دار الكتب العلمية، بيروت	
تفسير ابن كثير	إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي	دار الكتب العلمية	الأولى
تفسير الإمام الشافعي	محمد ابن إدريس الشافعي	دار التدمرية – المملكة العربية السعودية	الأولى
تفسير الطبري	محمد بن جرير الطبري	دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان	الأولى
تفسير القرطبي	محمد بن أحمد القرطبي	دار الكتب المصرية	الثانية
تفسير بيان السعادة	سلطان محمد الجنابذي الملقب بسلطان علي شاه	منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان	الأولى
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني	دار الكتاب العربي، بيروت	---
خلق أفعال العباد	محمد ابن إسماعيل البخاري	دار المعارف السعودية–الرياض	---
ردّ المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)	ابن عابدين، محمد أمين الدمشقي الحنفي	دار الفكر، بيروت	الثانية
سنن ابن ماجه	ابن ماجة، أبو عبد الله القزويني	دار إحياء الكتب العربية	---
سنن أبي داود	أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي	المكتبة العصرية، صيدا -بيروت	---
سنن الترمذي	محمد بن عيسى الترمذي	شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي	الثانية
سنن النسائي	أحمد بن شعيب بن علي النسائي	مكتب المطبوعات الإسلامية –حلب	الثانية

سير أعلام النبلاء للذهبي	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	مؤسسة الرسالة	الثالثة
سيرة ابن هشام	عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري	شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي	الثانية
شرح النووي على صحيح مسلم	النووي، محيي الدين يحيى بن شرف	دار إحياء التراث العربي–بيروت	الثانية
صحيح ابن حبان	محمد بن حبان التميمي	مؤسسة الرسالة–بيروت	الثانية
صحيح البخاري	محمد ابن إسماعيل البخاري	دار طوق النجاة	الأولى
صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج النيسابوري	دار إحياء التراث العربي—بيروت	---
طبقات الحنابلة	ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد	دار المعرفة–بيروت	---
غياث الأمم في التياث الظلم	الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، الملقّب بإمام الحرمين	مكتبة إمام الحرمين	الثانية
فتح الباري شرح صحيح البخاري	ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني	دار المعرفة–بيروت	---
في ظلال القرآن	سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي	دار الشروق، بيروت، القاهرة	السابعة عشر
كشف الأسرار	(روح الله) الخميني	---	---
كلمات في نصرة دولة العراق الإسلامية	عطية الله الليبي	منتديات المنبر الإعلامي الجهادي	---
كلمةٌ صوتية بعنوان "السبيل لإحباط المؤامرات"	أسامة ابن لادن	مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي	---
كلمة صوتية بعنوان "دولة الإسلام باقية"	مختار أبو الزبير	مؤسسة الكتائب للإنتاج الإعلامي (الذراع الإعلامي الرّسمي لحركة الشباب المجاهدين)	---
كلمة صوتية بعنوان "هذا وعد الله"	أبو محمد العدناني (المتحدث الرسمي باسم الدولة الإسلامية)	مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي (الذراع الإعلامي الرسمي للدولة الإسلامية)	---
كلمة صوتية بعنوان "وليمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم"	أبو محمد العدناني	مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي	---
لسان العرب	جمال الدين ابن منظور الأنصاري	دار صادر، بيروت	الثالثة
مجموع الفتاوى	أحمد بن عبد الحليم بن تيمية	مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف	---

مجموعة الرسائل والمسائل النجدية	عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب	مطبعة المنار بمصر	الأولى
مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين	ابن قيم الجوزية	دار الكتاب العربي – بيروت	الثالثة
مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول	محمد باقر المجلسي	دار الكتب الإسلامية – طهران – ايران	الثانية
مسند أحمد	أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني	مؤسسة الرسالة	الأولى
مسند البزار	أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار	مكتبة العلوم والحكم –المدينة المنورة	الأولى
مشارع الأشواق إلى مصارع العشّاق	ابن النحاس، أحمد بن إبراهيم الدمشقي	شركة دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع	الثالثة
مصنف ابن أبي شيبة	أبو بكر بن أبي شيبة	مكتبة الرشد، الرياض	الأولى
معركة القلوب والعقول (Battle of the Hearts and Minds)	أنور العولقي	موقع كلام الله (kalamullah.com)	---
مغازي الواقدي	الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي	دار الأعلمي، بيروت	الثالثة
منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه	النووي، محيي الدين يحيى بن شرف	دار الفكر	الأولى
موقفنا الشرعي من حكومة "كرزاي العراق"	أبو مصعب الزرقاوي	مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي	---
نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج	شهاب الدين الرملي	دار الفكر، بيروت	---
وصول الأخيار إلى أصول الأخبار	والد البهائي العاملي	---	---
A Dossier on Civilian Victims of United States' Aerial Bombing of Afghanistan: A Comprehensive Accounting	مارك دبليو هيرولد (Mark W. Herold)	جامعة نيو هامبشاير (University of New Hampshire)	---

المواقع التي نَقلتُ عنها أو أنزلتُ منها في هذا البحث:

اسم الموقع	رابط الموقع
منتديات البراق الإسلامية	alboraq.info

موقع "دا نيشن" (The Nation)	thenation.com
موقع "سنتر فور سيكيوريتي بولاسي" (Center for Security Policy)	centerforsecuritypolicy.org
موقع الأرشيف (Archive)	archive.org
موقع الإندبندنت	independent.co.uk
موقع الجزيرة الإنجليزية (Aljazeera)	aljazeera.com
موقع الجزيرة نت العربية	aljazeera.net
موقع الحكومة البريطانية	gov.uk
موقع الغارديان (The Guardian)	theguardian.com
موقع اليوتيوب (YouTube)	youtube.com
موقع أمنيستي إنترناشونال (Amnesty International)	amnesty.org
موقع بي بي سي العربية	bbc.co.uk/arabic
موقع دا ديلي ميل (The Daily Mail)	dailymail.co.uk
موقع سي اسبان (C-SPAN)	c-span.org
موقع سي بي سي نيوز (CBC News)	cbc.ca
موقع صحيفة الأولى اليمنية	aloulaye.com
موقع فايس نيوز (Vice News)	news.vice.com
موقع قصّة الإسلام	islamstory.com
موقع مجلّة دا ويك (The Week)	theweek.com
موقع نيويورك تايمز (New York Times)	nytimes.com
موقع هافينغتون بوست (Huffington Post)	huffingtonpost.com

موقع ويكبيديا العربي	ar.wikipedia.org
موقع ويكيبيديا الإنجليزي (Wikipedia)	en.wikipedia.org
وكالة رويترز (Reuters)	reuters.com